



المكتبة الأكاديمية

مركز مستلزمات مكتبة

الحاصلة على شهادة الجودة

ISO 9002

Certificate No.: 82210
03/05/2001

الإعلام الأفريقي
في عصر المعلومات

الإعلام الأفريقى فى عصر المعلومات

أ.د. عواطف عبد الرحمن

أ.د. حسنى نصر

أ.د. ليلى حسين

كلية الإعلام - جامعة القاهرة



الناشر

المكتبة الأكاديمية

شركة مساهمة مصرية

٢٠١١

بطاقة فهرسة الكتاب:

عبد الرحمن، عواطف الإعلام الأفريقي في عصر المعلومات / عواطف عبدالرحمن . - ط ١ . - الجيزة: المكتبة الأكاديمية ٢٠١١ ٢٠٨ ص؛ ٢٤ سم. تدمك: ١ - ٤٤٣ - ٢٨١ - ٩٧٧ - ٩٧٨ ١ - الإعلام - أفريقيا أ - العنوان ١, ٥ - رقم الإيداع: ٢٠١٠ / ٩٣٠٦

حقوق النشر

الطبعة العربية الأولى ٢٠١١م - ١٤٣١هـ

حقوق الطبع والنشر © جميع الحقوق محفوظة للنشر :

المكتبة الأكاديمية

شركة مساهمة مصرية

رأس المال المصر والدفع ١٨,٢٨٥,٠٠٠ جنيه مصري

١٢١ شارع التحرير - الدقى - الجيزة

القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون : ٣٧٤٨٥٢٨٢ - ٣٣٣٨١٢٨٨ (٢٠٢)

فاكس : ٧٤٩٨٩٠ (٢٠٢)

لا يجوز استئصال أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة
كانت (لا بعد الحصول على تصريح كتابى من الناشر .

فهرس

٧ ----- مقدمة

القسم الأول:

١٣ ----- المبحث الأول: أفريقيا في فح العولمة (أ.د. عواطف عبد الرحمن)

٢١ ----- المبحث الثاني: الإعلام الإفريقي في عصر المعلومات (أ.د. عواطف عبد الرحمن) --

٣٣ ----- المبحث الثالث: الصحافة الافريقية بين الاستقلال والقبعية (أ.د. عواطف عبد الرحمن)

المبحث الرابع: الحرية المفقودة - دراسة حالة غانا من الاستقلال حتى بداية

٥٩ ----- التسعينيات (أ.د. حسنى نصر)

المبحث الخامس: ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا - الموجة الثانية (أ.د. حسنى

٩٥ ----- نصر)

القسم الثانى:

المبحث السادس: صورة أفريقيا في الإعلام المصرى: إشكاليات وتساؤلات (أ.د.

١٤٧ ----- عواطف عبد الرحمن)

المبحث السابع: صورة أفريقيا في وسائل الإعلام المصرية ولدى الشباب الجامعى:

١٥٥ ----- دراسة مسحية (أ.د. ليلى حسين)

مقدمة

تتفاوت البحوث والدراسات التي يضمها هذا الكتاب من حيث الباحثين الأكاديميين والفترات التاريخية التي أجريت خلالها والموضوعات التي تناولتها والتي تتمحور جميعها حول الصحافة والإعلام الإفريقي خلال المراحل التاريخية المختلفة التي مر بها منذ بداياته الأولى قبل الفترة الاستعمارية مروراً بحقبة الاستعمار الأوربي (البريطاني والفرنسي) خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وصحافة حركات التحرر الوطني التي تزامنت مع الإعلام الاستعماري (إعلام المستعمر الأوربي) وصولاً إلى صحافة حقبة الاستقلال الإفريقي التي بدأت في ستينيات القرن العشرين والتي شهدت العديد من الأزمات الناتجة عن القمع الحكومي فضلاً عن تركة الموروثات التقليدية (الفقر والامية والتعددية اللغوية) والتبعية للإعلام الغربي مضافاً إلى كل ذلك الثورة التكنولوجية في مجال الاتصال وتداعياتها الإيجابية والسلبية على مسيرة الإعلام الإفريقي.

وفي هذا الإطار يضم الكتاب سبع بحوث ومقالات علمية نستهلها بمدخل عام بعنوان (أفريقيا في فخ العولمة) يتناول آثار العولمة على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في القارة الأفريقية تلك الآثار التي أدت إلى مزيد من التهميش للشعوب الأفريقية وازدياد ضعف الدولة في أفريقيا وقد تحقق ذلك من خلال أطر قانونية محكمة فرضها مجلس إدارة اقتصاد العالم الذي يضم الثمانية الكبار وصندوق النقد الدولي + البنك الدولي + منظمة التجارة العالمية.

وإذا كانت قوى العولمة قد نجحت في تخلي الدول الأفريقية عن كثير من وظائفها الاقتصادية والخدمية فإن الإعلام الإفريقي ظل في أغلبه حكومياً إذ أن معظم الدول الأفريقية لا تزال تعتبر الإعلام أحد مسؤولياتها الرئيسية ولا تزال خصخصة وسائل الإعلام ظاهرة ناشئة في أفريقيا في ظل عدم تشجيع الحكومات التي تعتبرها تهديداً لنفوذها ومكانتها. وقد جاء ذلك تفصيلاً في الدراسة الثانية تحت عنوان (الإعلام الإفريقي في عصر المعلومات) حيث تم استعراض ملامح الخريطة الإعلامية

والمعلوماتية في أفريقيا والتحديات التكنولوجية والمهنية والثقافية التي تواجه الإعلام الإفريقي في حقبة العولمة.

هذا وقد اقتضت الضرورة أن نعود إلى الوراء قليلاً كي نستعرض بصورة موجزة آثار الظاهرة الاستعمارية الأوربية على الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وعلاقتها بالبدايات الإعلامية في هذه المجتمعات ثم نتابع ردود الفعل الأفريقية التي تمثلت في حركات التحرر الوطني الأفريقية وكانت قد بدأت تفرض وجودها بعد الحرب العالمية الأولى وكان لها تعبيراتها الإعلامية التي تمثلت في الصحافة الأفريقية في مرحلة النضال الوطني وظلت تواصل عطائها النضالي حتى توج بالاستقلال في بداية ستينيات القرن العشرين.

ثم استمرت هذه الصحف في مرحلة الاستقلال وبناء الدولة الوطنية مع حدوث تغييرات شبه جذرية على أدوارها وممارساتها في ظل تبعية ثلاثية الأبعاد شملت تبعيتها للسلطة الحاكمة والتبعية التاريخية للتراث الفرانكوفوني والأنجلو فوني ثم التبعية لرؤوس الأموال المحلية والدولية. وقد تناولت الدراسة الثالثة هذه التفاصيل تحت عنوان (الصحافة الأفريقية بين التبعية والاستقلال). وإذا كانت حرية الصحافة تمثل أبرز التحديات التي واجهت الصحافة الأفريقية في مرحلة الاستقلال الوطني لذلك ركزت الدراسة الرابعة على علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية في أفريقيا بالتطبيق على غانا وأثبتت هذه الدراسة عدم صحة الفرض القائل بوجود علاقة إيجابية بين نيل الاستقلال وبين ازدهار حرية الصحافة في غانا إذ أكدت أن جميع الحكومات (مدنية وعسكرية) التي تولت السلطة في غانا قامت بفرض قيود على حرية الصحافة.

ثم جاءت الدراسة الخامسة كي تلقى الضوء على الصحافة الأفريقية المستقلة (الخاصة) باعتبارها مطلباً أساسياً من متطلبات التطور الديمقراطي والاقتصادي في القارة الأفريقية في عصر المعلومات. وكان مؤتمر اليونسكو الذي انعقد في نامبيا عام ١٩٩١ قد أكد في إعلان (وندهوك) على ضرورة تشجيع المبادرات الفردية المحلية والأجنبية لتأسيس صحف أفريقية مستقلة عن الحكومات. وتمثل ظاهرة الصحافة

المستقلة التي تشهدها القارة الأفريقية منذ مطلع التسعينيات من القرن العشرين الموجه الثانية حيث ظهرت الموجه الأولى خلال الحقبة الاستعمارية وتمثلت في صحافة التحرر الوطني في إطار النضال ضد المستعمر الأوروبي. وقد ركزت هذه الدراسة على السمات العامة للموجه الثانية للصحافة المستقلة في مسيرة بعض الدول الإفريقية وتناولت تفصيلاً الضغوط القانونية التي فرضتها الحكومات الإفريقية على الصحف المستقلة الناشئة علاوة على الضغوط الاقتصادية والمهنية التي تواجه هذه الصحف. وإزاء فشل المجتمع الدولي وعدم استجابته للدعاء الذي أطلقه (إعلان وند هوك) بتقديم الدعم للصحافة المستقلة في أفريقيا مضافاً إليه إصرار الحكومات الإفريقية على فرض العديد من العوائق القانونية والعملية على الصحف المستقلة. الأمر الذي أدى إلى تعثر التجربة. وأكدت الدراسة أن استمرار ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا يتطلب ظروفاً مواتية محلية ودولية تدعم التحول الديمقراطي في القارة الإفريقية وهذه الشروط لم تتحقق حتى الآن.

هذا وقد تم الاتفاق بين الباحثين على تخصيص القسم الثاني من الكتاب للاقترب من العلاقات المصرية الإفريقية في مجال الإعلام خلال الالفية الثالثة وقد اشتمل هذا القسم على دراستين ركزت الدراسة الأولى على صورة أفريقيا في الإعلام المصري اشكاليات وتساؤلات وذلك تواصل مع الدراسات التي أجريت عن اتجاهات الإعلام المصري إزاء القضايا الإفريقية ورصدت مدى نوعية استجابته وتفاعله مع القارة الإفريقية والتحديات التي تواجه شعوبها. وقد كشفت هذه الدراسات عن حقيقة جوهرية تشير إلى أن اهتمام الإعلام المصري بالقارة الإفريقية يتوكل صعوداً وهبوطاً مع اهتمام ومواقف القيادة السياسية الحاكمة إذ يتحدد موقع أفريقيا على أجندة صناع القرار السياسي في مصر في ضوء الرؤية الاستراتيجية والتحالفات السياسية والمصالح الاقتصادية الإقليمية والدولية. وإذا كانت الدراسة الحالية قد أكدت هذه الحقيقة فإنها كشفت أيضاً عن الصورة السلبية السائدة لدى الرأي العام المصري عن أفريقيا والتي نتجت عن أن معظم قطاعات الرأي العام المصري يستقون آرائهم وانطباعاتهم عن أفريقيا من خلال وسائل الإعلام التي تعتمد على المصادر الغربية المعروفة بتحيزها

ضد القارة الأفريقية وشعوبها. كذلك لا تهتم النخب المصرية المثقفة إلا بالإطار العام للأوضاع السياسية فى الدول الأفريقية ويتجاهلون الجوانب الأخرى التى لا تخلو من إيجابيات كثيرة فى الثقافة والفن والشعر والأدب ومنظومة القيم الاجتماعية والبحث العلمى فى مختلف الدول الأفريقية. واتساقاً مع ما سبق دارت الدراسة الأخيرة حول الصورة الذهنية لدى الشباب المصرى عن أفريقيا وحاولت إبراز مصادر وأسباب التشويه والتحيز التى تركز على المظاهر السلبية فى المجتمعات الأفريقية وتحاصر صورة أفريقيا فى ذهن الجمعى للشباب المصرى. وتلقى الدراسة المسئولية على وسائل الإعلام العربية والأفريقية كما تدعوها إلى ضرورة التحرك لتصحيح صورة أفريقيا والسعى بجدية لإزالة كافة صورة التزييف والتشويه التى تحاصر الصور السلبية المتبادلة بين العرب والأفارقة.

ويمثل هذا الكتاب بما يحويه من جهد علمى جماعى خطوة جديدة فى مسيرة الاهتمام الأكاديمى بالإعلام الأفريقى من جانب الباحثين المصريين وإذا كانت هذه الخطوة تتواصل مع البداية الأولى التى جسدها كتابى عن (مقدمة فى الصحافة الأفريقية) الصادر عام ١٩٧٩ إلا أننى اعترف بالتقصير لأننى اكتفيت بفتح بوابة البحث العلمى عن الصحافة والإعلام الأفريقى وكنت أطمح أن يدلف منها بعض الباحثين الجادين لإثرائها بالمزيد من البحوث الإمبيريقية والنقدية ولكن للأسف لم يتحقق طموحى إذ أنشغل أغلب الباحثين الإعلاميين بمشكلات الإعلام القادم من الشمال ولم تنل قارئنا الأفريقية العظيمة وإعلامها وصحافتها ما تستحقه من الاهتمام والسعى العلمى الجاد من جانب المدرسة المصرية.

وقد شاركنى فى إنجاز هذا الكتاب باحث أكاديمى يتميز بالجدية والأصالة أ.د. حسنى نصر أستاذ الصحافة بكلية الإعلام جامعة القاهرة وباحثة أكاديمية لا تقل عنه مثابرة والتزاماً أ.د. ليلى حسين أستاذة الإعلام المرئى بجامعة حلوان.

ولازلت أحمل طموحاً يتجدد وأملاً لا يخبو في ظهور باحثين واعددين من الأجيال الجديدة قادرين وراغبين في إيلاء مزيد من الاهتمام العلمي لقارتنا الأفريقية وفي قلبها هموم الإعلام والصحافة الأفريقية.

أ.د. عواطف عبد الرحمن

البحر الأعظم - فبراير ٢٠١٠

القسم الأول

المبحث الأول

أفريقيا فى فخ العولمة (*)

أفريقيا في فخ العولمة:

لا شك إن الهيمنة الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية قد أدت إلى استقطاب العالم مرة أخرى ولكن بصورة أكثر حدة بين الشمال والجنوب وبدون المرونة التي كانت قائمة خلال الحرب الباردة والآن لا توجد تقسيمات في الجنوب أو الشمال بل توجد السوق المعولمة تحت سيطرة الاحتكارات عابرة القارات والقوميات. ومن المؤكد أن هذه الاحتكارات قد تحدث سيادة الدول في الشمال مثلما فعلت نفس الشيء في الجنوب ولكن هناك فرق فلا يزال الشمال مسيطراً على موارد العالم والتي يقع الكثير منها في دول الجنوب ولا تزال الاحتكارات تتمثل في شركات تنتمي إلى الشمال وتستمد قوتها من حكوماتها في الشمال وبالنسبة للقارة الأفريقية لا توجد شركات أفريقية عملاقة كما أن أغلب القطاعات الإنتاجية في أفريقيا لا تزال تخضع بصورة كاملة لسيطرة الشركات عابرة القوميات من الزراعة إلى التصنيع حتى الصناعات الغذائية إلى التعدين إلى النشاط المصرفي والتأمين والشحن والاستيراد والتصدير وأسعار تبادل العملات ثم جاءت منظمة التجارة العالمية لتلعب دورها المركزي في التحكم في الاقتصاد العالمي ومعها مخاطر الاتفاقية متعددة الأطراف بشأن الاستثمارات واتفاقية حقوق الملكية الفكرية المرتبطة بالتجارة بما يحول دون نقل التكنولوجيا إلى أفريقيا وبما يؤدي إلى مزيد من التهميش للقارة الأفريقية وشعوبها وتبرز بوضوح آثار العولمة على القارة الأفريقية من خلال الأطر القانونية المحكمة التي يسيطر من خلالها أعضاء مجلس إدارة اقتصاد العالم الذي يضم الثمانية الكبار وصندوق النقد الدولي + البنك الدولي + منظمة التجارة العالمية على ثروات ومصادر شعوب الجنوب وفي قلبها أفريقيا.

ويبرز دور منظمة التجارة العالمية التي تعد أحد الأدوات الرئيسية للعولمة في الحقبة الراهنة وقد انشئت في مراكش ١٩٩٤ عقب توقيع اتفاقيات التجارة في دورة أوروغواي التي تعد الدورة الثامنة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فيما يتعلق بمفاوضات التعريف الجمركية. ويضاف إلى ذلك الأدوات الخاصة باتفاقية بريتون وودز (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومجموعة الدول الثمانية الكبار). وقد وضعت اتفاقية أوروغواي في نطاق اختصاصها قضايا مثل الملكية الفكرية (وكانت

حتى ذلك الوقت ضمن اختصاص المنظمة العالمية للملكية الفكرية (والاستثمارات) وكان ينظر إليها كجزء من حركة رأس المال وليس التجارة) هذه القضايا أصبحت جزء من النظام التجاري العالمي الجديد. وقد وافق عليها ممثلوا الدول الأفريقية كما لو كانوا مشتركين في حوار ودي مع نفس الدول التي اقتسمت أفريقيا عام ١٨٨٤. ويسيطر التكتل الرباعي (أمريكا - كندا - اليابان - الاتحاد الأوروبي) على هيئات منظمة التجارة العالمية بصورة شبه مطلقة وتتخذ القرارات في المنظمة على أساس ما يسمى الاجماع السلبي ويحرص ممثلوا التكتل الرباعي على حضور جميع الاجتماعات في الوقت الذي تعاني فيه أفريقيا من نقص الكوادر المتواجدة في جنيف (مقر المنظمة).

ولذلك فإن الكثير من القرارات ذات الطابع الملزم يتم دون مشاركة الدول الأفريقية والفضل في ذلك يرجع لقاعدة الاجماع السلبي. وفي هذا الإطار يمكن رصد الملاحظات التالية:-

أولاً: يلاحظ أن تسوية المنازعات في إطار منظمة التجارة العالمية يستلزم وجود محامين وفنيين تم إعدادهم جيداً وهؤلاء يوجدون أساساً في أوروبا وأمريكا كما يتقاضون تعاباً باهظة لا يمكن أن تتحملها إلا حفنة قليلة من الدول الأفريقية. وهكذا يخسر الأفريقيون قضاياهم في حالة اختلافهم مع الدول الكبرى وحتى في حالة صدور قرار لصالح أي دولة أفريقية ضد دولة كبيرة فليس لدى منظمة التجارة أية آلية لفرض عقوبة جماعية على الدول المدانة. وهكذا في ظل هذه الخلفية لآليات اتخاذ القرار وفض المنازعات في منظمة التجارة العالمية يمكننا تقدير الآثار الحقيقية لاتفاقيات دورة أوجواي على الدول الأفريقية.

ثانياً: ارتفاع السلع: من الآثار المتوقعة للنظام الجديد في ظل العولمة أن ترتفع أسعار السلع الغذائية عالمياً ولذلك فإن أفريقيا المستوردة لغذائها من المنتظر أن تفقد جزءاً كبيراً من حصيلتها من العملات الأجنبية الضرورية لغذاء سكانها.

ثالثاً: الأراضي الأفريقية: ويضاف إلى ذلك أن الأراضي في أفريقيا مرشحة للمزيد من عمليات تحويلها من إنتاج الغذاء إلى استخدامات أخرى وطالما أن الأرباح ستظل هي القوى الموجهة للاقتصاد العالمي فإن رأس المال سيظل متاحاً للتنمية

الموارد الطبيعية في أفريقيا بهدف اشباع الحاجات الاستهلاكية للاغنياء وعلى سبيل المثال فإن صناعة السياحة في أفريقيا يجرى تطويرها أساساً لاشباع الاحتياجات الاستهلاكية للأثرياء في الغرب وليس لصالح الطبقة المتوسطة أو الطبقة العاملة الأفريقية. حيث يتم يومياً انشاء المزيد من ملاعب الجولف التي تحتل مساحات واسعة من الأراضي وحيث يتم ترحيل السكان وإزالة المجتمعات المحلية كما تزداد حدة نقص المياه الضرورية للمناطق التي تعاني من العجز في الغذاء.

والشيء الجوهري هنا هو أن النظام الجديد للتجارة قد أدخل الأراضي الزراعية الأفريقية في السوق العالمية في سياق شروط مختلفة كلية عن تلك التي كانت قائمة عادة الاستقلال وهي في الواقع تماثل الشروط التي كانت سائدة خلال الحقبة الاستعمارية حينما كان بمقدور أى شركة استعمارية وضع أيديها على أى أرض أفريقيا وقع عليها اختيار الشركة لاستثمارها ومعنى ذلك أن العولمة تسلب أفريقيا بعض المكاسب التي استطاعت تحقيقها بعد الاستقلال إبان فترة الحرب الباردة.

ولا شك أن خطر انتقال ملكية الأرض قد تضاعف في أفريقيا في ظل العولمة بسبب عاملين اضافيين أولهما الضعف الشديد الذي لحق بالدولة في أفريقيا خلال العقدين الآخرين والعامل الثاني يتمثل في تزايد الخوف داخل أفريقيا من عدم حصول دولها على الاستثمارات الأجنبية مما يعنى استمرار تهيمش القارة.

رابعاً: الملكية الفكرية والتنوع البيولوجي في أفريقيا: تعتبر مسألة حقوق الملكية الفكرية من القضايا التي لم تكن قط محل اختصاص منظمة التجارة العالمية فقد كان يتم تنظيمها بواسطة منظمة أخرى مقرها جنيف هي المنظمة العالمية للملكية الفكرية ولكن اكتسبت الملكية الفكرية أهمية غير مسبوقة في التجارة العالمية انطلاقاً من التغير الجذري في نظام الإنتاج الذي أصبح مبنياً بصورة متزايدة على المعرفة أو تكنولوجيا المعلومات ولم يتم الاكتفاء بادخال الملكية الفكرية في إطار منظمة التجارة العالمية بل أن منظمة التجارة العالمية وضعت قواعد جديدة لاحتكار هذا النظام لصالح الشركات عابرة القوميات وتتجلى

مخاطر هذا الوضع بالنسبة لأفريقيا في مجال الموارد الطبيعية حيث تتمتع أفريقيا بميزة نسبية على الغرب بسبب الهبة الطبيعية. وقد استنزف الغرب على مدى القرون الكثير من هذه الموارد وحولها إلى منتجات غذائية وكيميائية وحقق منها أرباحاً بالمليارات. وقد تم الاعتراف في مؤتمر ريو ١٩٩٢ بثروات الجنوب الطبيعية من خلال اتفاقية التنوع البيولوجي التي اعترفت ضمن أشياء أخرى بحقوق السكان المحليين في إدارة مواردهم الحيوية ولكن ما أقرته منظمة التجارة العالمية بصدد حقوق الملكية الفكرية المرتبطة بالتجارة قد تكفل بتقييد اتفاقية التنوع الحيوي من خلال المادة ٢٧ التي تعترف بأنظمة الحماية النباتية إلا أنها تسارع فتشترط أن يقترن ذلك بفاعلية هذه الأنظمة تجارياً فإذا كانت هذه الأنظمة غير فعالة أي غير تجارية فإن بإمكان الاحتكارات العابرة القومية رفع شكاوى أمام منظمة التجارة العالمية للحصول على هذه المواد المتولدة حيوياً وهكذا لم يعد أمام أفريقيا أي مجال للتفاوض في هذا الشأن ولا يمكن أن تكون هناك أنظمة عادلة في هذا الشأن ما لم يحصل مالكو الموارد المتولدة حيوياً (ومنها المجتمعات المحلية في أفريقيا) على سعر عادل مقابل مواردهم وما لم يحصلوا على نصيبهم في المنتجات النهائية حينما تطرح في الأسواق ولكن هذا ما حالت دونه منذ البداية الهيكلية التي أسستها دورة أورجواي حيث تضغط الشركات الاحتكارية العاملة في مجال الصناعات الزراعية والكيميائية من أجل تعظيم امتيازاتها بالاصرار على تطبيق اتفاقية حقوق الملكية الفكرية المرتبطة بالتجارة. وقد أعطيت الدول النامية مهلة أربع سنوات أو شكت على الانتهاء.

خامساً: في ظل اتفاقيات تحرير التجارة يتم حالياً تفكيك الصناعات المملوكة للدولة في سائر أنحاء أفريقيا حيث تم بالفعل إغلاق بعضها بينما يباع البعض الآخر للشركات الأجنبية ومن ناحية أخرى يفتح الباب على مصراعيه أمام الواردات الأرخص المجلوبة من الخارج مثال: كانت الصناعات التحويلية تشكل ٢٣% من إجمالي الناتج المحلي في زيمبابوي عام ١٩٨٩ حينما شرعت في تطبيق برامج التكيف الهيكلي. وقد انخفضت هذه النسبة عام ١٩٩٧ إلى ١٦,٨% أصبحت تشكل الآن ١٣% من إجمالي الناتج المحلي.

سادساً: أدت سياسة تحرير التجارة والخصخصة إلى سقوط النظام التفصيلي الذي كانت تنص عليه اتفاقية لومى بين الاتحاد الأوروبي والدول الأفريقية مما عرض أفريقيا لخسارة جزء كبير من حصتها في الأسواق الأوروبية خاصة ما يتعلق بمنتجات مثل الشاي والبن والموز والكافو في مواجهة المنافسة من آسيا وأمريكا اللاتينية. ومن المشكلات الهامة التي تواجه التصنيع في أفريقيا المغالاة في التعريف الجمركي في دول الشمال مما أسفر عن المزيد من الخسارة للمنتجات الأفريقية.

سابعاً: اخترقت منظمة التجارة العالمية قطاع الخدمات حيث أصبحت جزءاً من التجارة العالمية التي تسيطر عليها الشركات العملاقة والتي لا تتيح لدول الجنوب الفرصة لتطوير قدراتها في قطاع الخدمات ولذلك من المرجح أن تظل أفريقيا تستضيف إلى الأبد الشركات الغربية في هذا المجال.

ثامناً: مازال هناك في أفريقيا من ينظر إلى الاستثمارات الأجنبية المباشرة بوصفها العلاج لكل مشكلات التنمية ومما يؤكد ذلك النقص المتزايد في المعونات الغربية لمشروعات التنمية في أفريقيا وذلك لأسباب تتعلق بفساد الحكام الأفارقة وسوء استخدامهم للمعونات ولذلك تحول الاهتمام إلى الاستثمارات الأجنبية المباشرة بزعم أنها هي الوسيلة الوحيدة القادرة على إنقاذ أفريقيا من الأزمة التنموية والواقع أن الكثير من موارد أفريقيا المعدنية والطبيعية مثل الغابات والمصايد وحقوق النفط واقعة أصلاً في أيدي رأس المال الأجنبي فاستثمارات الأجنبي المباشرة في أفريقيا هي في الأساس وسيلة لاستخلاص الموارد الخام من القارة بأسعار زهيدة مثال أمريكا والنفط الأفريقي الرخيص الذي لن يوظف للتنمية الدول الأفريقية.

تاسعاً: تضغط الدول الكبرى في اتجاه توقيع اتفاقية متعددة الأطراف بشأن الاستثمارات بما يزيد من سيطرة رأس المال الأجنبي على الحكومات المحلية التي تعنى بالنسبة لأفريقيا بوجه خاص ألا يكون للحكومات الأفريقية سيطرة من أي نوع على كيفية قنوم رأس المال الأجنبي إلى بلادها ولا كيفية عملها ولن يكن رأس المال الأجنبي ملزماً بنقل التكنولوجيا أو استخدام عمالة وطنية

ولا بالشراء من الموارد المحلية وسيحصل رأس المال الأجنبي على معاملة أفضل من رأس المال الوطني فيما يتعلق بتحويل الأرباح إلى الخارج وحماية أفضل في مواجهة أى تهديد محتمل بالمصادرة من جانب الدولة. وباختصار فإن الافارقة إذا أرادوا أن يقيموا صناعات في بلادهم فإن هذا لن يتسنى تحقيقه إلا من خلال استقبال رؤوس الأموال الأجنبية.

عاشراً: الخصخصة لصالح الأجانب: إن الأصول الاقتصادية حينما يتم خصخصتها في أوروبا فإنها تظل في أيدي أوروبية لأن القطاع الخاص هناك يستطيع شراء الأصول المملوكة للدولة مثال خصخصة شركة تليكوم البريطانية. ولكن في أفريقيا تم اجبار الدولة الأفريقية من خلال ضغوط المانحين على تخصيص أصولها الوطنية للأجانب وكانت النتيجة هي وقوع هذه الأصول في أيدي أجنبية.

أخيراً: ازدياد ضعف الدولة في أفريقيا: تتصف الدولة في أفريقيا بالقوة والشراسة أحياناً في تعاملها مع الشعوب الأفريقية ولكنها في مواجهة الدول الأجنبية يبدو ضعفها وتهافتها بصورة مشينة في كثير من الأحيان خصوصاً أمام الدول المانحة التي استمرت طوال العقد الماضى في ضغوطها على الحكومات الأفريقية حتى أدت إلى التصفية الفعلية لكل وظائف الدول الاقتصادية.

المبحث الثاني

الإعلام الإفريقي في عصر المعلومات (*)

* أجرت الدراسة: أ.د. عواطف عبد الرحمن - أستاذه الصحافة والإعلام بكلية الإعلام جامعة القاهرة

من خلال شعارات الليبرالية الجديدة والسوق الحرة ومن خلال أطر قانونية محكمة (اتفاقيات الجات) استطاعت القوى العالمية المحكمة في السوق أن تعيد إنتاج الهيمنة الغربية على دول الجنوب في ثوب جديد يسمى العولمة. وفي ظل العولمة تم تهميش مجمل دول الجنوب وفي مقدمتها القارة الأفريقية التي تم حرمانها من التمتع بحقوقها في مواردها الطبيعية التي أقرتها اتفاقية التنوع الحيوي في قمة ريو دي جانيرو ١٩٩٢. كما تم تصفية وتفكيك الصناعات المملوكة للدولة في مختلف أنحاء أفريقيا وفتح الباب على مصراعيه أمام الواردات الأرخص المجلوبة من الخارج كما تم إسقاط النظام التفصيلي للمنتجات الأفريقية الأساسية مثل البن والكافو والشاي والموز مما عرض الدول الأفريقية لخسائر فادحة في الأسواق الأوروبية. هذا علاوة على حرمان أفريقيا من إمكانية التصنيع إلا برؤوس أموال أجنبية من خلال اتفاقية الاستثمار المتعددة الأطراف. ونتيجة للضغوط المتواصلة من جانب جماعة المانحين انتهجت الدول الأفريقية طوال العقد الماضي سياسات أسفرت عن التصفية الفعلية لكل وظائف الدولة الاقتصادية حيث تم إجبار الدول الأفريقية على خصخصة أصولها الوطنية. وإذا كانت قوى العولمة قد نجحت في تخلي الدول الأفريقية عن كثير من وظائفها ومسئولياتها فإن الإعلام الأفريقي له وضع آخر فهو لا يزال في أغلبه حكومياً. إذ أن أغلب الحكومات الأفريقية لا تزال تعتبر الإعلام أحد مسؤولياتها الرئيسية. ولذلك فإن خصخصة وسائل الإعلام لا تزال ظاهرة ناشئة في أفريقيا في ظل عدم تشجيع الحكومات التي تعتبرها تهديداً لنفوذها ومكانتها. هذا ويشير المشهد الإعلامي في أفريقيا إلى مجموعة من الحقائق والتحديات وبعض مظاهر التحسن النسبي نوجزها على النحو التالي:

أولاً: ملامح الخريطة الإعلامية والمعلوماتية في أفريقيا:

١- يسكن القارة الأفريقية ٦٣٦ مليون نسمة يعيش ٣٢% منهم في المدن فيما يعيش في الريف الأفريقي ٦٨% من سكان القارة. وهناك تعددية أثنية ولغوية (حوالي ١٣٠٠ لغة شفوية) وتبلغ نسبة الأمية في أفريقيا ٨٠%. وتشير احصاءات اليونسكو ١٩٩٦ إلى أن ١٨% من السكان يمتلكون الراديو ويعتمد الغالبية العظمى من شعوب القارة على الراديو كوسيلة أولى للأخبار. ولا تتعدى نسبة

استهلاك الصحف ٤ في الألف إذ يوجد فقط ١٧٥ صحيفة يومية و ٣٠٠ دورية أسبوعية وشهرية في جميع أنحاء القارة الأفريقية وهناك ٣١/٢% من سكان القارة يمتلكون التليفزيون و ٠,٠٣% يمتلكون الكمبيوتر. وتتفرد أفريقيا بعادات القراءة الجماعية للصحف والاستماع والمشاهدة الجماعية للإعلام المسموع والمرئي خصوصاً في الريف الأفريقي.

٢- يسيطر نمط الملكية الحكومي على مختلف وسائل الإعلام المقروء والمرئي والمسموع في أفريقيا ما عدا عدد قليل من الدول تنصدرها مصر وجنوب أفريقيا وكينيا وزامبيا وناميبيا والسنغال وتونس والمغرب والجزائر.

٣- يتركز الإعلام الأفريقي في العواصم والمدن الكبرى مما يعني اقتصار الخدمات الإعلامية على سكان المدن وحرمان الريف الأفريقي. كما أن السياسات الإعلامية في معظم الدول الأفريقية تركز على الجوانب السياسية والدعائية للحكام.

٤- يتركز سوق الإعلام الفضائي في منطقتي الانجلوفون والفرانكوفون. أما المناطق الناطقة بالبرتغالية فهي لا تزال تعيد إذاعة برامجها في انجولا وموزمبيق. ويتميز كل من شمال القارة ممثلة في مصر وجنوب القارة ممثلة في جنوب أفريقيا في مجال الفضائيات. إذ توزع شركة جنوب أفريقيا Multi Choice قنواتها على ٣٩ دولة أفريقية وتعتبر القناة رقم ٥ المخصصة للموسيقى أشهر هذه القنوات. كما أنشأت هيئة الإذاعة بجنوب أفريقيا قناة أفريقية الفضائية للأخبار وتقتصر هذه الخدمة على النخب القادرة على اقتناء الهوائيات. ومنذ عام ١٩٩٨ بدأت بعض الدول الأفريقية في استقبال قنوات النابلسات أول قمر أفريقي يديره اتحاد الإذاعة والتليفزيون المصري.

٥- تتوفر الخدمات المعلوماتية في ٢٧ دولة أفريقية أغلبهم في منطقة الفرانكوفون حيث بدأ استخدام المينتيل قبل أن تصبح خدمات الانترنت متاحة في القارة والتي بدأت تنتشر في السنوات الأخيرة حيث أصبحت معظم الدول الأفريقية متصلة بشبكة الانترنت وهناك عدد قليل من الدول الأفريقية التي تمتلك خطوط اتصال دولية على الانترنت ومعظمها يتم عن طريق الأقمار الصناعية. أما البريد الإلكتروني فهناك تزايد في عدد المشتركين خصوصاً الهيئات العامة مثل

المستشفيات والشرطة. ويبلغ عدد مستخدمي الانترنت ٢٢ مليون و ٨٧٠ ألف منهم ١٣ مليون مستخدم في جنوب أفريقيا والـ ٩ مليون الباقية لسكان القارة إلى ٦٣٦ مليون نسمة.

٦- تشير الاحصاءات إلى أن نسبة استخدام الأفراد للتليفونات في افريقيا تبلغ ١,٤% علماً بأن أغلب التليفونات تتعرض للعطل أثناء مواسم المطر. ومما يجدر ذكره أن ٥٠% من خطوط التليفون تتركز في العواصم الكبرى حيث يعيش ١٠% من سكان القارة. ومما يثير الدهشة أن معدل توفر الخطوط الرقمية في القارة تقترب من النسبة العالمية إذ تبلغ ٦٩% فيما لا تزيد النسبة العالمية عن ٧٩%. هذا ويتدنى معدل الخدمة التليفونية في دول الساحل التي تضم النيجر ومالي والكونغو إذ لا يزيد عن جهازين لكل ألف نسمة فيما تزداد الكثافة التليفونية في كل من الشمال والجنوب الأفريقي حيث تبلغ ٣٥ جهازاً لكل ألف نسمة أما غرب وشرق القارة فالنسبة تتراوح بين ٢,٥، ١٠ أجهزة لكل ألف نسمة. وقد أدى ذلك إلى مضاعفة سعر الخدمات والخطوط التليفونية فهي تستهلك ٢٠% من الدخل القومي للدول الأفريقية فيما لا يزيد المعدل العالمي عن ٩%. وقد ترتب على ذلك سرعة انتشار المحمول في الدول الأفريقية كبديل عن قلة الخطوط التليفونية. وقد أصبحت هذه الخدمة متاحة في ٤٥ دولة أفريقية. ورغم ضآلة الخطوط التليفونية إلا أن نسبة استخدام المكالمات الدولية يتجاوز المعدل العالمي ويعزى ذلك إلى زيادة اعداد الافارقة الموجودين خارج القارة والذين يحرصون على مداومة الاتصال بأهاليهم داخل القارة.

٧- هذا وقد قامت ٢٥ دولة أفريقية بخصخصة هيئات الاتصالات السلكية الوطنية من بينها ساحل العاج وغانا وغينيا والسنغال وجنوب أفريقيا وأوغندا. كما أقامت ٢٠ دولة أفريقية نظاماً مستقلة أو شبه مستقلة في الاتصالات. وهناك ١٥ دولة أفريقية منها الكاميرون ومدغشقر وتانزانيا ومالاوي بدأت في إجراءات الخصخصة لقطاع الاتصالات.

الإعلام الأفريقى المشترك:

يعانى الإعلام الأفريقى المشترك من عدة قصورات تحول دون قيامه بدور فعال فى خدمة قضايا القارة اقليمياً وعالمياً علاوة على عجزه عن تلبية الاحتياجات الإعلامية والاتصالية لسكان القارة وتتمثل هذه القصورات فى:

١- ضعف الأداء الإعلامى لوكالة بانا الإقليمية التى تضم ما يزيد عن ٢٢ وكالة أنباء أفريقية ومقرها السنغال. وقد أتجهت فى الفترة الأخيرة إلى الخصخصة بعد معاناة طويلة بسبب عدم التزام الدول الأعضاء بدفع الاشتراكات وضعف التمويل الدولى وعدم كفاية الكوادر المؤهلة المدربة فضلاً عن غياب الاستراتيجية الإعلامية الأفريقية الموحدة.

٢- ضعف الأداء الإعلامى لاتحاد الإذاعات الأفريقية الذى يضم ٢٤ دولة أفريقية ويتولى بث وتوزيع البرامج المحلية والأجنبية فى ضوء الاتفاقيات المعقودة بين الدول الأعضاء وبعض المنظمات الدولية.

وقد اسفرت هذه القصورات عن ترك الساحة الأفريقية خالية أمام شبكات الاتصال الدولية مثل CNN، BBC، يورونيوز والشبكة الفرنسية التى يتركز نشاطها فى كل من دكاكر وجوهانسبرج ونيروبى ولاجوس وهزارنى ولوزاكا.

التحديات التى تواجه الإعلام الأفريقى:

لا شك أن غياب البنية التحتية للاتصالات والمعلومات فى معظم أنحاء القارة ما عدا المدن والعواصم الكبرى قد حال دون الاستفادة من الثورة التكنولوجية فى مجالى الاتصال والمعلومات مما أدى إلى إتساع الفجوة بين أفريقيا وسائر القارات من ناحية وفى داخل القارة من ناحية أخرى. ومما فاقم هذا الوضع استمرار وتزايد معدلات الأمية والفقر خصوصاً فى المناطق الريفية النائية فى أفريقيا. ورغم وجود بعض مظاهر التحسن النسبى إلا أنه لم يبلغ المعدل المطلوب الذى يسمح بتحقيق الحد الأدنى العادل من الخدمة الإعلامية والاتصالية والمعلوماتية لسكان القارة.

وتتمحور الصعوبات في هذا المجال حول:

١- ضعف الاستثمارات في مجالي الاتصالات والمعلومات ومما يجدر ذكره أن القطاع الخاص في الدول الأفريقية يحجم عن انشاء صحف أو إذاعات تتوجه إلى المناطق الريفية المهمشة ويؤكد ذلك أن التراخيص لا تمنح إلا للمحطات التي تقام في مناطق حضرية ذات كثافة سكانية عالية مما يضمن للمعلنين دخلاً وإقبالاً جماهيرياً.

- هبوط مستوى الخدمات الاتصالية والإعلامية الحكومية.

- نقص الكوادر المؤهلة والمدربة في مجال الإعلام والمعلومات.

- استنزاف القروض الدولية في تغطية نفقات الاتصالات التليفونية واستخدام الانترنت. وتشير التقديرات الدولية إلى ضرورة توفير اعتمادات تتراوح ما بين ٤-٦ مليار دولار لتحسين الخدمات الاتصالية والمعلوماتية سواء من حيث الكثافة أو النوعية وإلا ستظل أفريقيا في ذيل دول العالم في مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات.

- هذا وتشير الشواهد إلى وجود ثلاثة أنواع من التحديات تواجه الإعلام الأفريقي تتراوح ما بين تحديات تكنولوجية وتحديات مهنية وتحديات ثقافية. وتفصيلاً لذلك:

التحديات التكنولوجية تتمثل في:

١- سيطرة الشركات المتعدية الجنسية على إنتاج وتسويق التكنولوجيا الاتصالية والمعلوماتية في أفريقيا.

٢- معظم الدول الأفريقية لا تملك بنية تحتية ولا كوادر بشرية مؤهلة ولا قدرات تمويلية تمكنها من توطين التكنولوجيا الاتصالية والمعلوماتية باستثناء جنوب أفريقيا ونيجيريا. وقد ترتب على ذلك اعتماد الدول الأفريقية على القروض الأجنبية بما لها من تداعيات سلبية على مسيرة الإعلام الأفريقي وتوجهاته مع الاكتفاء بنقل التكنولوجيا دون العمل على توطينها.

التحديات المهنية:

لقد أدت السيطرة الحكومية على وسائل الإعلام الأفريقية إلى حرمان الإعلاميين الأفارقة والجماهير من حقوقهم فى حرية التعبير والمشاركة كما أدى ذلك إلى زيادة عجز النقابات الصحفية فى أفريقيا عن القيام بمسؤولياتها تجاه المهنة وحماية حقوق الصحفيين.

هذا ويعانى الإعلام الأفريقي من ضعف التدفق البينى فى المعلومات والأخبار بين الدول الأفريقية إذ لا يزيد عن ٢% بسبب اعتماد الإعلام الأفريقي على المصادر الغربية التى تشمل الفضائيات وشبكات المعلومات مثل الانترنت والمينيتيل. كما أدت الفقرة المفاجئة فى استخدام شبكات المعلومات واقتناء الهواتف إلى حدوث خلل وعدم توازن فى الممارسات الإعلامية فى أفريقيا. ويعزى ذلك فى الأساس إلى عدم إجراء التعديلات اللازمة فى السياسات الإعلامية والثقافية بما يتلائم مع طبيعة المرحلة الراهنة ومتطلباتها. وإذا كانت الصحافة الأفريقية قد أستفادت جزئياً من الثورة التكنولوجية فى الاتصال والمعلومات خصوصاً فى مجال النشر والتوثيق والطباعة واستخدام الأقمار الصناعية فى إصدار طبعات اقليمية ودولية مثال مصر - الجزائر - جنوب أفريقيا - نيجيريا - كينيا - زامبيا - إلا أن الصحافة الأفريقية لا تزال تعاني من تدنى الامكانيات فى تكنولوجيا الطباعة (صناعة الورق - الأخبار .. إلخ) وإهمال التدريب للصحفيين الأفارقة وتخلف برامج التأهيل الأكاديمى علاوة على تراث السيطرة الحكومية.

التحديات الثقافية:

تتعرض السماوات الأفريقية للبث المباشر المنتظم من جانب ٣١٠ قناة فضائية تنتمى إلى ٥ شبكات رئيسية عالمية للأقمار الصناعية والاتصالات الفضائية. وبشكل الولايات المتحدة القاعدة الأهم والأكثر تأثيراً للمشروع الثقافى العولمى بوجهه الاحتكارى وقدراته التكنولوجية الهائلة وأدواته الإعلامية والمعلوماتية المتقدمة التى تلعب الدور الحاسم فى نشر وترويج الثقافة الاستهلاكية ذات الطابع التجارى والتى تسعى بدأب لإعادة بناء المنظومة الثقافية والقيمية لدى شعوب العالم بما يخدم مصالح السوق وأيديولوجيتها وذلك من خلال تهमيش الثقافات الأخرى وفى مقدمتها الثقافة

الأفريقية. وفي ظل اكتساح الثقافة الأمريكية للعالم بسبب هيمنتها الاتصالية والمعلوماتية يبرز أمامنا بوضوح التنافس بين الثقافتين العالميتين الثقافة الأنجلوأمريكية والثقافة الفرنسية للسيطرة على العالم. وتعد أفريقيا ساحة رئيسية لهذا التنافس حيث تبرز الفرانكوفونية كأداة لمقاومة نزعة الهيمنة التي تكرسها الانجلوفونية باعتبارها أداة التواصل الأكثر ذبوعاً وانتشاراً سواء على النطاق العالمي أو في القارة الأفريقية بوجه خاص من خلال ما تبثه من برامج ومسلسلات مرئية ومسموعة وتستهدف الترويج لنمط الحياة الأمريكية. وتتعرض أفريقيا حالياً للاختراق الثقافي الأمريكي من خلال شبكات المعلومات والفضائيات والطريق السريع للاتصال والمعلومات حيث تستكمل الدور الذي تقوم به الشركات المتعدية الجنسية والثلاثي والاقتصادي (البنك الدولي + صندوق النقد الدولي + منظمة التجارة العالمية) والثمانية الكبار للسيطرة على الأسواق الأفريقية ويتم الاختراق الثقافي للدول الأفريقية لصالح السوق العالمية وعلى حساب أي محاولات وطنية للنهوض أو الاستقلال أو التمايز الاقتصادي والثقافي.

مؤشرات التحسن النسبي في الإعلام الأفريقي:

في ضوء الادراك العالمي المتزايد بضرورة تطوير تكنولوجيا الاتصال والمعلومات لدفع عجلة التنمية في أفريقيا برزت كثير من المبادرات الدولية لتيسير وصول شعوب القارة إلى مصادر وشبكات المعلومات والاتصال الدولية قدمتها كل من اليونسكو والاتحاد الدولي للاتصالات والهيئة الكندية للتنمية الدولية ويضاف إلى ذلك البرامج العديدة لتطوير البنية الإتصالية والمعلوماتية في القارة والتي طرحها السكرتير العام للأمم المتحدة. وهناك عدة مؤشرات للتحسن تتمثل في القرارات التي صدرت عن مؤتمر أديس ابابا الذي عقده اليونسكو عام ١٩٩٥ وقد نجح في إعداد إطار تنظيمي لتطوير استخدام الكمبيوتر في مشروعات التنمية تجسد في الوثيقة التي تبناها وزراء الإعلام الأفارقة عام ١٩٩٦ وعرفت باسم (المبادرة الأفريقية في مجال المعلومات). وتركز هذه الوثيقة على خطط تطوير البنية التحتية في مجال الاتصال والمعلومات في إطار الأولويات التنموية للدول الأفريقية من خلال تعزيز التعاون بين الدول الأفريقية. وقد بدأت بعض الدول الأفريقية في تنفيذ ما نصت عليه هذه الوثيقة

مثل بوركينا فاسو والكاميرون وجزر القمر وأثيوبيا وجنوب أفريقيا ورواندا وموزمبيق ونامبيا وليسوتو وأوغندا. كذلك اتخذ مؤتمر ابيدجان للاتصالات المشتركة بين الدول الأفريقية الذي عقد عام ١٩٩٨ عدة قرارات هامة تنص على الزام وزارات الإعلام بوضع سياسات جديدة في مجال إعادة تسعير الخدمات الاتصالية. وقد أثمرت هذه الجهود في إعداد وثيقة عرفت بعنوان (علاقات التعاون الاتصالي بين الدول الأفريقية) شارك في إعدادها ٤٠ وزير إعلام أفريقي وتهدف إلى انشاء ١٥ مليون خط تليفوني خلال السنوات الخمس القادمة. وقد تضمنت الوثيقة الإشارة إلى ضرورة تأسيس مراكز للاتصال والمعلومات في المناطق الريفية وقد ساند الاتحاد الدولي للاتصالات وبعض الهيئات الدولية الأخرى هذا المشروع مما أسفر عن تأسيس ٢٠ مركزاً تجريبياً في أنحاء مختلفة من القارة.

هذا وتتصدر اليونسكو جميع المنظمات الدولية في منح أولوية قصوى لتطوير قطاع المعلومات والاتصالات في أفريقيا من خلال تعزيز برامج التعاون الإقليمي والاهتمام بالإعلام الريفي في القارة. وقد برز ذلك في عدة مشروعات أبرزها شبكات تدريب المعلمين على تكنولوجيا الاتصال واستخداماتها في مجال التعليم وقد بدأ هذا المشروع في كل من السنغال وزيمبابوي وسوف يمتد ليشمل ٢٢ دولة أفريقية. كما وافق البرنامج النهائي للأمم المتحدة على تخصيص ٦ مليون دولار لتحسين استخدامات الانترنت في أفريقيا فيما عرف بمشروع أو مبادرة الانترنت في أفريقيا. وقد شاركت في هذا المشروع كل من أنجولا وبوركينا فاسو والرأس الأخضر وتشاد والكونغو وجامبيا وموريتانيا ونامبيا وساوتومي وبرنسيب وسوازيلاند وتوجو. أما برنامج الأمم المتحدة للبيئة فقد أسس شبكة الاتصالات البيئية في أفريقيا. وتقدم منظمة الدول الناطقة بالفرنسية مساعدات أساسية لبرامج ومشروعات التكنولوجيا الاتصالية في أفريقيا الفرنكوفونية. وقد بدأت ثمارها تظهر في كل من بوركينا فاسو والكاميرون وساحل العاج ومدغشقر ومالي وموريشيوس وموريتانيا والسنغال.

وخلاصة ما يمكن قوله بالنسبة لهذه المساعدات الدولية أنها تسعى بالفعل إلى تضيق الفجوة بين أفريقيا وسائر قارات العالم من ناحية وداخل أفريقيا ذاتها بين الريف والحضر والأغنياء والفقراء من ناحية أخرى. خصوصاً وأن المخاوف تتزايد

عندما نلاحظ أن معدلات اختفاء الأمية وتحسين نوعية الحياة والحالة الصحية وسائر مؤشرات التنمية البشرية لا تزال منخفضة في القارة الأفريقية لذلك فإن المساعدات الدولية ما لم يصاحبها جهود وطنية مخلصه من أبناء القارة وطلائعها الشعبية المستتيرة لمساعدة القارة على النهوض باستخدام التكنولوجيا الملائمة وتحقيق معدلات التنمية اللائقة المصحوبة بعدالة توزيع عائد الثروات على جميع هؤلاء الذين ينتمون للقارة في الريف والحضر ما لم يحدث ذلك فإن تحقيق هذا الأمل سيظل حلمًا جميلًا.

المبحث الثالث

الصحافة الأفريقية بين الاستقلال والتبعية (*)

* أجرت الدراسة: أ.د. عواطف عبد الرحمن - أستاذه الصحافة والإعلام بكلية الإعلام جامعة القاهرة

نقدم لنا الدول الأفريقية في مجملها وجهين متضادين فهي تمثل من جهة ظاهرة اقتصادية واجتماعية وسياسية وسكانية متشابهة عند مقارنتها بالدول المتقدمة ولكن ما أن ينظر إلى هذه الدول بمعزل عن بقية العالم حتى تبدو شديدة التنوع. وهذا التنوع لا يقتصر على الدول ذاتها بل إن في كل دولة منها تنوعاً مذهباً يرجع إلى مجموعة من العناصر المركبة. فهي تتكون أولاً من سكان ذوى أصول قبلية متنوعة وفي داخل كل وحدة من هذه المجموعات تتمتع الجماعات التي تكونها بأصالة قوية. كما أن تنظيم هؤلاء السكان كان يقوم عند احتكاكهم بالغرب على أسس اجتماعية مختلفة. وقد توصلت الدول الأفريقية في تطورها إلى نظم اقتصادية واجتماعية شديدة التباين يمكن وصف خطوطها العريضة بأنها تتراوح بين التنظيم القبلي الذي يقوم على الشيوع وبين النظم شبه القطاعية التي يتفاوت تنظيمها من بلد إلى آخر بدرجات مختلفة. وفي معظم هذه البلاد تتعايش أشد أشكال التنظيم تطوراً مع أكثرها بدائية. وخلافاً للدول المتقدمة التي تطورت بصورة ذاتية فإن الدول الأفريقية لا يمكن تقييم أوضاعها الراهنة إذا أغفلنا النفوذ الأجنبي. فلقد تباينت النظم الاستعمارية كثيراً بتباين الأمم واختلاف العصور وكذلك اختلفت وسائلها وأهدافها إذ تختلف بصورة واضحة نماذج كل من الاستعمار الإسباني والبرتغالي في القرنين ١٦، ١٧ عن تلك التي تقابل العهود الأولى من الثورة الصناعية^(١).

وقد يبدو من الضروري أن نستعرض بشكل موجز آثار الظاهرة الاستعمارية الأوربية على الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمعات الأفريقية ثم نتابع ردود الفعل الأفريقية التي تمثلت في حركة التحرر الوطني الأفريقي التي بدأت تفرض نتائج وجودها منذ نهاية الخمسينات في القرن العشرين. وعندما نتأمل قليلاً الظاهرة الاستعمارية الأوربية نلاحظ أنها تمخضت عن ثلاثة أشكال كان لكل منها أسلوبه المميز سواء في الحكم أو في الاستغلال الاقتصادي أو في إدارة الصراع مع القوى المحلية. فنلاحظ أن الرأسمالية التجارية الأوربية قد أفرزت أقدم الأشكال الاستعمارية وأكثرها تخلفاً وتتمثل في كل من الاستعمار الإسباني والبرتغالي في القرنين ١٦، ١٧

(١) جون هاتش: تاريخ إفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية ترجمة عبد العليم منسى - دار الكاتب العربي -

تليها في الترتيب الزمني الرأسمالية الصناعية الأوروبية التي أدى تطورها في القرنين ١٨، ١٩ إلى ظهور كل من الاستعمار البريطاني والفرنسي والألماني والبلجيكي. أما الشكل الثالث والأخير فهو يتجسد في ظاهرة الاستعمار الاستيطاني الأبيض في بداية القرن العشرين وكان الجزء الجنوبي من القارة الأفريقية هو مجالها الحيوى ولقد ساهمت طبيعة المستعمر ودرجة تطوره في سلم الرأسمالية الأوروبية في تحديد شكل ومضمون الصراع مع شعوب المستعمرات. فنلاحظ أن كلا من الاستعمار الفرنسي والبريطاني قد خلق مناخاً للصراع مختلفاً عن ذلك المناخ الذي فرضه كل من الاستعمار البرتغالي والاستيطاني فقد اتسمت السلطة الاستعمارية الفرنسية بالطابع الأوتوقراطي أكثر من الاستعمار البريطاني الذي كان يعتمد على أساليب للحكم اتسمت بالمرونة والليبرالية من حيث السماح بقيام أحزاب وطنية وبالتالي صدور صحف وطنية تعبر عن هذه الأحزاب. وقد ساعد هذا المناخ على نشوء حركات وطنية اتبعت الأسلوب السلمى في كفاحها ضد الاستعمار البريطاني. وقد حققت هذه الحركات السلمية أهدافها في الحصول على الاستقلال الكامل أو المشروط أو مجرد وعد بالاستقلال ووصلت إلى ذروة نجاحها في نهاية الخمسينات وبداية الستينات في القرن العشرين.. هذا بينما تجد أن المستعمرات الأفريقية التي لجأت إلى الكفاح المسلح هي التي خضعت للاستعمار الأكثر تخلفاً والذي يتميز بروح القهر الصليبية حيث قام بتحويل الشعوب الأفريقية التي خضعت له إلى مجموعة من الكادحين المعدمين وبالتالي فقد جاءت ثوراتها الوطنية متأخرة عن سواها ولكنها تتميز بالعنف المسلح وتشتمل على مطالب كل من الثورتين الوطنية والاجتماعية معاً.

هذا وقد تبلورت على أرض القارة الأفريقية في أعقاب الحرب العالمية الثانية وحتى أوائل الستينيات ثلاثة اتجاهات رئيسية لتحقيق التحرر الوطنى والحصول على الاستقلال يمكن إنجازها على النحو التالى:-

أولاً: الاتجاه السلمى المعتدل الذى تمثل فى اقتناع بعض الزعامات الأفريقية بفكرة العمل داخل النظام الاستعماري للحصول منه على الاستقلال من خلال العمل الدستورى وقد عبر عن هذا الاتجاه كل من نيجيريا والسنغال وساحل العاج.

ثانياً: الاتجاه السلمي الراديكالي وقد تبنته التنظيمات الشعبية التي تصدت للقوى الاستعمارية ووضعتها أمام الاختيار بين منح الاستقلال السياسي لهذه التنظيمات الوطنية أو المواجهة الشعبية الحادة التي كانت تملك هذه التنظيمات القدرة على تفجيرها وقد عبر عن هذا الاتجاه كل من غينيا وغانا وتنجانيقا.

ثالثاً: الكفاح المسلح وقد لجأت إليه الجماهير الأفريقية لمواجهة حكم المستوطنين الأوروبيين مباشرة إذ أنها لم تجد مفرأ من اللجوء إلى الكفاح المسلح الذي واجه عدة انتكاسات في روديسيا وصفى في كينيا ونجح في إطار الثورة الوطنية الشاملة في كل من الجزائر وانبولا وموزمبيق وغينيا وزيمبابوي^(١).

وقد انقسم المجتمع الأفريقي أثناء الفترة الاستعمارية إلى ثلاثة قطاعات، القطاع التقليدي وقطاع المهنيين وعمال المدن وفيما بينهما قطاع الحرفيين الذي كان ينتمى بعض أفرادها إلى عائلات وقبائل لها وزنها في المجتمع إذ كانت تتمتع برسوخ مكانتها وراثتها النسبي. وقد كان للاستعمار الأوربي أثر على التركيب الاجتماعي للمجتمعات الأفريقية يتكون من عدة أبعاد أولها أنه أضعف الحكم القبلي بأن قلل من شأن وطبيعة المجتمع المستقرة وثانيها أنه خلق طبقة بورجوازية جديد من المحامين والأطباء والمدرسين والتجار وثالثها أنه خلق طبقة بورجوازية صغيرة متمدينة ومتداخلة مع العمال وتتكون من العمال المهرة والكتبة وصغار المدرسين والتجار والصحفيين وهذه الطبقة تمثل غالبية سكان المدن كما كانت تعيش قريبة من القطاعات الواسعة من العمال الريفيين^(٢).

المتفقون الأفريقيون في مرحلة التحرر الوطني:

لقد لعب المتفقون الأفريقيون دوراً قيادياً في مرحلة التحرير الوطني سواء الرعيل الأول منهم والذي كانوا ينتمون في غالبيتهم إلى الأوساط البورجوازية الاصلاحية وكانوا يهدفون في أفضل الأحوال إلى تحقيق التسويات مع السلطات

(١) جاك وودز: جذور الثورة الأفريقية - ترجمة فؤاد بلع - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧١ - ص ٤٠٢-٤٠٧.

(٢) عدد من العلماء السوفيت: التركيب الطبقي للبلدان النامية - ترجمة داود حيدر ومصطفى الدياس - منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٧٤ - ص ٣٥٧-٣٦٧.

الاستعمارية. أما الرعيل الثانى من المثقفين الأفريقيين فقد تميز بالأسلوب الراديكالى فى مواجهة السلطات الاستعمارية مما ساعدهم على تحقيق الاستقلال الوطنى وقد كان الحصول على الاستقلال نذيراً بحمل كثير من التغيرات الجوهرية التى طرأت على موقع المثقفين الأفريقيين وأدوارهم فى الدول الأفريقية المستقلة. إذ تبنى بعضهم فكر ومصالح الجماهير الأفريقية بينما انصرف البعض الآخر عن مواقع الريادة بأساً من الأوضاع التى نشأت بعد جلاء المستعمرين هذا فى الوقت الذى تعلق فيه الفريق الثالث بأذيال الحكومات الأفريقية الجديدة كناطقين باسمها ومبررين لسياساتها. هذا هو التغير الذى طرأ على مواقع المثقفين الأفريقيين بعد الاستقلال. أما أدوارهم فقد تعرضت لتغيرات أساسية وذلك بسبب المهام والمسئوليات التى أصبحت تواجهها الحكومات الأفريقية بعد الحصول على الاستقلال من ناحية وبسبب التغير الذى طرأ على علاقة المثقفين الأفريقيين بالسلطة السياسية من ناحية أخرى. فقد أصبحت المهمة الأولى أمام الحكومات الأفريقية هى إعادة بناء الدولة بصورة جذرية سواء على المستوى الاقتصادى أو السياسى أو الثقافى. وإذا كانت هذه المرحلة لا تحتاج بالدرجة الأولى إلى دعاة سياسيين وخطباء بقدر حاجتها إلى مهندسين وأطباء وخبراء فنيين فى شتى المجالات فإن ذلك لا يعنى انتهاء دور المثقفين بقدر ما يعنى التغير فى نوعية هذا الدور إذ يبدأ دورهم فى التراجع كطليعة سياسية ويفتح أمامهم امكانيات وأفاقاً جديدة لم تكن موجودة فى المرحلة الاستعمارية وتبدأ أمام المثقفين مهمة إعادة بناء الثقافة الوطنية وبعث الجوانب الإيجابية فى التراث الأفريقى. والواقع أن الدور القيادى للمثقفين الأفريقيين فى مرحلة التحرر الوطنى ذو طابع مؤقت ومحدود تاريخياً. ويظل هذا الدور ممكناً طالما أن هناك ضرورة موضوعية تفرضها أوضاع الدول الأفريقية للتحرر من السيطرة الأجنبية. ولكن فى سياق تحول المجتمعات الأفريقية التى كانت خاضعة للسيطرة الاستعمارية إلى مجتمعات مستقلة تتطلع إلى التصنيع وإعادة البناء من خلال برامج طموحة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية هنا يتغير موقع ودور المثقفين الأفريقيين وتفرض عليهم المرحلة الجديدة مسئوليات ومهام جديدة^(١).

(١) عواطف عبد الرحمن: مقدمة فى الصحافة الأفريقية - منشورات الجمعية الأفريقية - القاهرة ١٩٨٠ - ص ٤٠-٤٢.

الصحافة الأفريقية في مرحلة التحرر الوطني:

لم تشهد الدول الأفريقية نشوء صحف وطنية طوال المرحلة الأولى من وجود الاستعمار الأوروبي والتي امتدت حتى بداية القرن العشرين فيما عدا بعض الدول مثل غانا ونيجيريا اللتين شهدنا ظهور صحافة وطنية مزدهرة وقادرة على توجيه النقد للسلطات الاستعمارية وذلك منذ وقت مبكر يرجع إلى نهاية القرن التاسع عشر. وتتميز منطقة غرب أفريقيا الناطقة بالانجليزية بأنها كانت مهداً لأول صحيفة أفريقية تصدر بالقارة ويمتلكها ويصدرها صحفى أفريقي هو شارل بانومان الذى أصدر صحيفة (أكرا هيرالد) منسوخة على اليد ١٨٥٧. وقد تحولت فيما بعد إلى صحيفة مطبوعة وتغير اسمها إلى وست أفريكان هيرالد. ولا شك أن الاختلاف الأساسى بين السيطرة الفكرية والثقافية لكل من الاستعمار البريطانى والفرنسى علاوة على اختلاف نوعية ومعدل تطور الحضارات التقليدية فى الدول الأفريقية التى خضعت لهذين النوعين من الاستعمار كان له تأثيره الواضح فى ازدهار الكلمة المطبوعة فى المناطق الناطقة بالانجليزية (الانجلوفون) عنها فى المناطق الناطقة بالفرنسية (الفرانكوفون).

وقد ارتبط نشوء الصحافة الوطنية فى أفريقيا بنمو النخبة الوطنية التى تصدت لقيادة الحركة الوطنية فى الدول الأفريقية وقد تبلور نشاطها فى شكل تجمعات أو تنظيمات شبه حزبية. وكانت معظم الحركات الوطنية تتمحور حول النشرة السياسية ثم يأتى بعد ذلك التجسيد المادى للحركة فى شكل أعضاء أو كيان تنظيمى. وتبرز مصر كمثال واضح فى هذا الصدد فمن الطواهر الجديرة بالذكر فى تاريخ الحياة السياسية المصرية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هو أن أغلب الأحزاب قد بدأت خطواتها الأولى بتجمعات حول الصحف بمعنى آخر أنه بدلاً من أن تنشئ الأحزاب صحفاً ناطقة باسمها انشأت الصحف أحزاباً كتجسيد مادى لأرائها فالحزب الوطنى كونه مصطفى كامل مؤسس صحيفة اللواء وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية ترأسه الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد كما أن حزب الأمة خرج أساساً من صحيفة الجريدة وكان لطفى السيد مدير تحريرها سكرتير الحزب والمعبر الحقيقى عن آرائه. هذا وقد لغبت الصحافة الوطنية فى أفريقيا عدة أدوار اختلفت وتتوعد باختلاف وتنوع مهام كل مرحلة من مراحل الكفاح الوطنى من أجل

الاستقلال. فإذا كانت الصحافة قد استندت في مرحلة الكفاح السلمي إلى تنظيمات سياسية وأحزاب تمثل الشرائح المتوسطة أو الصغيرة من البورجوازية الوطنية. فإن الصحافة الأفريقية في مرحلة الكفاح المسلح قد عبرت عن ثورات وطنية يشكل الفلاحون الفقراء هيكلها النضالي وقد اقتصرت الصحافة الوطنية في مرحلة الكفاح السلمي على رفع شعار الاستقلال السياسي وانحصر دورها في طرح المطالب الوطنية فقط دون التعرض للأبعاد الاجتماعية. أما صحافة الكفاح المسلح فقد كانت تطالب بالاستقلال السياسي الشامل وتطرح رؤية كاملة للتغيير الاجتماعي. ولذلك فإن مضمون هذه الصحافة كان أكثر شمولاً وراديكالية في طرحها لمختلف القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من صحافة المرحلة الأولى وأبرز مثال لذلك صحيفة المجاهد لسان حال الثورة الجزائرية (١٩٥٤ - ١٩٦٢) التي لم تكن امتداداً للصحافة الوطنية السابقة عليها سواء من حيث الشكل أو المضمون أو كوادرات المحررين. وقد عانت صحافة الكفاح المسلح من نقص الإمكانيات وعدم وجود كوادر مدربة واعتمدت على المعونات التي كانت تنلقاها من الدول الأفريقية المستقلة والدول الاشتراكية وبعض الهيئات الأوربية المتعاطفة مع النضال الأفريقي. هذا بينما لم تعان صحافة الكفاح السلمي من نقص الإمكانيات بقدر معاناتها من قيود السلطة الاستعمارية (المصادرة - اعتقال المحررين - إلغاء تراخيص الصحف). وإذا كان التراث القبلية والامية وتعدد اللغات تمثل أبرز الصعوبات التي واجهتها الصحافة الأفريقية في المرحلتين فإن صحافة الكفاح المسلح قد نجحت في استخلاص أساليب جديدة للتغلب على أمية الجماهير وذلك بالاستعانة بالمسؤولين السياسيين الذين كانوا يقومون بقراءة النشرات الثورية للجماهير وإبلاغهم بنتائج المعارك علاوة على دورهم في مجال التعبئة السياسية والثورية. هذا بينما اقتصرت الصحافة الوطنية في مرحلة الكفاح السياسي على التعامل مع شريحة صغيرة من الجماهير الملتفة حول النخبة الوطنية^(١).

(١ أ) Rosalyn Ainslie: The press in Africa- communications past and present - New York. 1967.

(١ ب) Dennis Wilcox: Mass Media in Black Africa, Philosophy and control. Praeger Publisher - New York. 1976. Pp. 48-51.

(١ ج) عواطف عبد الرحمن: الدعاية الثورية في إفريقيا - دراسة تحليلية لصحافة حركات التحرر الأفريقية - مذكرات غير منشورة - كلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٧٧.

الصحافة الأفريقية في مرحلة الاستقلال:

لقد طرأ تغير شبه جذري على دور الصحافة الأفريقية في مرحلة بناء الدولة الوطنية بعد الحصول على الاستقلال إذ فقد النشاط الصحفي والدعائي أهميته السابقة وتغيرت طبيعة المهام التي كانت تقوم بها الصحافة أثناء مرحلة التحرر الوطني. كما كان للميراث الاستعماري تأثيره السلبي على مواقف الزعماء الأفريقيين من الصحافة بعد الاستقلال. فلعله من المثير حقاً أن نعلم أن معظم هؤلاء الزعماء قد بدأوا نضالهم السياسي في الميدان الإعلامي كمحررين أو ناشرين لصحف أو نشرات وطنية وقد برز منهم كينياتا في كينيا ونيريري في تانزانيا وتروما في غانا وأزيكوي في نيجيريا. وانطلاقاً من هذه البداية فإن معظم الزعماء الأفريقيين أصبحوا يخشون الصحافة لأنهم يدركون قدراتها التأثيرية على الجماهير وبالتالي قدرتها على تغيير النخبة الحاكمة. لذلك نجد أن كثيراً من الزعماء الأفريقيين قد توسعوا في الإطار القمعي ليس فقط من أجل المحافظة على نفوذهم وبقائهم في السلطة في الأساس ولكن أحياناً من أجل أهداف وطنية مثل ربط مسؤوليات الإعلام بأهداف التنمية الوطنية.

ومن أبرز ما تتسم به الصحافة الأفريقية في مرحلة الاستقلال ذلك الانقسام الثقافي بين الصحف التي تكتب بالفرنسية وتتوجه إلى العالم الناطق بالفرنسية وتلك التي تكتب بالانجليزية وتتوجه أخبارها إلى المناطق الناطقة بالانجليزية. إن هذا الانقسام حاجز معترف به في أفريقيا المستقلة ويمثل عقبة في طريق الوحدة الأفريقية. وتعمل كثير من الصحف الأفريقية الوطنية بوعي للتغلب على هذا الحاجز عن طريق محاولة إجراء تغطية إخبارية حقيقية تشمل القارة الأفريقية بأكملها ومن أبرز هذه الصحف (هوريا) في غينيا و(ليسور) في مالي وصحف تانزانيا والجزائر كذلك تتميز الصحافة الأفريقية في مرحلة ما بعد الاستقلال بعدم انتمائها للتراث الأوربي خصوصاً في المضمون إذ أنها تعد امتداداً لصحافة النضال ضد الاستعمار ولذلك غلب عليها الطابع الأيديولوجي والتربوي أكثر منه الطابع الإخباري والتثقيفي العام. كما استمرت كصحافة رأي تعتمد على المقال والريبورتاجات التي تتضمن خطب الزعماء والحكام. بينما تضاعف اهتمامها بالنشاطات الأخرى التي تزخر بها الحياة اليومية في الميادين المختلفة مثل الاقتصاد والفن والخدمات والرياضة حتى كاد ينعدم في بعض الأحيان.

وقد شهدت أفريقيا في السنوات التي تلت الاستقلال (خلال عقد الستينيات) عدة مؤتمرات تناولت تطوير وسائل الإتصال وإنشاء وكالات أنباء وطنية وتطوير استخدام الإذاعة والتلفزيون في أغراض التنمية الاجتماعية والثقافة وتحقيق الوحدة بين شعوب القارة. وقد أسفر ذلك عن إنشاء ثلاثة تجمعات تتولى الإشراف على وسائل الاتصال الإفريقية وهي اتحاد الصحفيين الأفريقيين في باماكو ١٩٦١ واتحاد الإذاعات الإفريقية في داكار ١٩٦٢ واتحاد وكالات الأنباء الإفريقية في تونس ١٩٦٢.

واستطاعت هذه التجمعات الإعلامية من خلال العديد من الدراسات التي قامت بها للإعلام-الأفريقي أن ترصد أهم السبلات التي يعاني منها الإعلام الأفريقي في المرحلة الراهنة وتتلخص فيما يلي:

- ١- نقص الكوادر المتخصصة والمدرّبة ونقص الأجهزة الإعلامية الحديثة.
- ٢- سيطرة وكالات الأنباء الغربية على أجهزة الإعلام الإفريقية.
- ٣- وقوع وكالات الإعلان الإفريقية في أيدي الشركات الأجنبية.
- ٤- ارتفاع أسعار الورق والمواد الطباعة وارتفاع قيمة الاشتراكات فسي وكالات الأنباء العالمية.

هذا علاوة على المشكلات التقليدية التي تعاني منها الصحافة الإفريقية مثل تعدد اللغات وانتشار الأمية بنسبة مرتفعة بين الجماهير الإفريقية^(١). ورغم مرور عقد كامل على نشوء هذه التجمعات وبدء ممارستها لنشاطها ولكن توقفت إنجازاتها عند حدود التوصيات والقرارات العامة.

وإذا كانت قضية الإعلام الوطني في أفريقيا قد نالت هذا الاهتمام المكثف على مستوى القارة من خلال المؤتمرات السابق ذكرها فإنها لم تحسم داخل الدول الإفريقية إذ بدأت الضغوط تظهر وتتصاعد بعد الحصول على الاستقلال من أجل أفرقة وسائل الإعلام سواء من حيث الملكية أو مضمون المواد الإعلامية الذي كان ولا يزال يدين بالتبعية للفكر الغربي. وقد حملت الستينيات والسبعينيات إجابات حاسمة على بعض

(١) MOHSEN Tourni: la presse en Afrique, Rev ue Francaise d'etudes politiques Africaines No 841- Paris, (أ) Decembre, 1972 - pp. 50-52.

(ب) Ali MAZROUJ: The press, intellectuals and the printed world in Massthoughts. Kampala Makere univ. press, 1962, pp. 18-22.

التحديات التي يواجهها الإعلام الأفريقي بعد الاستقلال ولكن لا يزال الانتماء الإيديولوجي للإعلام الأفريقي لم يتحدد بعد وهذا ما سوف نتناوله بالتفصيل.

ولعل أبرز ما يميز الستينيات عن الخمسينيات في مجال الإعلام الأفريقي هو نشوء وانتشار وكالات الأنباء الوطنية. وتوضح أهمية ذلك إذا تذكرنا أنه حتى منتصف الخمسينيات لم يكن يوجد بالقارة الأفريقية بأكملها سوى وكالة أنباء جنوب أفريقيا التي أنشئت ١٩٣٨ كي تقوم بتزويد النصف الجنوبي من القارة الأفريقية بالأخبار المحلية والأجنبية ولم تكن هيئة حكومية. وقد كانت وكالة أنباء الشرق الأوسط أول وكالة أفريقية أنشئت في الخمسينيات (١٩٥٦) ثم تلتها وكالة أنباء غانا (١٩٥٧) وعند بداية السبعينيات كان يوجد حوالي سبع وعشرين وكالة أنباء وطنية في أفريقيا بعضها رسمي والآخر شبه رسمي^(١). ولا شك أن نمو السيطرة الحكومية على وسائل الإعلام الأفريقية وتزايد عدد الوزارات الإعلامية الوطنية وتأميم وسائل الإذاعة والتلفزيون وإنشاء وكالات الأنباء الوطنية كل هذه الانجازات وغيرها كانت كفيلة بإحداث مرحلة التحول الرئيسية بالنسبة لوسائل الإعلام الأفريقية حيث أصبحت في الغالب أدوات للدعاية في أيدي السلطة السياسية سواء كانت ممثلة في الحزب الواحد أو في النظم العسكرية كما استخدمت لدى بعض الأنظمة كأدوات للتغيير الاجتماعي ولتحقيق التتمية الوطنية.

هل توجد نظرية إعلامية لأفريقيا؟

تواجهنا مجموعة من الصعوبات النظرية والتطبيقية عندما نحاول أن نضع تصنيفاً يضم كل التعقيدات التي يتسم بها الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والتي تسهم في صياغة شكل الصحافة الأفريقية ومضمونها. ومهما اختلفت الآراء حول الصحافة ودورها في الدول النامية فمن الضروري مراعاة الانصاف عند إجراء مقارنة بينها وبين الصحافة الغربية. فالتقدم الذي حققته الصحافة الغربية سواء في النواحي المهنية والتكنولوجية أو مجال حرية التعبير استغرق مئات السنين فضلاً عن أنه كان نتاجاً للتطور المادي والفكري الشامل للمجتمعات الأوروبية فضلاً عن التقدم

(١) عواطف عبد الرحمن: وكالات الأنباء الأفريقية - مذكرة غير منشورة - كلية الإعلام - جامعة القاهرة -

الذى تحقق من خلال استغلال الشعوب الأفريقية والآسيوية أثناء فترة السيطرة الاستعمارية.

ويرى الصحفي الاسترالى ليلود سومرلاد مؤلف كتاب (الصحافة فى الدول النامية)^(١) بأنه من غير اللائق أن نحاول تقييم الحكومات والصحافة فى أفريقيا طبقاً لنفس المعايير التى نستخدمها فى تقييم المملكة المتحدة أو الولايات المتحدة الأمريكية فالدول الأفريقية تمر بمرحلة انتقال حيث لا تزال تقوم بتجربة كثير من الصيغ والتنظيمات الجديدة. وفى الغرب لا يوجد تناقض بين قيام الحكومات بإصدار الصحف وبين قيام المؤسسات المستقلة عن الحكومات بإنشاء صحف خاصة بها بينما فى الدول الأفريقية فإنه يعتبر من الطبيعى والمنطقى أن تقوم الحكومات بإصدار الصحف التى لا تختلف فى أساليب عملها عن أجهزة الإعلام الأخرى مثل الإذاعة والتليفزيون.

لكل هذه الأسباب وغيرها فإنه لا يمكن تناول الصحافة الأفريقية وتقييمها طبقاً للمقاييس والفلسفات المتعارف عليها فى الغرب وعند محاولة استخلاص الإطار النظرى العام الذى يحكم الصحافة الأفريقية ينبغى تجنب الاعتماد على نظريات سابقة نابعة من واقع مختلف وتستند إلى قيم وأفكار غربية فى معظمها. وسنحاول مناقشة التطبيقات المختلفة للنظريات الإعلامية أملاً فى التوصل إلى التصنيف النظرى الذى يفسر لنا الواقع الإعلامى الأفريقى بكل معطياته وتناقضاته.. وسندأ بالتصنيف الذى وضعه ولبورشرام وزملاؤه ١٩٥٦^(٢) ويتضمن النظريات الإعلامية الأربعة وهى نظرية السلطة والنظرية السوفيتية والليبرالية ونظرية المسؤولية الاجتماعية.

وترتبط نظرية السلطة بنشأة وتطور الصحافة الانجليزية منذ القرن السادس عشر وتقوم على وجوب إخضاع الصحافة ذات الملكية الخاصة لسيطرة الحكومة من خلال قوانين الرقابة ووسائل السيطرة الأخرى مثل التصريح الرسمى والرقابة السابقة على النشر وفرض رسوم باهظة على البريد. وتعكس هذه النظرية الأهمية المتزايدة لسلطة الدولة على حساب حريات الأفراد. والواقع أنها تهدف إلى قهر رأى المخالف أكثر

(١) Sommerlad, E. L. The Press in developing Countries – Sydney univ. press – 1966.

(٢) Schram, Peterson and Sebert:

The Four theories of Mass Communication URBANA Univ. New York. 1956.

مما تهدف إلى استخدام الصحافة بشكل إيجابى لتطوير الحياة القومية وترقية مستوى المعيشة. والواقع أن الصحافة الأفريقية رغم وجود كثير من التشابه بين ظروفها العامة وبين بعض ملامح نظرية السلطة غير أنه لا يمكن تصنيفها داخل هذا الإطار. فالنظرية تفترض ضرورة وجود صحافة ذات ملكية خاصة وتخضع فى ذات الوقت للقيود الحكومية بينما نلاحظ أن النمط السائد فى أفريقيا هو ملكية الحكومة وإدارتها للصحف. كذلك النظرية السوفيتية التى قد تبدو فى ظاهرها أنها أقدر على تفسير الوضع الإعلامى فى أفريقيا إذ أن هناك بعض الدول الأفريقية التى تنتهج أسلوباً يماثل الأسلوب السوفيتى فى ملكية الحكومة والحزب للصحافة وخضوعها للسياسة التى يضعها الحزب الحاكم. كما أن معظم الدول الأفريقية تؤكد على ضرورة تعبئة وسائل الإعلام من أجل خدمة الأهداف القومية مثل قضايا التنمية والوحدة الوطنية. ورغم ذلك تظل النظرية السوفيتية قاصرة عن تفسير الأوضاع الإعلامية فى أفريقيا فهى تستمد أساسها النظرى من الفكر الماركسى اللينينى ولا يمكن تعميمها على الدول غير الاشتراكية التى تستخدم الصحافة كأداة للتنمية القومية فمن الواضح أن معظم الدول الأفريقية قد حددت مواقفها من الصحافة طبقاً لاختيارات سياسية واقتصادية وليس طبقاً لاعتبارات أيديولوجية.

ومن الواضح أن النظرية الليبرالية لا تصلح للتطبيق على الواقع الأفريقى أو العالم الثالث ككل فهى مستمدة من التطور التاريخى للفكر الديمقراطى فى أوروبا الغربية. ويكمن الجوهر الرئيسى لهذه النظرية فى وجود صحافة مستقلة من الناحية الاقتصادية وقادرة على القيام بدور الحارس لمصالح من تمثلهم فى مواجهة الحكومة. ولا تتلاءم هذه النظرية مطلقاً مع واقع الدول الأفريقية حيث تسود الأمية والفقر وحيث يستحيل قيام صحافة مستقلة مالياً.

أما فيما يتعلق بالنظرية الرابعة والتى تعرف بالمسؤولية الاجتماعية فهى تجيز التدخل النسبى للحكومة كى تضمن أن جميع وجهات النظر سوف تأخذ طريقها للنشر. وتهتم هذه النظرية فى الأساس بالمجتمعات التى تجاوزت مرحلة التصنيع ولذلك تتعدم علاقتها بالمجتمعات النامية فى أفريقيا. وتؤكد هذه النظرية على أهمية المسؤولية أكثر من تأكيدها على أهمية الحرية.

ومن الواضح أن النظريات الإعلامية الأربعة قد ركزت على متغير واحد هو علاقة الصحافة بالسلطة السياسية ولم تتعرض للبناء الاجتماعي والثقافي أو الواقع الاقتصادي الذي أفرز النظم الإعلامية القائمة في العالم الثالث وخصوصاً أفريقيا. هذا فضلاً عن أن جميع المحاولات الأخرى التي قام بها الباحثون الغربيون لحل الإشكالية النظرية للصحافة الأفريقية كانت في أغلبها محاولات ترقيعية حيث اعتمدت على اقتباس بعض جزئيات غير متسقة من النظريات الإعلامية السالفة الذكر مع إضفاء أسماء جديدة عليها. ومن أبرز هذه التصنيفات تصنيف رالف لوينشتاين^(١) الذي ركز على متغيرين هما الملكية والسلطة السياسية وقد خرج بتصنيف مقارب لتصنيف شرام مع اختلاف الأسماء فالنظرية السوفيتية أطلق عليها اسم المركزية الاجتماعية ونظرية المسؤولية الاجتماعية أصبح اسمها الليبرالية الاجتماعية. وكذلك دينيس ويلكوكس^(٢) الذي أجرى تصنيفاً للصحافة الأفريقية طبقاً لأنماط الملكية الإعلامية السائدة وحاول استخلاص مواقف الحكومات الأفريقية من الصحافة في ضوء هذا التصنيف. وقد خرج بمجموعة نتائج أولية لا يمكن اعتبارها نظرية عامة بقدر ما هي توضيح للملامح الرئيسية لصورة الصحافة الأفريقية بشكل عام من حيث ارتباطها بالالتزام السياسي بنمط الملكية وقد اتضح أن جميع الدول الأفريقية تعكس دون استثناء تداخلاً واضحاً بين مختلف الأنظمة والنظريات الإعلامية وخصوصاً كلاً من نظرية السلطة والمركزية الاجتماعية. كذلك تبين أن هناك الكثير من الدول الأفريقية التي لم تمتلك أو تحدد بعد النظرية أو الفلسفة التي تحكم علاقتها بالصحافة. ويلاحظ أيضاً بالنسبة للدول الأفريقية التي أعلنت التزامها بنظرية إعلامية محددة بأن ذلك لم يتم بناء على تحديد نظري أو فلسفي مسبق بقدر ما يعد ذلك بمثابة رد فعل لمشكلات ما بعد الاستقلال.

نظرية التبعية ومردودها في المجال الإعلامي:

إزاء القصور الذي تتسم به النظريات الإعلامية الأربعة السالفة الذكر وفشل المحاولات التي قام بها بعض الباحثين الغربيين لاستخلاص النظرية الإعلامية التي

(١) Tohan C. Merril and Ralph Lowenstein: Media Messages and Men. New York, David Nackay 1971, p. 186.

(٢) Dennis Wilcox: Op.cit pp. 101-105.

تحكم الدول الأفريقية كجزء من العالم الثالث أو في مقابل هذه الاتجاهات النظرية ظهر اتجاه آخر يركز على علاقة التبعية التي تربط دول العالم الثالث اقتصادياً وسياسياً وثقافياً بالعالم الرأسمالي المتقدم. والواقع أن هذا الاتجاه قد ظهر كرد فعل للأزمة التي عانت منها التفسيرات الليبرالية أو بالأحرى النظرية الوظيفية للواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي في دول العالم الثالث. ولعل أهم ما يمكن أن يقال في هذا المجال إن مفهوم التبعية قد ظهر من خلال الجدل الحاد الذي دار بين العلماء الاجتماعيين حول مفهومي التخلف والتنمية فمفهوما التنمية والتخلف بالمعنى الذي استخدمته النظريات التقليدية لا يتمتعان بقوة تفسيرية معبرة طالما أنهما لا يشيران بدقة إلى لب المشكلة التي تعاني منها الدول النامية وهي التبعية. لذا فمن الواضح أن مفهوم التبعية يستطيع أن يفسر لنا سبب تبني دول العالم الثالث أسلوباً في التنمية يختلف عن ذلك الذي اتبعته الدول الرأسمالية المتقدمة. فمن الطبيعي أن تختلف الظروف التي مرت بها الدول النامية عن تلك التي مرت بها الدول المتقدمة فالدول النامية كانت تمثل المورد الرئيسي للمواد الخام التي تحتاج إليها الدول المتقدمة. كما كانت تشكل سوقاً هاماً لمنتجات الدول الرأسمالية المتقدمة ومن شأن هذا الموقف أن يخلق تبعية مطلقة من جانب الدول النامية. وسيطرة كاملة من جانب الدول الاستعمارية فلا شك أن تخلف العالم الثالث أو تبعيته بمعنى أدق يرجع إلى خضوعه للسيطرة الاستعمارية^(*) لعدة قرون والشئ الذي لا يمكن تجاهله هو أن بقاء دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية في حالة التبعية هو من فعل التقسيم الدولي للعمل الذي يتسم بالطابع الأمبريالي والذي فرض على دول العالم تفاوتاً اجتماعياً واقتصادياً شديداً. وقد تشكلت الأنظمة السياسية والأوضاع الاجتماعية والثقافية في دول العالم الثالث من خلال وضعها كمجتمعات تابعة داخل النسق الرأسمالي العالمي. وتتسم القوة السياسية في المجتمعات التابعة بالتركيز في أيدي فئة قليلة تتحكم في مصادر القوة الاقتصادية والتعبير السياسي والثقافي. وتتميز الأجهزة السياسية والبناء الفوقي بصفة عامة في

(*) لقد أوضح فرانك هذه القضية بقوله إن تاريخ العالم ما هو إلا تاريخ واحد ومن ثم فإن التنمية والتخلف وجهان لعملة واحدة من حيث إنها نتاج التوسع الرأسمالي الذي تغلف في أعماق أكثر القطاعات انغزالاً في المجتمعات المختلفة. ومن ثم فإن ما تراه من نظم اجتماعية وسياسية وثقافية في هذه المجتمعات بدءاً من أصغر وحداتها الاجتماعية في الريف وحتى أعقد هذه الوحدات في المدن المتربوليتانية ما هي إلا نتاج للتطور التاريخي للنظام الرأسمالي.

دول العالم الثالث (التوابع) بالتضخم والبيروقراطية بشكل تقدمت فيه بصفة عامة على الأبنية التحتية التي تمثل امتداداً لمركز العالم الرأسمالي المتقدم. وإذا كان الدور المنوط بأجهزة الدولة في الفترة الاستعمارية هو إخضاع الطبقات المحلية لصالح علاقة الهيمنة الاستعمارية. فإن الوضع لم يختلف كثيراً في مرحلة ما بعد الاستقلال وفي ظروف تبعية ما بعد الاستعمار. إذ أصبحت الدولة بمثابة وسيط بين الرأسمالية العالمية والبرجوازية المحلية وملاك الأرض. والدولة ليست أداة في يد طبقة واحدة وإنما تمثل هيكلاً مستقلاً يقوم بالدفاع عن مصالح الطبقات المسيطرة سواء في المركز أو في المجتمع التابع^(١). ولا يقتصر دور الدولة على إنجاز المهام السياسية المنوطة بها أو حماية المصالح الاقتصادية للرأسمالية العالمية والمحلية فحسب بل تخلق لنفسها إطاراً أيديولوجياً يساعد على تعزيز هيمنتها الفكرية وترويج قيمها الثقافية من خلال أجهزة الاتصال والإعلام التي تحرص على امتلاكها والسيطرة عليها. غير أن تفسير التبعية يجب ألا يقتصر على العوامل العالمية وحدها بل يجب تفسيرها في ضوء العوامل المحلية الخاصة بدول العالم الثالث. مما تستلزم ضرورة التعرف على طبيعة البناء الاجتماعي والقوى الاجتماعية التي تستفيد من عائد التنمية وتلك التي تتحمل أعباءها في دول العالم الثالث. ذلك أن الاحتكار العالمي وحده لا يستطيع أن يفسر لنا تبعية دول العالم الثالث إلا إذا حاولنا التعرف على آثاره على هذه الدول وردود أفعالها إزاءه. كذلك لا نستطيع أن نتجاهل التأثير الذي أحدثته ثورة الاتصال على النظام الدولي. فلقد خلقت هذه الثورة عالماً جديداً أشبه بوحدة واحدة.

ورغم وجود بعض الاختلافات بين أنصار اتجاه التبعية إلا أنهم يلتقون حول مجموعة من العناصر الأساسية التي يمكن تلخيصها على النحو التالي:-

١- وجود العلاقة الوثيقة بين البناء الاجتماعي - والاقتصادي والبناء السياسي والثقافي في المجتمعات التابعة في العالم الثالث وارتباط ذلك بالنسق الرأسمالي العالمي.

(١) انظر: (أ) السيد الحسيني: العالم الثالث تنمية أم تبعية - كتاب دراسات في التنمية الاجتماعية - القاهرة - دار المعارف ١٩٧٧ - ص ١٦٥-١٧٥.

(ب) أحمد زايد: التفاعل بين جماعات الصفوة القديمة والصفوة الجديدة في الريف المصري - رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة القاهرة - فبراير ١٩٨١ - ص ١٦٠-١٦٦.

٢- الدور الذي تلعبه البورجوازيات المحلية في دول العالم الثالث التابعة في توجيه النظام السياسي والثقافي والإعلامي لخدمة مصالحها واستمرار علاقة التبعية.

ويترتب على ذلك غياب المناخ الديمقراطي الذي يسمح لجميع القوى الاجتماعية بحرية التعبير والمشاركة في الممارسات السياسية والثقافية والإعلامية وفي هذه الظروف لا تستخدم الديمقراطية إلا بالفدر الذي يسمح باستمرار علاقات التبعية والتخلف^(١).

ويتضح مما سبق أنه على الرغم من أن النصف الثاني من القرن العشرين قد شهد استقلال ٨٠ دولة في العالم الثالث وحصول اثنين مليار من البشر على حريتهم وتخلصهم من السيطرة الاستعمارية إلا أن الظروف العالمية الراهنة السياسية والاقتصادية والثقافية والتقنية والعسكرية تتجه إلى تأكيد سيطرة الدول المتقدمة وتبعية غالبية الدول النامية. فمع تعزيز الاستقلال السياسي بحلول الستينيات أصبح واضحاً بصورة مطردة أن القضاء على الاستعمار السياسي لا بد وأن يستكمل بالقضاء على الاستعمار الاقتصادي والثقافي ذلك إذا ما كانت هناك رغبة في إحداث تغيير حقيقي في علاقات التبعية في دول العالم الثالث. فضلاً عن ذلك فإنه نتيجة لخضوع دول العالم الثالث خلال المرحلة الاستعمارية للاستعمار الاجتماعي والثقافي علاوة على الاستعمار السياسي والاقتصادي فقد أدى ذلك إلى تحول القيم والأنماط السلوكية في جزء كبير من العالم الثالث كي تعكس قيم وسلوكيات الدول الاستعمارية وبعد الاستقلال لم يحدث أدنى تغيير بل تم تدعيم الأنماط المنقولة من خلال مجموعة متنوعة من الميكانيزمات. ومن ثم فيقدر ما يكون هناك إدراك لعدم إمكانية تحقيق الاستقلال السياسي بدون الاستقلال الاقتصادي لا بد أن يكون هناك أيضاً إدراك بأن الاستقلال الشامل لا يتحقق إلا بالتححر الاجتماعي - الثقافي. ولذلك فإنه من المستحيل تصور استمرار السيطرة السياسية والاقتصادية على العالم الثالث بدون الدعم الهائل الذي يوفره نسق إعلامي فعال كأداة للسيطرة الثقافية والأيديولوجية. لذلك توجد درجة ملحوظة من عدم التكافؤ في توزيع القوة على أساس أن وسائل الإعلام مصدر رئيسي من مصادر القوة والنفوذ إذ يوجد عدد قليل من الدول (الدول الرأسمالية المتقدمة على وجه التحديد) يتولى عملية الإرسال بشكل أساسي، أما غالبية الدول (من العالم الثالث)

(١) أحمد زايد: مصدر سابق - ص ١٦٨.

فهي تستقبل ما يرسل إليها. وينتج عن ذلك عدم توازن ملحوظ في تبادل المعلومات والأنباء بين العالم النامي والعالم المتقدم بالرغم من أهمية ذلك الدور على المستوى الدولي إذ يركز عليه ضرورة إبلاغ الرأي العام العالمي بالمشاكل التي تهدد الإنسانية وخصوصاً تلك التي لن تتوفر حلولها إلا بالتعاون بين الدول مثل مشاكل سباق التسلح والبطالة والفقر والامية والجوع ونقص الخدمات الصحية وتلوث البيئة والعنصرية والانفجار السكاني واضطهاد المرأة. ومن هنا يمكن استخلاص مفهوم التبعية الإعلامية بأنها العلاقة التي تجسد عدم التكافؤ في الامكانيات المادية والمصادر الإعلامية بين الدول الغربية المتقدمة وبين الدول النامية كما تجسد عدم التوازن في التغطية الاخبارية وتبادل المعلومات بين الشمال والجنوب. مما يترتب عليه تشويه الصورة الذهنية لشعوب العالم الثالث لدى الرأي العام العالمي فضلاً عن إلحاق الضرر الجسيم بالثقافة القومية والقيم والأنماط السلوكية لدى هذه الشعوب وتعميق الاغتراب الثقافي. وتحتل وسائل الاتصال موقعاً مزدوجاً عند أى مستوى من مستويات التحليل للتخلف والتبعية. لذا يجب عند تحليلنا لوسائل الاتصال أن نأخذ في الاعتبار مستويين للتحليل:

- ١- المستوى الأول: ويتعلق بالبعد الذاتي الذي يتمثل في الامكانيات المادية والبشرية وتشمل الوسائل التكنولوجية والمراسلين.
- ٢- المستوى الثاني: ويمثل التوجهات الإعلامية التي يتم نقلها بواسطة وكالات الأنباء أى صيغة الأنباء ومضامينها.

وفيما يتعلق بالمستوى الأول الخاص بالامكانيات المادية والبشرية فالواقع أن وكالات الأنباء الخمسة العالمية تحتكر أكثر من ٨٠% من الأنباء في العالم تخصص ما بين ٢٠، ٣٠% للدول النامية وهناك ٣٥ دولة في العالم ليست فيها أية وكالات أنباء منها ١٨ دولة أفريقية. كذلك يتميز التدفق العالمي للأنباء بعدم التوازن في توزيع المراسلين على النطاق العالمي ويتميز أيضاً بالتغطية المنتقاة لمناطق معينة على حساب مناطق أخرى. وتوضح إحصائيات (١٩٩٤) للتوزيع العالمي لمراسلي وكالات الأنباء العالمية أن أوروبا وأمريكا الشمالية هما الموقعان الرئيسيان لمراسلي الوكالات وأن أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط وأفريقيا هم أقل المناطق بالنسبة لعدد المراسلين العالميين.

ويشير المستوى الثانى الذى يؤكد تبعية دول العالم الثالث وفى مقدمتها الدول الأفريقية فى المجال الإعلامى إلى وجود التباين السافر فى نوع التغطية الاخبارية للأحداث الدولية فقد أجمعت الدراسات العديدة على أن الأحداث فى الدول الغربية المتقدمة هى المستهدف الأول فى التغطية الاخبارية باستثناء بعض الأحداث فى الدول التابعة. وتشير هذه الدراسات إلى أهمية الدور الذى يقوم به الإعلام الاخبارى الذى تنقله وكالات الأنباء العالمية فى تشكيل صورة الحقيقة العالمية وأن أهميته تتفوق على الصورة الذهنية المسبقة وذلك لانتظامه ومواظبته وانتشاره^(١). كذلك نوع التغطية الاخبارية التى يقوم بها مراسلو وكالات الأنباء العالمية فهناك أسس وتعليمات لا يمكن أن يحيد عنها المراسل فى تحديد الأولويات والأفضليات سواء فى اختيار الأحداث أو تحريرها أو نشرها. ويؤكد ميلبيان (أن وسائل الإعلام الدولية وخصوصاً وكالات الأنباء الغربية تقدم خدماتها الإعلامية وفقاً لمخطط مدروس ولتحقيق أهداف محددة وبشكل لا يخلو من التسلط والسيطرة وذلك من خلال إمكانياتها الهائلة وقدراتها على تكوين الأخبار بما يتفق مع مصالحها ولقد أثبتت وكالات الأنباء الغربية بصورة قاطعة أنها عنصر فعال تعتمد عليها المجتمعات الرأسمالية فى نشر أفكارها ومعتقداتها ولا يمكن للوكالات أن تتخلى عن هذه الوظيفة^(٢).

جدول (١) التوزيع العالمى لمراسلى وكالات الأنباء العالمية لعام ١٩٧٤

أمريكا	٣٤%	أوروبا	٢٨%
آسيا وأستراليا	١٧%	أمريكا اللاتينية	١١%
الشرق الأوسط	٦%	أفريقيا	٤%

ونلاحظ من سياق هذا التصريح مدى أهمية وخطورة الدور الذى تلعبه وكالات الأنباء العالمية فى الصراع الدولى وتشويه الصورة الحقيقية للأحداث وفرضها على رأى العام العالمى كحقيقة إعلامية.

(١) Phil Harris: International News Media Authority and dependence in Introduction to Mass Communication in Nigeria. Lagos 1976. p. 1110.

(٢) Milliband, R: The state in the Capitalist Society. London Quarter books 1973. p. 211.

مظاهر التبعية الإعلامية (دور الشركات غير القومية):

لا يمكن التطرق إلى قضية التبعية الإعلامية دون الإشارة إلى الدور الذى تلعبه الشركات عبر القومية فى هذا المجال وهو لا يتلخص فقط فى إرسال التكنولوجيا ورؤوس الأموال بل يتسع ليشمل بيع العديد من المنتجات الاستهلاكية ذات الطابع الاجتماعى - الثقافى أو السوسيو-ثقافى التى تهدف فى الغالب إلى نشر أفكار ومعتقدات تؤدى إلى تعميق الاغتراب الثقافى والاجتماعى لدى شعوب العالم الثالث التى تمثل دولهم الساحة الرئيسية لأنشطة هذه الشركات. هذا وسنحاول أن نحدد أبعاد التأثير الذى تمارسه الشركات عبر القومية من خلال الدور الذى تقوم به كأحزمة ناقلة يتم من خلالها ترويج التفضيلات الاجتماعية - الثقافية (بل وأكثر من ذلك التفضيلات الاجتماعية - السياسية والاقتصادية) من البلدان الأصلية إلى البلدان الأخرى مما يؤدى إلى فقدان الخصائص القومية المميزة لثقافات الشعوب التى تتعرض لهذه التأثيرات. إننا سنحدد ملامح الدور الذى تقوم به الشركات عبر القومية بوصفها نظاماً للاتصال الدولى مما يستلزم تنفيذ المكونات الرئيسية للعمليات الاتصالية التى تتم عبر هذه الشركات وأنشطتها المتنوعة. وذلك سعياً للتعرف على مدى ما تسهم به هذه الشركات فى تكريس تبعية الدول النامية للدول الرأسمالية المتقدمة وخصوصاً فى مجالى الاتصال والإعلام. وتحدد مكونات العمليات الاتصالية فى ضوء المحددات الخمس المعروفة وهى:

- ١- من (منتج المادة الاتصالية)؟
- ٢- قال ماذا (مضمون المادة الاتصالية)؟
- ٣- لمن (الجمهور المتلقى)؟
- ٤- كيف (الوسيلة الاتصالية)؟
- ٥- وما هو الأثر (الصدى)؟

ويشير المحدد الأول إلى مصدر المادة الاتصالية أو منتجها الأصلي فنلاحظ أن الشركات عبر القومية (حوالى ٣٧ ألف شركة عبر قومية تسيطر على نحو ٨٠ ألف شركة تابعة) توجد مقارها الرئيسية فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وجمهورية ألمانيا الاتحادية وسويسرا والمملكة المتحدة وفرنسا. وأن الأغلبية الساحقة

من الشركات الأجنبية التابعة لهذه الدول توجد في دول العالم الثالث التي كانت تابعة لها بشكل رسمي أو غير رسمي وخصوصاً المملكة المتحدة وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. والأهم من ذلك هو أن هذه الدول هي موطن وكالات الأنباء العالمية الأربعة (الوكالتان الأمريكيتان اسوشيتدبرس ويونيتدبرس وانترناشيونال ورويترز البريطانية وأجنس فرانس برس الفرنسية) وتعتمد عليها في الواقع كافة اقتصاديات السوق (ما عدا اليابان) اعتماداً كبيراً لأخبارها الخارجية.. وبالمثل فإن نسبة عالية من البرامج التلفزيونية لمعظم دول العالم الثالث يتم استيرادها من الولايات المتحدة وفرنسا والمملكة المتحدة وأخيراً فمن بين أكبر الوكالات العالمية الخمسة والعشرين في العالم في الإعلان الدولي (وهو صناعة رئيسية فيما يتصل بالتأثير الاجتماعي الثقافي) هناك ٢٠ وكالة أمريكية ومعظمها تحصل على إعلاناتها من الخارج^(١).

المحدد الثاني (ماذا؟) الخاص بمحتوى الرسائل المنقولة من الدول التي توجد بها المقار الرئيسية للشركات عبر القومية ولا سيما ما يتعلق بالثقافة التجارية لهذه الشركات والواقع أن الثقافة التجارية تتضمن مجموعة من العناصر يمكن تلخيصها في بعدين أساسيين أولهما يتعلق بالاتجاهات والقيم وأنماط السلوك وثانيهما يتعلق بكل من أنماط التنظيم والإنتاج والاستهلاك. ويتسع البعد الأول كي يشمل نطاقاً أكبر من نطاق الثقافة التجارية فيتضمن على سبيل المثال التفضيلات الأيديولوجية العامة أو الاتجاهات وأساليب الحياة وأنماط السلوك العامة ويتضمن البعد الثاني للثقافة التجارية ميكانيزمات تشجع أنماط وعمليات إنتاجية واستهلاكية لا تلبي احتياجات المجتمعات التابعة بل تؤدي إلى خلق الإحساس بالحاجة إلى التوسع الاستهلاكي. ويمكن أن يتم هذا بصفة خاصة من خلال العلاقات العامة والتسويق والإعلانات الباهظة التكاليف.

المحدد الثالث (لمن؟) ويتضمن الجمهور المتلقى للرسائل الإعلامية والسوسيوثقافية. ويلعب العاملون في الشركات الأجنبية التابعة دوراً هاماً في نقل القيم وأنماط السلوك باعتبارهم نماذج حية تجسد خبرة الشركات الأجنبية التابعة ويركز

(١) انظر: كارل سوفانت وبنارد بيتس: الاستثمارات الاجتماعية الثقافية في نطاق الاقتصاد السياسي الدولي لعلاقات الشمال والجنوب - دور الشركات عبر القومية - مركز دراسات الشركات عبر القومية بالأمم المتحدة - نيويورك - يونيو - ١٩٧٩.

هؤلاء على الطبقات والفئات العليا من الطبقة الوسطى في مجتمعات العالم الثالث. أما الشرائح الدنيا والطبقات الفقيرة الأمية التي تتكون منها أغلبية دول العالم الثالث فإنها بمعزل عن التأثيرات المباشرة ولكن هذا لا يمنع من تعرضها لتأثير الإعلانات عبر الإعلام المرئي والمسموع (الإذاعة والتلفزيون).

والمحدد الرابع (كيف؟) الخاص بالقنوات التي يتم عبرها بث الرسائل الإعلامية والتي تسهم في تشكيل الأنماط الاستهلاكية. وهنا تلعب الإذاعة والتلفزيون دوراً رئيسياً ثم الصحف والمجلات والنشرات المهنية والكتب والاسطوانات وشرائط الفيديو ووكالات الأنباء. وثمة قنوات أخرى ذات صلة بالموضوع ألا وهي المعاهد التعليمية والمديرون والعاملون في الشركات الأجنبية التابعة بل وحتى اللغة وأساليب تدريسها وفضلاً عن الإعلان وخصوصاً في سياق الثقافة التجارية فإن شبكات الشركات الأجنبية التابعة للشركات عبر القومية تعد بطبيعة الحال القناة الرئيسية للاستثمارات الاجتماعية الثقافية. وهذه العوامل مجتمعة بالإضافة إلى التكنولوجيا الحديثة للاتصال تجعل من شبكات الشركات الأجنبية التابعة في الواقع جهازاً عالمياً ديناميكياً للاتصال. أما المحدد الخامس والأخير فهو يتعلق بالتأثيرات التي تحدثها الرسائل الاجتماعية الثقافية لدى الجماهير المتلقية من شعوب العالم الثالث عبر الإعلانات وسواها من المواد الإعلامية والاتصالية سواء المنشورة في الصحف أو المذاعة والمعرضة في كل من الإذاعة والتلفزيون. ومن الممكن قياس حجم التأثير ومداه من خلال توفر بعض الشروط الضرورية مثل مضمون الرسالة الإعلامية ومدى اختلافها عن البيانات الاجتماعية الثقافية للمتلقين أي اشتراط وجود فارق حضاري يعتد به. ومن المرجح على أساس هذا الشرط وحده أن يكون الأثر بالغ القوة في مجتمعات العالم الثالث. وثمة شروط أخرى تتعلق بالمضمون ألا وهي وضوح الرسالة وتكرارها ومدى قدرتها على الإقناع. كذلك عدد القنوات الإعلامية ومدى تنوعها يلعب دوراً هاماً في التأثير. وعندما يتعلق الأمر بالجمهور المتلقى فمن المعروف أنه كلما زاد تعرض أكبر عدد ممكن من الأفراد والمؤسسات للرسالة الإعلامية كانت الآثار أعظم وأعمق. ويبدو على وجه الإجمال أن مجموعة الشروط الرئيسية الواجب توافرها لحدوث التأثيرات تتحقق في عموميتها في معظم دول العالم الثالث وخصوصاً الدول الأفريقية التي تتنوع فيها التأثيرات السوسيوثقافية طبقاً للشركات عبر القومية التابعة لها. فنلاحظ أن

المناطق الناطقة بالفرنسية (الفرانكوفون) تعتبر مناطق نفوذ ثقافي فرنسي وذلك على عكس باقى المناطق الأفريقية الناطقة بالانجليزية والتي تعتبر مجالات حيوية للنشاط الثقافى الذى تمارسه الشركات عبر القومية الأمريكية والبريطانية من خلال وسائل الاتصال العديدة.

وفى النهاية فإن التأثير الأساسى يتمثل فى مدى استيعاب شعوب العالم الثالث للاستثمارات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالدول الرأسمالية من خلال الشركات عبر القومية والتي تؤدى إلى حدوث تغيير فى الإتجاهات الاجتماعية والثقافية لمواطنى العالم الثالث إزاء الصورة الاجتماعية والثقافية للدول الرأسمالية المتقدمة.

التبعية الإعلامية وحرية الصحافة فى أفريقيا:

لقد رأينا كيف أدى التطور الاقتصادى العالمى وما ارتبط به من تقدم تكنولوجيا إلى التطور فى وسائل الاتصال العالمية الأمر الذى جعل الحصول عليها واستيرادها وتصنيعها يحتاج إلى أموال طائلة وخبرات فنية متخصصة ووسائل تكنولوجية متطورة. مما أدى إلى سيطرة الدول الرأسمالية المتقدمة على وكالات الأنباء العالمية والإذاعات الدولية البارزة والصحف والمجلات الدولية وترتب على هذا الوضع ظهور ما يسمى بالاحتكار والتركيز فى الاتصال الدولى أى احتكار قلة من الدول الرأسمالية المتقدمة لمصادر الأنباء فى العالم فى الوقت الذى لا يتجاوز نصيب العالم الثالث الحدود الدنيا فى المصادر الإعلامية وتعتبر أفريقيا أفقر القارات فى المصادر الإعلامية من حيث الصحف والإذاعات ووكالات الأنباء.

وقد اتضح لنا أبعاد الدور الذى تقوم به الشركات عبر القومية فى تكريس تبعية الدول النامية للدول الرأسمالية المتقدمة ليس فى المجالين الاقتصادى والسياسى فحسب بل فى الميادين الاجتماعية والثقافية وذلك من خلال استخدامها لوسائل الإعلام الدولية السالفة الذكر (وكالات الأنباء العالمية - المجلات الدولية - الإذاعات - التليفزيون). وتعد الإعلانات الأداة الرئيسية التى تستخدمها هذه الشركات لنشر الثقافة التجارية وتهديد الخصائص القومية للثقافة الوطنية فى الدول الأفريقية. والواقع أن الإعلانات تلعب دوراً مزدوجاً فى خلق عدة مستويات للتبعية الإعلامية والثقافية فى الدول الأفريقية كما أنها تمثل خطراً مباشراً يهدد حرية الصحافة فى أفريقيا. والدور

الأساسي الذي تقوم به الإعلانات التجارية الخاصة بالشركات عبر القومية وتوابعها في الدول الأفريقية هو الترويج للسلع الاستهلاكية المستوردة مما يؤدي إلى خلق أنماط للاستهلاك تتعارض مع خطط التنمية القومية ومستلزمات الاقتصاد الوطني.

وهكذا يتم تكريس واستمرار تبعية الدول الأفريقية اقتصادياً وسياسياً للسوق الرأسمالية العالمية وممثليها حيث تسهم الإعلانات التجارية في تقويض محاولات الاستقلال الاقتصادي بشكل غير مباشر من خلال ترويض العقول وتنمية رغبات استهلاكية جديدة لدى الجماهير الأفريقية.

ويتحقق ذلك في الغالب من خلال وكالات الإعلان الأجنبية التي تقوم باختراق وسائل الإعلام الأفريقية وتفرض عليها شروطها وألوياتها بكل ما يمثل ذلك من تهديد لحرية الصحافة وللاقتصاد الوطني في آن واحد. وهناك أمثلة عديدة على وكالات الإعلان الأجنبية في أفريقيا منها الوكالة الفرنسية (وكالة هافاس للإعلانات) وهي تملك نفوذاً واسعاً في المنطقة الناطقة بالفرنسية (في غرب أفريقيا ومدغشقر) ولا تقل العقود التي توقعها مع الصحف الأفريقية عن خمسة أعوام تضمن خلالها نشر حد أدنى من الإعلانات وتحصل على ٤٠% عمولة على الإعلانات الأجنبية. ولها مساحات محجوزة بصفة دائمة في هذه الصحف. ولا يخفى ما تمثله هذه العقود من تهديد سافر لحرية الصحافة إذ من خلالها تستطيع وكالات الإعلان التدخل في مضامين المواد الإعلامية التي تنشرها تلك الصحف. وقد بدأت بعض الصحف الأفريقية تتحرر من سيطرة وكالة هافاس الإعلانية عندما بدأت تظهر للوجود وكالة غرب أفريقيا للإعلانات رغم أنها تقطع ٥٠% عمولة على الإعلانات. وقد أنشأت كل من مصر وتونس والجزائر وكالات إعلان حكومية في بلادهم ويتم من خلال هذه الوكالات تزويد الصحف بالإعلانات^(١).

أما الدور الذي تقوم به الإعلانات في تهديد حرية الصحافة في أفريقيا فهو يأتي أصلاً من التمويل. إذ أن استخدام أو الاعتماد على الإعلانات كمصدر لتمويل الصحف يضع في أيدي المعلنين سلطة كبيرة تجعلهم يتحكمون في مضمون ما تنشره الصحف

(١) Ekani O nambele: L, exploitation de la Presse en Afrique Sud de Sahara Thesis Universite de Paris 1965. p. 45.

إلا إذا كانت هذه الصحف خاضعة لإشراف الحكومة، وهنا يمكن تحديد موقف المعلنين رغم أن هذا لا يلغى احتمال المواجهة بين بعض المعلنين الأقوياء والحكومة حينما يحاول هؤلاء فرض ضغوطهم غير المباشرة على الصحيفة والتي تهدف في النهاية إلى تخريب خطة التنمية القومية داخل الدولة. ويزداد الصراع بين المعلنين والحكومة عندما يكون هؤلاء المعلنون ممثلين للشركات الأجنبية.

وأخيراً فإذا كان لنا أن نلخص أنواع التبعية الإعلامية التي تخضع لها الصحافة الأفريقية فيمكننا أن نشير إلى ثلاثة أنواع من التبعية أولها التبعية للسلطة الحاكمة وثانيها التبعية لرؤوس الأموال المحلية والدولية وثالثها التبعية التاريخية للتراث الفرانكوفوني والانجلوأمريكي ورغم تفاوت درجات خضوع الدول الأفريقية لأنواع التبعية المذكورة إلا أنه يبقى التحدي الرئيسي أمام الصحافة الوطنية في أفريقيا وهو كيفية التخلص من كافة أشكال التبعية الإعلامية. وهذا الأمل لن يتحقق بالطبع إلا إذا تخلصت الشعوب الأفريقية من الصور الأخرى للتبعية الاقتصادية والسياسية التي يعنى استمرارها منح عمر أطول للتبعية الإعلامية والثقافية.

المبحث الرابع

الحرية المفقودة

علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية في أفريقيا^(*)

دراسة حالة "غانا" من الاستقلال حتى بداية التسعينات

* أجرى الدراسة: أ.د. حسنى نصر - كلية الإعلام جامعة القاهرة

مقدمة:

يبدو تاريخ وسائل الإعلام في العالم الثالث مختلفاً تماماً عن مثيله في الدول الغربية. فالدول النامية لم تشهد تطوراً في وسائل الإعلام يصاحبه نمو اقتصادي أو صعود طبقة جديدة كما حدث مع الإعلام الغربي. فقد تركزت أولويات العمل الوطني في دول العالم الثالث فيما بعد الحرب العالمية الثانية في تحقيق الاستقلال السياسي والبناء السياسي والاقتصادي للدولة. بالإضافة إلى ذلك فقد كانت هناك عقبات كثيرة أمام تطور وسائل الإعلام في هذه الدول، أهمها عدم كفاية الموارد المالية، والأمية وتنوع وتعدد اللغات المحلية و استمرار التبعية للقوى الاستعمارية السابقة. كما لازالت أفريقيا تمثل أعلى معدلات الأمية في العالم وأقل مناطق العالم تعرضاً واستهلاكاً لوسائل الإعلام.

وخلال الفترة الاستعمارية، التي استمرت منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى الستينات من القرن العشرين، كانت معظم الصحف إما مملوكة للمستعمرين الأوروبيين في المدن، أو لأعضاء البعثات التبشيرية في المناطق الريفية، وكانت كلها - في الغالب - تصدر بلغات أجنبية. وخلال مرحلة النضال الوطني التي خاضتها دول القارة من أجل الاستقلال لعبت الصحافة التي قادها مثقفون وطيون دوراً مهماً في التعبئة الأيديولوجية ودعم الوحدة الوطنية والتنمية. وقد كان معظم قادة النضال الوطني وحركات الاستقلال صحفيين في الأصل، لذلك نظروا إلى وسائل الإعلام كمؤسسات مهمة جداً للتغيير السياسي والتنمية الوطنية. وقد صاحب هذا التطور اتجاه الباحثين الغربيين في الإعلام إلى النظريات الإعلامية التي تؤكد على دور وسائل الإعلام كأدوات للتحديث ونشر الأفكار المستحدثة.

وقد كان من أهم وأبرز أهداف الدول المستقلة الجديدة في أفريقيا خلق صحافة، تُحدد دورها في ضوء ظروف المجتمعات الجديدة. لقد ناضل قادة الاستقلال الأفريقي من أجل إحلال مؤسسات وطنية محل المؤسسات السياسية الأوروبية وإحلال أيديولوجية جديدة إلى جانب تغيير الصورة التي رسمها الغرب الاستعماري للمجتمع الأفريقي وذلك من خلال مؤسسات وطنية من أهمها الصحافة الأفريقية. وقد كان الأمل في

الصحافة الوطنية أن تتولى تشجيع الوحدة الوطنية والتنمية والتحول الأيديولوجي ودعم خطط التعليم نحو تحقيق الغايات الاقتصادية والاجتماعية ولخدمة الأهداف الأفريقية بصفة أولية.

لقد تولى الزعماء الوطنيون بأنفسهم مهمة تحديد أهداف الصحافة الأفريقية النامية. وكان من أبرز هؤلاء الزعماء كوامي نكروما في غانا وجومو كنياتا في كينيا. وقد أسند هؤلاء الزعماء إلى الصحافة مهام عديدة و اعتبروها أدوات ثورية في النضال الأفريقي من أجل الاستقلال. وأدى النظر إلى الصحافة كقوة في البناء الوطني إلى اعتبار الصحافة امتداد مكمل للحكومات في سعيها إلى تحقق التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وكان من المأمول أن تسهم أنظمة الإعلام الجديدة في خلق هوية وطنية مستقلة وبناء الاقتصاد الوطني ودعم الانتماء للوطن. ومن هنا اتجهت معظم الحكومات إلى استخدام وسائل الإعلام كأدوات مباشرة لدعم التنمية الوطنية والوحدة والاستقرار السياسي، وإجمالاً للعمل كمؤسسات للتعليم وللتغيير في المناطق الأقل نمواً.

والواقع إن الأهداف والوظائف التي أسندت لوسائل الإعلام في دول أفريقيا وفي غيرها من البلدان النامية قد وجدت تأييداً كبيراً من جانب العديد من الباحثين الغربيين في الإعلام ومن جانب المنظمات الدولية وعلى رأسها منظمة التربية العلوم والثقافة (اليونسكو) في إطار مشروعها الشهير لبناء نظام إعلامي عالمي جديد. هذه الأهداف الإيجابية التي أسند للصحافة تحقيقها تطلبت أن تعمل الصحافة كعنصر رئيسي في التنمية بهدف تغيير طرق حياة وقيم القراء في اتجاه التحديث، ولم يكن هذا سهلاً على أية حال. ومن الواضح أن هذا المفهوم الأفريقي لدور الصحافة يختلف تماماً عن المفهوم الغربي الذي ينظر لحرية الصحافة كهدف في حد ذاته ويعتبر أن أهم وظيفة للصحافة هو أن تعلم و تخبر بموضوعية في مجالات التنمية السياسية وباستقلالية تامة عن الحكومة وأيديولوجيتها.

لقد ظلت الوظائف التنموية لوسائل الإعلام الأفريقية كثيراً ما تتردد في تصريحات القادة السياسيين والباحثين بينما ظلت منطقة مجهولة ومبهمه وغامضة بالنسبة للصحفيين. والمشكلة الرئيسية التي تواجه قيام الصحافة بهذه المهمة التنموية

أن هذه المهمة تعارضت بمرور الوقت مع استقلال وموضوعية الصحافة وقدرتها على النقد، وذلك على الرغم من تأكيدات الزعماء على حرية الصحافة. ففي الحقيقة أن الصحافة في دول أفريقيا السوداء تخضع لضغوط رقابية شديدة من جانب الحكومات لفشلها في الإعلام بموضوعية في الشؤون العامة لهذه الدول، رغم أنه ليس بالضرورة أن تشجع الصحافة التنموية على الرقابة، كما أن أهدافها تخضع لجدل دولي كبير ومتزايد.

مشكلة البحث :

يدور موضوع البحث حول العوامل المؤثرة في حرية الصحافة في أفريقيا جنوب الصحراء، بعد حصول جميع دولها على الاستقلال، أي في الفترة الممتدة من الاستقلال حتى مطلع التسعينات، من خلال دراسة التطور العام لهذه الحرية في إحدى الدول الممثلة للقارة، أو على وجه التحديد الممثلة لمناطق النفوذ الإنجليزي السابق، وهي غانا. وتنبولور مشكلة البحث في تساؤل رئيسي مؤداه: هل نالت الصحافة الأفريقية حريتها بعد خروج المستعمر وانتصار الحركات الوطنية وقيام أنظمة الحكم الوطني؟ أو ما الفروق الأساسية بين حرية الصحافة في العهد الاستعماري للقارة الأفريقية، وبين حرية الصحافة في فترة ما بعد انتهاء هذا العهد؟ بمعنى آخر ما الجديد الذي قدمته الحكومات الوطنية - مدنية وعسكرية - لحرية الصحافة إيجابياً أو سلبياً؟ وهل اختلفت درجة الحرية التي تمتعت بها الصحافة الأفريقية باختلاف نوع الحكومة القائمة (مدنية وعسكرية)؟.

الدراسات السابقة :

يكاد التراث العلمي العربي الخاص بالصحافة الأفريقية أن يكون منعهداً، فباستثناء الكتاب الذي وضعته عواطف عبد الرحمن عن الصحافة الأفريقية لا نجد أي دراسات في المدرسة الأكاديمية المصرية أو غيرها من مدارس الإعلام في العالم العربي المتاح لنا التعرف على إنتاجها العلمي. لذلك لا يجد الباحث في الصحافة الأفريقية أمامه سوى التراث الغربي في هذا الموضوع، وبالتحديد الصادر منه باللغة الإنجليزية، نظراً لصعوبة الوصول إلى الصادر منه بلغات أوروبية أخرى لأسباب تتصل بعدم إتقان القراءة لهذه اللغات.

ونستعرض فيما يلي الدراسات السابقة المتعلقة بالصحافة الأفريقية عموماً، ثم المتصلة بموضوع البحث، أي الدراسات الخاصة بحرية الصحافة في أفريقيا.

أولاً: الدراسات العربية:

كما ذكرنا فإن المكتبة العربية لا تحوى سوى دراسة واحدة حول الصحافة الأفريقية أعدتها د. عواطف عبد الرحمن وأصدرتها في عام ١٩٨٠ في كتاب بعنوان: "مقدمة في الصحافة الأفريقية"^(١). ويتضمن الكتاب دراستين الأولى تاريخية وصفية مقارنة لأوضاع الصحافة الأفريقية أثناء الفترة الاستعمارية، والثانية دراسة تحليلية للقضايا المهمة التي تواجه الصحافة الأفريقية بعد الحصول على الاستقلال، ومن بينها قضية حرية الصحافة، وعلاقة الصحافة بالسلطة وأنماط الملكية السائدة.

وقد شملت الدراسة الأولى التأريخ لنشأة الصحافة في أفريقيا الناطقة بالإنجليزية، مع دراسة نشأة وتطور الصحافة في غانا، كدراسة حالة، ونشأة وتطور الصحافة في أفريقيا الناطقة باللغة الفرنسية، مع دراسة هذه النشأة في دولة ملجاش كدراسة حالة. أما الدراسة الثانية فقد تناولت بالتأريخ والتحليل والتفسير أوضاع الصحافة الأفريقية في مرحلة ما بعد الاستقلال، بالتركيز على وظائف الصحافة، والنظرية الإعلامية الأفريقية، وأنماط الملكية وحرية الصحافة.

ونظراً للطبيعة الريادية لهذه الدراسة، بالإضافة إلى مرور فترة طويلة على صدورها (١٧ عاماً)، فإننا نجد بها كثيراً من الأحكام والمقولات التي نحتاج إلى إعادة اختبار في ضوء التطورات التي شهدتها القارة الأفريقية والصحافة الأفريقية في عقدي الثمانينات والتسعينات من جانب، كما نجد فيها أيضاً كثيراً من العلاقات والفرضيات التي يجب البحث في صحتها.

ولعل من أهم المقولات التي طرحتها هذه الدراسة وتتعلق بحرية الصحافة في أفريقيا، وتدخل في إطار هذا البحث.

(١) عواطف عبد الرحمن، مقدمة في الصحافة الأفريقية، القاهرة، الجمعية الأفريقية - سلسلة كتب أفريقية، الكتاب الرابع، ١٩٨٠.

- إن الصحف التي كانت تمثل الطليعة النشطة للحركة الوطنية من أجل الاستقلال أصبحت أقل حرية في ظل الحكومات الوطنية.^(١)
 - إن الصحافة الأفريقية في مناطق النفوذ البريطاني السابق كانت أكثر حرية من مثيلتها في مناطق النفوذ الفرنسي.^(٢)
 - إن الدول الأفريقية التي تتبع نظام الحزب الواحد أكثر قمعاً للصحافة من الدول التي تتبع نظاماً سياسياً متعدد الأحزاب.^(٣)
- وكما ذكرنا فإن هذه الأحكام تحتاج إلى مراجعة حديثة في ظل التطورات المعاصرة في أفريقيا، كما أن هناك متغيرات أخرى ينبغي قياس العلاقة بينها في مجال حرية الصحافة في أفريقيا، لعل أهمها متغير نوع النظام السياسي القائم وما إذا كان نظاماً مدنياً أم عسكرياً.

ثانياً: الدراسات الغربية:

تبدى المدرسة الغربية في الإعلام اهتماماً ملحوظاً بدراسة أوضاع الصحافة الأفريقية، إذا قورنت بالمدرسة العربية والمصرية منها على وجه الخصوص. ورغم الشبهات التي قد تحيط بهذا الاهتمام الغربي بالصحافة الأفريقية، إلا أننا لا يمكن أن ننكر الدور المهم الذي تلعبه الدراسات الغربية في إمداد الباحثين حتى الأفارقة منهم بالمعلومات الخاصة بنشأة وتطور الصحافة الأفريقية وأوضاعها الراهنة والمشكلات التي تعاني منها وعلاقتها بالحكومات الأفريقية المدنية منها والعسكرية. ومن الواضح أن الباحثين الغربيين دون غيرهم لا زالوا هم القادرون على التجوال في القارة السمراء وإجراء بحوثهم على الإعلام الأفريقي في أرض الواقع لما يتمتعون به ولما تتمتع به المؤسسات الأكاديمية وغير الأكاديمية التي ينتمون لها أو التي تدعم بحوثهم من إمكانات مادية لا تتوافر لغيرهم من باحثي العالم الثالث.

ورغم هذا الاهتمام الذي يبديه الباحثون الغربيون بأوضاع الصحافة الأفريقية، إلا أنه جهد ضئيل إذا قورن بالاهتمامات العالمية للمدرسة الغربية.

(١) المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٩.

ويمكن تقسيم التراث الغربي الصادر باللغة الإنجليزية، ويتعلق بالصحافة ووسائل الإعلام الأفريقية، إلى:

١- دراسات قارية، أي تتعلق بالصحافة في القارة الأفريقية عموماً دون تحديد قضايا معينة ودون تحديد دول بعينها، ويندرج تحت هذا النوع الدراسات التالية:

- مجموعة الدراسات التي تضمنها كتاب هيلن كيتشن Helen Kitchen الذي يحمل عنوان "الصحافة في أفريقيا" والذي يعود تاريخ صدوره إلى العام ١٩٥٦^(١). - كتاب وليام هاشتن William Hachten، وسائل الإعلام في أفريقيا، الصادر في عام ١٩٧١^(٢). - كتاب روزالاند انسلي Rosalynde Ainslie، "الصحافة في أفريقيا: الماضي والحاضر"^(٣). - دراسات فرانك بارتون Frank Barton، حول "صحافة أفريقيا: الاضطهاد والمقاومة" والصادرة في كتاب عام ١٩٧٩^(٤). - دراسة جراهام مايتون Graham Mytton، "الإعلام في أفريقيا"^(٥).

٢- دراسات تركز على حرية الصحافة في القارة الأفريقية بصفة عامة دون تحديد دولاً بعينها، ومن هذه الدراسات:

- دراسة دينيس ولكوكس Dennis Wilcox، "حرية الصحافة في أفريقيا السوداء: الفلسفة والتحكم"^(٦). - دراسة ج. ب. إيفرت J. B. Evert، "حرية الصحافة في أفريقيا، المنشورة في مجلة الحرية الأفريقية عام ١٩٧٧"^(٧). - دراسة الحاج بابا تندي جوسي Alhaji Babatunde Jose، "حرية الصحافة في أفريقيا" المنشورة في مجلة الشؤون الأفريقية في يوليو ١٩٧٥^(٨).

(١) Helen Kitchen (ed.), *The Press in Africa*. Washington, D.C: Ruth Sloan Associates, 1956.

(٢) William Hachten. *Muffled Drums: the news Media in Africa*. Ames: Iowa State University, 1971.

(٣) Rosalynde Ainslie. *The Press in Africa: communications past and Present*. London: Victor Gollancz, 1966.

(٤) Frank Barton, *The Press of Africa: persecution and Perseverance*. New York: Macmillan, 1979.

(٥) Graham Mytton. *Mass Communication in Africa*. London: Arnold, 1983.

(٦) Dennis L. Wilcox, "The Press in Black Africa: Philosophies and Control", Ph.D. dissertation, University of Missouri, 1975.

(٧) Evert, J. B. "Freedom of the Press in Africa." *African Freedom Annual* (1977).

(٨) Jose, Alhaji Babatunde. "Press Freedom in Africa". *African Affairs* (July 1975): 255-262.

٣- دراسات قطرية تركز على بحث تاريخ وقضايا وأوضاع الصحافة ووسائل الإعلام في بعض الدول الأفريقية، بما فيها قضايا حرية الصحافة، ومن أهم هذه الدراسات المتعلقة "بحالة غانا":

- دراسة جون شيك عن "صحيفة الاشانتى تايمز في تاريخ الصحافة الغانية"^(١)، ودراسة وليم هاشتن "الصحافة الغانية تحت الحكم الوطنى: نموذج سلطوي"^(٢)، ودراسة سميث "الصحافة وقيم النخبة في غانا ١٩٦٢-١٩٧٠"^(٣)، ودراسة توماسى "الصحافة والقيادة السياسية في الدول النامية : حالة غانا ١٩٦٤-١٩٧٨"^(٤)، ودراسته الثانية "وسائل الإعلام والدستور الجمهوري الثاني في غانا"^(٥).

ولعل من الإضافات المعرفية المهمة للدراسات السابقة في الموضوع، ما أضافه ريموند نيكسون Raymond Nixon^(٦) في الدراسة الإمبريقية التى حلل فيها أوضاع حرية الصحافة في ١١٧ دولة بهدف قياس درجة هذه الحرية. وخلص فيها إلى وجود علاقة ايجابية وارتباطية بين درجة حرية الصحافة في أي دولة وبين درجة مؤشرات وطنية، هي: مستوى الدخل السنوى للفرد (G.N.P)، ومعدلات الأمية بين البالغين، ومعدل توزيع الصحف اليومية على كل مائة شخص. ووضع نيكسون مقياساً لحرية الصحافة يتكون من عشر درجات، تعنى الدرجة (١) أعلى درجات الحرية بينما تعنى الدرجة (١٠) عدم وجود حرية صحافة. ووفقاً لهذا المقياس وضع نيكسون صحافة الولايات المتحدة الأمريكية في الدرجة (١)، بينما منح "غانا" درجة (٩)، وسبقته في درجة حرية الصحافة دول أفريقية أخرى، مثل كينيا (٥ درجات) ونيجيريا (٤ درجات).

(١) Chick, John D. "The Ashanti Times: A Footnote to Ghanaian Press History." *African Affairs* (January 1977).

(٢) Hachten, William A. "Ghana's Press under the N.R.C: An Authoritarian Model for Africa". *Journalism Quarterly* 52 (Autumn 1975).

(٣) Smith, Jasper K. "The Press and Elite values in Ghana 1962-1970." *Journalism Quarterly* 49. (Winter 1972): 679-683.

(٤) Twumasi, Yaw. "The Newspaper Press and political Leadership in Developing Nations: The Case of Ghana 1964 to 1978." *Gazette* 26, no. 1 (1980): 1-16.

(٥) Twumasi, Yaw. "Media of Mass Communication and the Third Republican Constitution of Ghana". *African Affairs* (January 1981): 13-27.

(٦) Raymond B. Nixon, "Freedom in the World's Press: A Fresh Appraisal With New Data", *Journalism Quarterly* 42 (Winter 1965), P. 7.

في هذا السياق تأتي أيضا دراسة رالف لونغشتين Ralph Lowenstien⁽¹⁾ لحرية الصحافة في معظم دول العالم. وقد انتقد لونغشتين منهج نيكسون في الدراسة السابقة في قياس حرية الصحافة على أساس أنه لم يستخدم معايير خاصة لكل دولة للحكم على درجة حرية الصحافة بها ولم يضع في اعتباره عوامل مؤثرة أخرى في حرية الصحافة غير التدخل والسيطرة الحكومية، مثل تركيز الملكية والتنظيم الذاتي للصحافة. وقد وضع لونغشتين مقياساً لحرية الصحافة أطلق عليه "قابلية وقدرة الصحافة على الاستقلال وتوجيه النقد" Press Independent and Critical Ability. واستخدم ٢١ عاملاً لقياس حرية الصحافة في كل نظام صحفى من بينها القيود القانونية والقيود غير القانونية والتنظيم الذاتي والمنافسة. وخلص إلى وضع صحافة الولايات المتحدة في أعلى درجات الحرية، بينما وضع غانا مع دول أفريقية أخرى تحت تصنيف (انتقال) في إشارة إلى عدم ثبات أوضاع حرية الصحافة بها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى وصف وتحليل وتفسير أوضاع حرية الصحافة في أفريقيا جنوب الصحراء في فترة ما بعد الاستقلال وذلك من خلال رصد العلاقات المتبادلة بين الحكومات الوطنية وبين الصحافة كما تبرزها الدساتير والقوانين الخاصة بالصحافة التي وضعتها الحكومات الوطنية، وكما يبرزها الواقع الفعلي، أي لممارسات العملية، وذلك من خلال دراسة دولة ممثلة هي غانا.

وفي ضوء ذلك يهدف البحث إلى اختبار عدد من الفرضيات المتعلقة بالمقارنة بين حرية الصحافة في العهد الاستعماري وحرية الصحافة في عهد الحكم الوطني، والمقارنة بين حرية الصحافة في ظل الحكومات المدنية وحرية الصحافة في ظل الحكومات العسكرية. وتتمثل هذه الفرضيات - التي استقيناها من قراءة متعمقة لتاريخ وتطور الصحافة الأفريقية والدراسات السابقة السابق الإشارة إليها - في فرضيتين أساسيتين، هما:

- ١- هناك علاقة ايجابية بين الحكم الوطنى وبين حرية الصحافة. على أساس أنه من المأمول أن يقود حصول الدول الأفريقية على استقلالها إلى ازدهار حرية

⁽¹⁾ Ralph L. Lowenstien, "PICA": Measuring World Press Freedom," Freedom of Information Center Publication 166 (August 1966):2.

الصحافة في إطار ازدهار الحريات العامة للمواطنين بعد انتهاء العهد الاستعماري وخروج المستعمرين وتولى أبناء هذه البلاد حكم أنفسهم.

٢- أن هناك علاقة بين نوع الحكم الذي شهدته الدول الأفريقية وبين درجة حرية الصحافة. هذه العلاقة ايجابية بين الحكم المدني وازدهار حرية الصحافة، وسلبية بين الحكم العسكري وبين ازدهار حرية الصحافة. وذلك على افتراض أن الحكم المدني إنما يأتي نتيجة اختيار حر للمواطنين ولا يضمن استمراره إلا استمرار رضا الناخبين، وبالتالي يجب أن يتجه إلى الحفاظ على الحريات العامة ودعم حرية الصحافة، والعكس هو المفترض في حالة الحكم العسكري، الذي قد يوحى مجرد إسمه بالقمع.

مجال البحث :

أ - المجال الموضوعي: يتمثل المجال الموضوعي للبحث في قضايا حرية الصحافة بصفة أساسية في إطارها التاريخي والمعاصر، وبأبعادها المختلفة التي تتضمن: وضعية الصحافة في دساتير ما بعد الاستقلال، والنصوص القانونية المتعلقة بالصحافة سواء كانت قوانين خاصة بالصحافة (قوانين مطبوعات) أو نصوص داخل القوانين العامة، والعلاقة بين السلطة الحاكمة وبين الصحافة (التطبيق الفعلي) في فترات الحكم المدني وفي فترات الحكم العسكري، ومدى اختلاف حرية الصحافة في فترة ما بعد الاستقلال عنها في فترة ما قبل الاستقلال.

ب- المجال المكاني (التطبيقي): تضم أفريقيا أنظمة سياسية متنوعة ومختلفة، لذلك فإنه من الصعب تناول حرية الصحافة في القارة بأكملها، ولذلك يتحدد المجال التطبيقي للدراسة في دولة غانا كحالة ممثلة. وقد اختيرت هذه الدولة لتكون مجالاً للدراسة لأكثر من سبب:

١- أنها تمثل شكلاً من أشكال التطور الصحفي في أفريقيا السوداء. إذ كانت غانا من أوائل الدول الأفريقية التي عرفت الصحافة، ويعود صدور أول صحيفة بها وهي رويال جولد كوست جازيت إلى عام ١٨٢٢، ولم يسبقها في ذلك من دول جنوب الصحراء سوى سيراليون.

٢- إن هذه الدولة تقدم نموذج لنظام سياسى وإعلامى متميز في القارة الأفريقية، على أساس أن الصحافة لعبت دوراً كبيراً في الحركة الوطنية التى قادت استقلال البلاد والتي ترعّمها الصحفى كوامى نكروما الذى تحول إلى زعيم سياسى وحكم البلاد بعد الاستقلال، وكان يصدر بها فى الفترة الاستعمارية نحو ٧٠ صحيفة. وبعد الاستقلال وضعت غانا نموذج لعلاقة الحكومة بالصحافة قلّدتها غالبية الدول الأفريقية، يقوم على امتلاك الحكومة كل وسائل التعبير فى المجتمع بما فيها الصحف. فقد كانت غانا - باعتبارها أول دولة أفريقية جنوب الصحراء تحصل على استقلالها (١٩٥٧) هى النموذج العملى السياسى والصحفى الذى احتذت به الدول الأفريقية بعد الاستقلال. وكان رئيسها الوطنى الأول نكروما أول رئيس أفريقى يضع الصحافة تحت إشرافه المباشر وأول من أنشأ وكالة أنباء وطنية، وأصدر أول صحيفة حكومية، كما كان أول من أغلق الصحف المعارضة له، وأول من سجن الصحفيين المعارضين فى أفريقيا جنوب الصحراء بعد رحيل المستعمر الأوروبى.

٣- إن نظام الصحافة فى غانا باعتبارها مستعمرة بريطانية سابقة: يعد أكثر النظم الصحفية تطوراً فى القارة الأفريقية، استناداً إلى تاريخ الصحافة الطويل بها.

منهج البحث :

فى ضوء الهدف الأساسى للبحث، تم الاعتماد على المنهج التاريخى فى دراسة حرية الصحافة فى الدول الثلاث، بالاعتماد على المصادر الثانوية التى تتمثل فى الكتب والبحوث المنشورة عن الصحافة الأفريقية عموماً وعن حرية الصحافة فى أفريقيا على وجه الخصوص. وقد لجأنا إلى المصادر الثانوية لتعذر الوصول إلى المصادر الأولية (الوثائق التاريخية) من جانب ، ودرجة الوثائق العالية التى حظيت بها المصادر الثانوية من جانب آخر. وقد تم استخدام المنهج التاريخى بأدواته التحليلية (التحليل التاريخى). كما تم استخدام المنهج المقارن للمقارنة على مستوى زمنى بين فترتى ما قبل الاستقلال وما بعد الاستقلال وفترتى الحكم العسكرى والحكم المدنى.

محتويات البحث :

بالإضافة إلى المقدمة المنهجية السابقة، يتكون البحث من مبحثين، يعالج المبحث الأول ظروف نشأة الصحافة الأفريقية (مع التركيز على الصحافة الغانية)، وحريتها قبل الاستقلال. ويركز المبحث الثاني على أوضاع حرية الصحافة في غانا بعد الاستقلال. بالإضافة إلى الخاتمة التي تشمل اختبار الفروض، وتفسير النتائج، وخاتمة.

المبحث الأول

الصحافة في أفريقيا جنوب الصحراء

تعد القارة الأفريقية ثاني قارات العالم من حيث المساحة وبها ما يقرب من ٦٥٠ مليون نسمة. وتمتلك أفريقيا رصيذاً ضخماً من المصادر الطبيعية وبها أخصب الأراضي القابلة للزراعة في العالم. ويسكن أفريقيا عدد ضخم من المجموعات القبلية وبها نحو ٨٠٠ لغة. ومع ذلك فإن أفريقيا جنوب الصحراء تعد واحدة من أقل مناطق العالم نمواً اقتصادياً وتكنولوجياً، وتبلغ نسبة الأمية بها نحو ٨٠%، كما أنها من أقل مناطق العالم تعرضاً واستهلاكاً لوسائل الإعلام.

في مؤتمر برلين في ١٨٨٥ دشنت القوى الاستعمارية الأوروبية سيطرتها على أفريقيا، التي تعود إلى قبل ذلك بقرون، ورسمت الحدود لتقسيم القارة فيما بينها. ومن أجل الحصول على أقصى استفادة قدم الأوروبيون محاصيل جديدة للزراعة مثل البن، وجوز الهند، والموز، والبرتقال، والقطن، والفاصليا لخدمة السوق الأوروبية. وقد أدى تزايد اعتماد أفريقيا على تصدير حاصلاتها بالإضافة إلى السياسية الأوروبية في توحيد محاصيل القارة، إلى تزايد اعتماد دول القارة الأفريقية الواسع على الأسواق الأوروبية، كما أدى اعتماد دول القارة على تصدير نفس المحاصيل تقريباً إلى تدهور أسعار هذه المحاصيل وبالتالي تدهور الاقتصاد الأفريقي. وفي ظل الحاجة إلى نقل منتجات القارة إلى أوروبا والولايات المتحدة، كان المستعمرون في حاجة شديدة إلى مواصلات واتصالات ملائمة، فبدعوا في بناء الطرق والسكك الحديدية وأنظمة الاتصالات. وقد كانت هذه البنية الأساسية موجهة في الأساس لخدمة الأوروبيين وموجهة نحو السواحل فقط والعواصم الأوروبية وليس إلى الطرق التقليدية القديمة.

إلى جانب الطرق وشبكة الاتصالات أصدر الأوروبيون الصحف. فالصحافة الأفريقية ظهرت في ظل الاستعمار الأوروبي وظل تطورها في القرنين التاليين مرتبطاً بشدة بالصحافة في أوروبا وأمريكا الشمالية. فقد كان للقوى الاستعمارية تأثير كبير على الصحافة في أفريقيا. وقد تمثل هذا التأثير في تقديم مفهوم سلطوي للصحافة وتقبيد نمو الصحافة المحلية. كما ساهم هذا التأثير في زيادة حدة الصراع الذي ميز نشأة الصحافة الأفريقية.^(١)

(١) Dennis L. Wilcox, "The Press in Black Africa: Philosophies and Control," Ph.D. dissertation, University of Missouri, 1975, P. 342.

كان أول ظهور للصحافة الأفريقية في إقليم غرب أفريقيا الذي يضم غانا الذي كان خاضعاً للاستعمار البريطاني. ويتفق معظم الباحثين الذين درسوا الصحافة الأفريقية على أن السبب الرئيسي للنشأة المبكرة والاستقلالية التي تمتعت بها الصحافة في المستعمرات البريطانية في غرب أفريقيا هو أن المستعمرين لم يستوطنوا إطلاقاً في هذه المنطقة. فقد كانت الصحف التي أصدرتها بريطانيا في غرب أفريقيا صحفاً رسمية فقط في الوقت الذي كان فيه سوق القراءة صغيراً جداً ولا يسمح بتحقيق أية أرباح.^(١) كما كان المستوطنون أكثر اهتماماً بتأسيس دعائم التجارة وتحقيق أرباح أكثر من اهتمامهم بالمشاركة السياسية أو تأسيس منازل لأنفسهم في المنطقة. وإلى حد ما ينظر للبريطانيين على أنهم كان لديهم أفكاراً تحررية بالنسبة للصحافة. ولذلك كانوا غالباً ما يسمحون بانتقاد الصحف الأفريقية في الساحل الغربي للسياسات الاستعمارية دون تدخل من جانبهم. على النقيض من ذلك، فإنه في شرق أفريقيا حيث كان يعيش المستوطنون مع الأفريقيين جنباً إلى جنب، كان الموقف مختلفاً.

فقد اختلفت جوهرياً طبيعة الأنظمة الاستعمارية باختلاف القوي الاستعمارية الغربية. فقد اتبع البريطانيون نظاماً واقعياً يقوم على حكم المستعمرات حكماً غير مباشر من خلال المؤسسات الأفريقية القائمة، وهو نظام لم يكن نابعاً من أيديولوجية خاصة بقدر ما كان ملائماً لعدم استطاعة بريطانيا توفير العدد اللازم من الإداريين لإدارة كل هذه المستعمرات. على الجانب الآخر، كان الحكم الفرنسي في أفريقيا مرتبطاً بشدة بالتقاليد التنظيمية المحلية في فرنسا. وكان الهدف الرئيسي من الاستعمار - من وجهة نظر الفرنسيين - هو إدماج المستعمرات في فرنسا ولذلك كان الأفريقي من حقه أن يُمنح الجنسية الفرنسية في حالة تحصيله قدر معين من الحضارة الفرنسية.^(٢) وكما ذكرنا، لم تكن هناك مساهمات فرنسية تذكر في تطوير صحافة أفريقية في المستعمرات الفرنسية. فقد كانت فلسفة الفرنسيين تستهدف في الأساس خلق نخبة وطنية ناطقة بالفرنسية ومرتبطة بالثقافة الفرنسية. وكان من الطبيعي أن ينحصر جمهور الصحافة والصحفيين داخل هذه النخبة. وقد ساهمت الصحافة الأوروبية في أفريقيا الفرنسية في عمليات الاستيعاب هذه.^(٣)

(١) Frank Barton, *The Press of Africa: Persecution and Perseverance* (New York: Macmillan, 1979), P.16.

(٢) Ibid., P. 43.

(٣) William A. Hachten, *Muffled Drums: The News Media in Africa* (Ames: Iowa State University Press, 1971), PP. 182-183.

وتستمد الصحافة المعاصرة في أفريقيا السوداء الناطقة بالإنجليزية جذورها التاريخية من أربعة أنواع مختلفة من الصحف، هي: الصحف الحكومية الرسمية؛ و صحف البعثات التبشيرية؛ والصحف المملوكة ملكية خاصة؛ والصحف السرية المعادية للاستعمار. وقد كانت الصحف الرسمية هي أسبق هذه الأنواع الأربعة في الظهور، وكما يقول دينيس ولكوكس فإن أصل نشأة الصحافة الأفريقية تعود إلى المطبوعات الرسمية للحكومات الاستعمارية.^(١) على هذا الأساس فإن الصحافة في أفريقيا بدأت بالصحف التي امتلكها وأدارها مسئولون بالحكومات البريطانية في المستعمرات، والتي كانت تهدف نظرياً إلى محو أمية الشعوب وتشجيع التنمية المحلية. أما الهدف الرئيس لهذه المطبوعات فقد كان إخماد الروح الوطنية بالإضافة إلى تزويد رجال الأعمال والمال ورجال الإدارة الأوربيين بالأخبار والمعلومات، وبالتالي كانت الصحافة عرقية في المفهوم والمحتوى. وقد كان هذا أمراً طبيعياً في ضوء حقيقة أن الغالبية العظمى من السكان المتعلمين كانوا من الأوربيين. وعلى الرغم من أن الأفريقيين لم يكونوا هم الجمهور المستهدف لدى هذه الصحافة، فإن واقع الحال لم يمنع من أن تعمل هذه الصحافة على دعم وتأكيد ولائهم للنظام الاستعماري.^(٢)

كانت أول صحيفة معروفة تصدر في أفريقيا السوداء هي صحيفة "رويال جازيت أند سيراليوني ادفرتيزر" Royal Gazette and Sierra Leone Advertiser التي صدرت في فبراير عام ١٨٠١ واستمرت في الصدور لمدة عام. وفي عام ١٨٢٢ صدرت في أكرا عاصمة ما كان يعرف في ذلك الوقت بـ "ساحل الذهب" وحالياً "غانا"، صحيفة شبه رسمية مكتوبة بخط اليد هي "رويال جولد كوست جازيت" Royal Gold Coast Gazette. ولم تعمر معظم الصحف الاستعمارية الرسمية طويلاً واستمرت في أحسن الأحوال لسنوات قليلة. وبالإضافة إلى هذه المطبوعات المبكرة التي امتلكتها وأدارتها الحكومات، ظهرت بعض الصحف التي يمتلكها أوربيون ويديرونها باستقلال تام عن السلطات الحكومية. ففي نيجيريا صدرت أول صحيفة بواسطة إحدى البعثات التبشيرية، وكانت صحيفة نصف أسبوعية أسسها ريفرايند هنري تونسن في عام

^(١) Wilcox, "The Press in Black Africa", P. 30.

^(٢) Ibid., P. 34.

١٨٥٩ وأطلق عليها إسم "ايو أوهرين" Iwe Ihorin. وفي الواقع فإن الصحافة التبشيرية في غرب أفريقيا تندرج ضمن مفهوم الصحافة الأفريقية المستقلة التي كانت تستهدف الجمهور الأفريقي.^(١)

وكانت صحيفة أكرا هيرالد Accra Herald التي تأخر صدورها إلى العام ١٨٥٧ هي أول صحيفة تصدر عن أشخاص وليس عن الحكومة في ساحل الذهب (غانا) - وقد صدرت بعد أكثر من ٣٠ عاماً من صدور أول صحيفة رسمية وهي رويال جولد كوست جازيت - وكانت مكتوبة أيضاً بخط اليد. وبعد عامين انتقلت الصحيفة إلى مدينة كاب كوست وسميت بإسم جديد هو وست أفريكان هيرالد West African Herald وكان عدد المشتركين فيها نحو ٣٠٠ شخصاً.

والواقع أن فكرة الصحافة وإصدار الصحف بدأت في الانتشار - ببطء في البداية - ولكن على المدى الطويل كان انتشاراً سريعاً، كما وصفه فرانك بارتون "بأنه كان مكر الشرارة التي اشتعلت فجأة ولم يكن من الممكن التحكم فيها، على امتداد الساحل الغربي لأفريقيا"^(٢). وفي ساحل لمذهب (غانا) بصفة خاصة كانت الصحافة قوية وظلت لسنوات طويلة صحافة أفريقية خالصة يملكها الأفارقة ويديرونها.

ومن أبرز الصحف الأفريقية التي ظهرت في فترة مبكرة، صحيفة أنجلو أفريكان Anglo-African التي صدرت في لاجوس بنيجيريا في عام ١٨٦٣ بمضمون مشابه للصحف البريطانية التي كانت تصدر في لندن في ذلك الوقت. وقد استمرت هذه الصحيفة في الصدور لمدة ثلاث سنوات فقط، وتبعها مجموعة من الصحف صدرت على غرارها ومتشبهة بها في الشكل والمضمون تستهدف الأقلية الأوربية المتعلمة. وكانت هذه الصحف يصدرها في الغالب أفراد، وكانت مختلفة تماماً عن النشرات المعارضة المعاصرة لها والتي شكلت القاسم الأعظم من تقاليد الصحافة الأفريقية الحديثة. لقد كان هذا النوع من الصحف قائم على أساس تلبية حاجة النخبة لأن يكون لها صوت في الشؤون العامة ورغم أنها كانت صحفاً سياسية في الأساس إلا أنها تضمنت مواداً للتسلية. ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع صحيفة أفريكان انتربريتير في سيراليون التي تضمنت مواد مترجمة من صحافة لندن بالإضافة إلى ركن للشعر،

^(١) Hachten, Muffled Drums, p.145.

^(٢) Batron, The Press of Africa, p. 15.

والنقد السياسي. وفي ساحل الذهب كان النقد السياسي هو الوظيفة الأكثر أهمية بالنسبة للصحافة^(١).

وقد ظهرت الصحف التي يصدرها أفريقيون وتوجه إلى الأفريقيين لأول مرة في المستعمرات البريطانية في غرب أفريقيا، في سيراليون، وساحل الذهب (غانا)، ثم في نيجيريا بعد ذلك. وكان هدف هذه الصحف سياسياً بصفة أساسية حيث عملت هذه الصحف كأداة للتنمية السياسية والتأثير السياسي. وقد كان لهذه النشأة تأثير ممتد على تطور الصحافة في غرب أفريقيا. وقد حملت الصحافة الناطقة باللغة الإنجليزية في غرب أفريقيا انتقادات للسلطات الاستعمارية وأصبحت فيما بعد أحد الأدوات المهمة التي استخدمتها الحركات الوطنية في نضالها من أجل الاستقلال^(٢).

ولعل مما يميز نشأة الصحافة في غرب أفريقيا أنها كانت من البداية أفريقية الهوية والملكية. فباستثناء الصحف الرسمية التي أصدرتها السلطات الاستعمارية وبعض الصحف الصغيرة التي أصدرها المبشرون، كانت غالبية الصحف التي صدرت في فترة النشأة يمتلكها أفارقة من سكان البلاد الأصليين. ويرجع هذا إلى أن المجتمع الأوربي الاستعماري في دول غرب أفريقيا كان صغيراً جداً واقتصر اهتمامه كما قلنا من قبل على أمور التجارة، وبالتالي لم تكن هناك سوق قراء تسمح بانتشار الصحافة الاستعمارية^(٣).

وقد تأثرت نشأة الصحافة الأفريقية في دول غرب أفريقيا بعودة العبيد المحررين من الولايات المتحدة إلى ليبيريا وسيراليون. فقد كان من بين العائدين شارلز فورس Charles Force الذي عاد إلى مونروفييا في عام ١٨٢٦ حاملاً معه آلة طباعة يدوية، مكنته من إصدار صحيفة شهرية في أربع صفحات، هي "ليبيريا هيرالد Liberia Herald" ولكنها أغلقت بعد شهور قليلة لوفاة، ثم أعاد أفريقي آخر عائد من الولايات المتحدة إصدارها مرة أخرى. وقد حملت هذه الصحيفة دعوة المساواة بين الأفارقة

^(١) Rosalynde Ainslie, *The Press in Africa: Communications Past and Present* (London: Victor Gollancz, 1966), p.23.

^(٢) Hachten, *Muffled Drums*, P.143.

^(٣) Ainslie, *The Press in Africa*, p. 21.

وبين الأوروبيين، وحاربت تجارة الرقيق وقدمت الأفارقة كعنصر مساو تماماً للأوروبيين.^(١)

وبحلول منتصف القرن التاسع عشر كانت الصحافة قد انتشرت في الدول الواقعة على طول الساحل الأفريقي الغربي. والجديد الذي حمله العقد الثامن من هذا القرن هو أن الصحافة في هذه البلدان قد بدأت نوعاً من التعاون المشترك بإعادة نشر ما تنشره الصحف الأفريقية الأخرى. وقد بدأت هذه الخدمة الجديدة صحيفة لاجوس تايمز Lagos Times بإعادة نشر ما تنشره صحف سيراليون وساحل الذهب (غانا). إذ شعرت الصحافة الأفريقية بالهوية المشتركة سواء بين الصحف أو بين القراء، الأمر الذي مهد لظهور الصحافة الشعبية فيما بعد.^(٢)

وقد صدر في نيجيريا في نهاية القرن التاسع عشر عدد كبير من الصحف كان من أهمها صحيفة لاجوس ويكي ريكورد Lagos Weekly Record التي نطقت باسم الحركة الوطنية وحررها الصحفي البارز جون باين جاكسون John Payne Jackson الذي يعد أول صحفي أفريقي محترف، أي أول صحفى مثلت الصحافة المهنة الأساسية له. وقد اكتسب جاكسون شهرته من كتاباته الوطنية وهجومه الدائم والشديد على العنصر الأوروبي الأبيض في أفريقيا.^(٣)

أما في غانا (ساحل الذهب في ذلك الوقت) فقد كان من أبرز الصحف المبكرة صحيفة "جولد كوست أبورجينز" Gold Cost Aborigines التي نطقت بلسان أول جماعة سياسية في غانا، وهي منظمة حماية الحقوق The Protection Society، ورغم الصعوبات الاقتصادية الشديدة التي عانت منها الصحف الغانية الوليدة وأدت إلى زيادة معدلات إغلاقها، فإن فترة العقد التاسع من القرن التاسع عشر (١٨٩٠) كانت من أزهى فترات الصحافة الغانية. فقد حفلت الصحف الغانية بالمقالات السياسية التي تهاجم بعنف حكومة الاحتلال، كما تضمنت تغطية خبرية جيدة لأخبار غانا ومستعمرات غرب أفريقيا^(٤). وبحلول القرن العشرين كان هناك حسب تقدير هاشتن،

^(١) Barton, *The Press of Africa*, p.17.

^(٢) Ainslie, *The Press in Africa*, pp. 25-26.

^(٣) Ibid., pp. 28-30.

^(٤) Ainslie, *The Press in Africa*, pp. 23-25.

ثلاثة وستون صحيفة تصدر في غرب أفريقيا البريطانية، منها أربعة وثلاثين صحيفة في سيراليون، وتسعة عشر صحيفة في غانا، وتسعة صحف في نيجيريا، وصحيفة واحدة في جامبيا. وتبدو هذه الأرقام جيدة إذا علمنا أن الصحافة الوطنية لم تكن قد ظهرت بعد في بقية مناطق أفريقيا السوداء باستثناء جنوب أفريقيا.⁽¹⁾

وقد كانت غالبية الصحف التي ظهرت في غرب أفريقيا مملوكة إما لأفارقة من سكان البلاد الأصليين، أو للجماعات التبشيرية، وهو أمر لم يكن متاحاً للأفريقيين في مناطق أفريقيا الأخرى، ولم تتغير الطبيعة الأفريقية للصحافة في غرب أفريقيا، حتى بعد دخول المؤسسات الصحفية الغربية الكبرى مجان إصدار الصحف في غرب أفريقيا، مثل مجموعة الديلي ميرور البريطانية Britain's Daily Mirror Group، ومجموعة راي تومسون الكندية Canada's Roy Thomson، إذ استمرت الصحف تعبر في الأساس عن الأفريقيين وتمثل الصوت المناهض للاحتلال، وظلت هي الأساس في الحركات الوطنية في غرب أفريقيا في الخمسينات والستينات من هذا القرن.

وفي بداية القرن العشرين أقامت بريطانيا الحدود السياسية بين الدول الأفريقية. وقد قامت الصحافة الأفريقية الوطنية بدور بارز في المعارضة الشعبية لهذا الإجراء الاستعماري، التي تجلت في المظاهرات العنيفة التي اجتاحت لاجوس وساحل الذهب (غانا). وكانت هذه الأحداث وراء تحول الصحفيين في المستعمرات البريطانية في غرب أفريقيا إلى قادة سياسيين.⁽²⁾

وقد صدرت أول صحيفة يومية ناجحة في غرب أفريقيا في نيجيريا عام ١٩٢٥، وهي صحيفة لاجوس ميلي نيوز Lagos daily News، وأصدرها هربرت ماكيللي. وكانت هذه الصحيفة أيضاً أول صحيفة تنتمي إلى حزب سياسي وهو الحزب الوطني الديمقراطي National Democratic Party، الذي أسسه صاحب الصحيفة. وقد كان لهذه الصحيفة دوراً بارزاً في تطور الحركة الوطنية النيجيرية، وأثرت بما كانت تنشره من موضوعات مناهضة للاحتلال قلق السلطات الاستعمارية وعملائها من التجار والمحافظين. ولمقاومة هذه الصحيفة لجأ مجموعة من رجال الأعمال البيض إلى

(1) Hachten, Muffled Drums, p. 145.

(2) Barton, The Press of Africa, p. 19.

إصدار صحيفة منافسة لها، من خلال الغرفة التجارية بلاجوس، هي صحيفة ديلي تايمز Daily Times، التي أصبحت فيما بعد أكثر الصحف أهمية وقوة في غرب أفريقيا، بما توافر لها من إمكانات اقتصادية وفنية كانت خارج قدرات الصحف الوطنية^(١).

وقد دخلت صناعة الصحافة في غرب أفريقيا-- والتي كانت تعتمد على المبادرات الفردية - في عام ١٩٣٤ عهداً جديداً بظهور ننامدي أزيكوي Nnamdi Azikiwe، أحد قادة الحركة الوطنية الأفريقية، وكان أزيكوي قد تلقى تعليمه في الولايات المتحدة وشهد هزيمة سياسة التفرقة العنصرية في ولايات الجنوب في العشرينات، وتزايد الوعي السياسي للأمريكيين السود، والمظاهرات العنصرية. وقد أمن أزيكوي بقدرة الصحافة في الحركة التحررية الأفريقية، فأصدر بالاشتراك مع صحفي سيراليوني صحيفة أفريكان مورنينج بوست African Morning Post في عام ١٩٣٤، ثم انتقل إلى نيجيريا ليصدر صحيفة ويست أفريكان بيلوت West African Pilot^(٢).

وفي الفترة التي سبقت قيام الحرب العالمية الثانية بدأ معظم القادة السياسيين الأفارقة حياتهم السياسية بالعمل في الصحافة كمحررين وناشرين لنشرات إخبارية وطنية، وكان من بين هؤلاء كوامي نكروما أول رئيس لغانا، وجومو كنياتا، أول رئيس لكينيا، وجوليوس نيريري، قائد الاستقلال في تنزانيا، وجوزيف مويديتو في زائير.

حرية الصحافة قبل الاستقلال :

الواقع أن هناك وجهتين نظر أساسيتين ومتعارضتين فيما يتعلق بدرجة الحرية التي تمتعت بها الصحافة الوطنية الأفريقية قبل الاستقلال. فعلى حين يرى هاشتن^(٣) أن التقاليد البريطانية في حرية الصحافة امتدت إلى مستعمرات بريطانيا في غرب أفريقيا، فتمتعت الصحافة في هذه المنطقة بدرجة كبيرة من حريتها. ورغم أن الصحف الأفريقية كانت تواجه من وقت إلى آخر اضطهادات وقمع، إلا أن السلطات

^(١) Hachten, *Muffled Drums*, p. 146.

^(٢) Barton, *The Press of Africa*, pp. 21-22.

^(٣) Hachten, *Muffled Drums*, pp. 148-149.

البريطانية كانت أكثر تحملاً وسمحت بدرجة من حرية الصحافة لم تتمتع بها الصحافة في أي منطقة أفريقية أخرى في ذلك الوقت.

في المقابل فإن ويلكوكس يري أن السلطات البريطانية نفضت يدها مما يتعلق بحرية الصحافة ولم تتدخل مباشرة للحد من حرية الصحافة في غرب أفريقيا، ولكنها استعملت الإدارات المحلية في الحد من حرية الصحافة، حيث تركت القرارات المتعلقة بحرية الصحافة في يد هذه الإدارات العميلة لها. ولهذا يري ويلكوكس أنه من الخطأ أن ننصّر أن الصحافة الأفريقية في غرب أفريقيا قد تمتعت تحت الاحتلال البريطاني بأية درجة من الحرية لسبب بسيط وهو أن الحكومة البريطانية لم تضع رسمياً أية ضمانات أو مبادئ لحرية الصحافة في مستعمراتها.⁽¹⁾

وكانت السلطات الاستعمارية تلاحق الصحف بالمحاكمة والمصادرة بموجب قوانين السب والقذف، وإصدار قوانين الصحافة المقيدة لحرية الصحافة والمماثلة لقوانين الصحافة في بريطانيا في القرن الثامن عشر⁽²⁾. وقد دفع وجود مثل هذه القوانين، بالإضافة إلى وجود الصحف المعبرة عن الأوروبيين العديد من الأفارقة إلى إصدار صحف تعبر عنهم وتنطق بلسانهم وتعكس آرائهم وطموحاتهم في الاستقلال⁽³⁾. ورغم هذه القيود فإن الصحفيين الأفارقة - خاصة في الدول الخاضعة للاستعمار البريطاني - تمتعوا إلى حد ما بدرجة من الحرية مكنتهم من معارضة السلطات الاستعمارية والمطالبة بالاستقلال بل والمساهمة مع الحركات الوطنية في إنهاء الاحتلال الأوروبي.

وفي عشية الاستقلال وانتقال الحكم إلى الأغلبية الأفريقية التي تستند على التأييد الشعبي الجارف، كان من المتوقع أن تزدهر حرية الصحافة الأفريقية وتتسع قاعدة ملكية الصحف وعددها، خاصة مع نمو برامج محو الأمية ونشر التعليم التي أعلنتها الحكومات الوطنية، بالإضافة إلى ما ولده الاستقلال من حاجة شعبية إلى الأخبار عن الشؤون العامة بين الأفارقة خاصة في المناطق الحضرية. ولكن هذه التوقعات لم

(1) Wilcox, *The Press in Black Africa*. pp. 38-40.

(2) Ibid, p. 40.

(3) Ibid, p.45.

تحدث، بل على العكس كان عقد الستينات (عقد الاستقلال) أخرج فترات حرية الصحافة الأفريقية. فقد ظل عدد الصحف محدوداً بل وأقل مما كان عليه تحت الحكم الاستعماري نتيجة إغلاق الصحف واحتكار الحكومات إصدار تراخيص الصحف الجديدة، كما ظل توزيع الصحف محدوداً وعائداتها من الإعلان محدودة للغاية، كما ظلت قاعدة القراء كما هي بسبب استمرار معدلات الأمية على ما كانت عليه والفقير.

إن الذي تغير بعد الاستقلال - حسبما يقرر وليم هاشتن⁽¹⁾ - هو نمط ملكية الصحف والسيطرة على السوق الصحفي. فقد اتجهت الحكومات الجديدة إلى احتكار ملكية وسائل الإعلام المطبوعة والمسموعة، ووضعت بذلك حجر الأساس لنمط لا زال قائماً ويميز الصحافة الأفريقية حتى اليوم.

وقد ظل التدخل الحكومي في شئون الصحافة بعد الاستقلال واضحاً في أكثر من اتجاه، مثل: انخفاض عدد الصحف المستقلة، وظهور عدد كبير من الصحف الحكومية، وتزايد نفوذ وزارات وإدارات الإعلام، وتأميم الخدمات الإذاعية والتليفزيونية، وإنشاء وكالات الأنباء الحكومية للتحكم في تدفق الأخبار والمعلومات من وإلى الدول الجديدة. وقد انتقل هذا النمط من دولة إلى أخرى، وتعرضت جميع الصحف التي كانت تصدر قبل الاستقلال إما إلى احتواء النظم الجديدة لها بالشراء أو التهديد وإما إلى الإغلاق، ولم تستثن من ذلك الصحف التي ساندت حركات التحرر، بعد أن أظهرت الحكومات عدم تحملها حرية الصحافة. وقد عبر أحد الصحفيين الأفارقة عن بقاء أوضاع حرية الصحافة كما كانت عليه قبل الاستقلال وربما تحولها إلى الأسوأ، بقوله "إن شيئاً لم يتغير عما كان يحدث أيام الاستعمار، فقط تغير اللاعبون ولكن المباراة ظلت كما هي، فبدلاً من الحاكم الاستعماري أصبح لدينا رئيس جمهورية أو جنرال.. وتم الاستيلاء على الصحف، والصحف التي رفضت الانضمام إلى ماكينة الدعاية الحكومية تم إغلاقها."⁽²⁾

⁽¹⁾ Hachten, *Growth of Media*, Ibid, p. 22.

⁽²⁾ Hilary Ng'weno, "The Third World Dilemma: Can a State Press Be Free?", *The Weekly Review* (Nairobi), 22 June 1979.

المبحث الثاني

حرية الصحافة في غانا

كانت غانا (ساحل الذهب سابقاً) أول مستعمرة أفريقية تحصل على استقلالها من بريطانيا. ومنذ استقلالها تلعب غانا دوراً بارزاً في الشؤون الأفريقية، وقدمت نموذجاً خاص بها في مجال الإعلام في القارة الأفريقية.

لقد كانت الصحافة الغانية قبل الاستقلال مملوكة بالكامل تقريباً للأفريقيين، وتعمل في خمسة أهداف الحركة الوطنية للتحرر. كما كانت الصحافة الغانية صحافة سياسية في المقام الأول تعبر عن الاتجاهات الوطنية المعارضة للاحتلال، وساهمت بقدر كبير في ظهور وتطور الحركة الوطنية بل وقامت على أكتافها الأحزاب السياسية. ونجحت الصحافة الغانية قبل الاستقلال في الوصول إلى المناطق الريفية ولم تقتصر في توزيعها على المناطق الحضرية فقط. وكانت الصحف الغانية مرتبطة بشدة بالأحزاب السياسية الوطنية، وقامت السياسة التحريرية على أساس التركيز على القضايا السياسية كوسيلة لزيادة توزيع الصحف.^(١)

وقد واجهت الصحافة الغانية الوطنية قبل الاستقلال كثيراً من حالات العصف بحريتها من جانب السلطات الاستعمارية المحلية، وتتمثل أبرز نماذج ذلك، في مصادرة الصحف وحظر إصدارها والقبض على الصحفيين. فعندما أصدر نكروما صحيفة إيفينج نيوز Evening News في عام ١٩٤٨ التي انبثق منها حزب مؤتمر الشعب (CPP)، لم تتحمل السلطات الاستعمارية ما كانت تروج له الصحيفة من أفكار وطنية تحررية فقامت بحظر صدورها وألقت القبض على محرريها.^(٢)

وعندما حصلت غانا على استقلالها وكانت أول دولة في أفريقيا السوداء تتركها الإمبراطورية البريطانية في ٦ مارس ١٩٥٧، كان قائد حركة الاستقلال هو كوامي نكروما نفسه صاحب صحيفة إيفينج نيوز وصحيفتين أخريين كان قد أصدرهما عندما

^(١) Kitchen "The Press in Africa", p. 73.

^(٢) Wilcox, "The Press in Black Africa" p. 43.

عطلت السلطات الاستعمارية الصحيفة الأولى. وقد صدر الدستور الغاني في عام ١٩٦٠ ليعلن قيام الجمهورية في غانا وأصبح الصحفي والزعيم السياسي كوامي نكروما رئيس أول جمهورية غانية.

وقد كان من الطبيعي أن يهتم الرئيس نكروما - الصحفي سابقاً بالصحافة ويقدر دورها الإيجابي والسلبي، ويجعل منها أداة ثورية في سعيه إلى قيادة القارة الأفريقية نحو الوحدة والاشتراكية، إذ كانت أيديولوجيته تقوم على التأثير في القادة الأفارقة وتقديم غانا كنموذج يُحتذى. ولذلك أصبح نكروما أول زعيم أفريقي يضع الصحافة ووسائل الإعلام تحت إشرافه الشخصي المباشر، وإمعاناً في السيطرة قامت الحكومة بتأسيس مؤسسة حكومية لإصدار الصحف ضمت إليها صحيفة إيفيننج نيوز، وأصدرت عدد آخر من الصحف، مثل غانا تايمز Ghanian Times. وعملت الصحيفتان كناطقيتين بلسان حزب نكروما. ولإخماد أى صوت معارض قامت حكومة نكروما في ١٩٦٧ بشراء الصحيفة المعارضة الواسعة الانتشار ديلي جرافيك Daily Graphic التي كانت قد صدرت في عام ١٩٥٠ عن مجموعة الميرور اللندنية، والتي كانت أوسع الصحف الغانية انتشاراً وتوزيعاً وفاقت فنياً صحيفتا الحكومة^(١).

ومع التوجه الماركسي لحكومة نكروما، ولمواجهة الاتجاهات الرأسمالية التي عبرت عنها بعض الصحف التابعة لشركة المناجم الأوروبية "أشانتي تايمز"^(٢)، أصدرت الحكومة صحيفة "ذي سبارك" The Spark، في عام ١٩٦٢ كصحيفة ماركسية جادة.^(٣)

وللسيطرة على تدفق الأخبار الخارجية إلى البلاد أنشأت الحكومة وكالة أنباء غانا Ghana News Agency كما أنشأت وزارة للإعلام، ورغم التنظيم الجيد للوكالة والوزارة إلا أنها تركز فقط على الدعاية الحكومية.^(٤)

(١) Hachten, *Muffled Drums*, p. 168.

(٢) Chick, John D. "the Ashanti Times: A Footnote to Ghanaian Press History", *African Affairs* 76 (January 1977): 81. Chick, John D. "the Ashanti Times: A Footnote to Ghanaian Press History", *African Affairs* 76 (January 1977): 81.

(٣) Ainslie, "The Press in Africa", p. 62.

(٤) Hachten, *Muffled Drums*, p. 172.

إضافة إلى ذلك قامت الحكومة بإغلاق الصحيفة المعارضة الثانية، وهي صحيفة أشانتي بيونير Ashanti Pioneer في عام ١٩٦٢ واعتقلت جميع محرريها^(١).

ويتضح مما سبق أن أول حكم وطني في غانا قد ضاق كثيراً من حرية الصحافة، رغم أنه كان على رأسه صحفياً سابقاً. وربما يكون هذا هو السبب في التضييق على الصحافة. وقد شملت القيود غير القانونية التي فرضها نكروما على الصحافة: وضع الصحافة تحت إشرافه المباشر، السيطرة على السوق الصحفي من خلال إدخال الحكومة كمالك للصحف، وشراء الصحف المعارضة الواسعة الانتشار، إغلاق الصحف المعارضة واعتقال محرريها، السيطرة على تدفق الأخبار الخارجية إلى البلاد بإنشاء وكالة أنباء وطنية، بالإضافة إلى قمع الصحفيين المعارضين عن طريق فصلهم من العمل الصحفي أو دفعهم إلى الهجرة خارج البلاد. فقد طرد نكروما رئيس تحرير صحيفة ديلي جرافيك في عام ١٩٥٧ لأنه كتب مقالاً بعنوان "ماذا بعد يا نكروما؟" ينتقد فيه إصدار عملة جديدة للبلاد تحمل صورة نكروما. كما طرد صحفيين آخرين في عام ١٩٦١ لكتابتهم تقارير صحفية عن إضرابات عمال السكك الحديدية والميناء.^(٢)

وقد وضع نكروما المبادئ الأساسية للنظرية السلطوية في الإعلام، وهي:

- ١- السيطرة الحكومية شبه الكاملة على جميع وسائل الإعلام الجماهيرية.
 - ٢- قصر دور الصحافة على دعم سياسات الحكومة والدفاع عن أعمالها.
 - ٣- منع وصول الصحافة إلى مصادر الأخبار الحكومية.
 - ٤- منع الصحافة من توجيه أي نقد مباشر للحكومة.^(٣)
- وقد استخدم نكروما عدة آليات قانونية للحد من حرية الصحافة، نوجزها - حسب تطورها التاريخي - فيما يلي:

^(١) Smith, "The Press and Elite Values in Ghana," p. 680.

^(٢) Hachten, Ghana's Press Under the N.R.C, Ibid, p. 464.

^(٣) Hachten, Ghana Press, Ibid, pp. 459- 60.

- لم يقر الدستور الغاني الذي صدر في عام ١٩٦٠ حرية الصحافة. وقد استعاض نكروما عن ذلك بإصدار إعلان مبادئ أشار فيه إلى ضرورة وضع قيود على حرية التعبير للحفاظ على النظام العام والآداب والصحة العامة، والحق ذلك بنص يمنع حرمان أي شخص من حرية التدين أو الحديث أو التنقل أو التجمع السلمي أو التقاضي أمام المحاكم^(١).

- في عام ١٩٥٩ أصدر نكروما قانون الاعتقال الوقائي Preventive detention Act ليسمح للحكومة باعتقال أي شخص لمدة تصل إلى خمس سنوات دون توجيه اتهام إليه ودون محاكمة. وخلال العام الأول من تنفيذ هذا القانون تم اعتقال أكثر من سبعين شخصاً أغلبهم من الصحفيين.^(٢)

- في يونيو ١٩٥٩ تذرعت الحكومة بوقوع محاولة انقلاب فاشلة وأصدرت قانون الأنباء الكاذبة Flase Reports Bill، الذي تضمن عقاب من يقوم بنشر بيانات كاذبة شفهية أو كتابية من شأنها المساس بمصداقية وسمعة الحكومة الغانية بالسجن مدة تتراوح بين خمس وخمسة عشر سنة، سواء تم النشر داخل أم خارج البلاد. وفي نفس الوقت تم تشديد قانون الخيانة العظمى وأصبحت عقوبة الدعوة إلى تغيير نظام الحكم هي الإعدام.

- أصدر نظام نكروما قانوناً جديداً للتحريض على عصيان الحكومة، رفع فيه عقوبة هذه الجريمة إلى السجن خمسة عشر عاماً، بعد أن كانت هذه الجريمة يعاقب عليها بالسجن ثلاث سنوات كحد أقصى في العهد الاستعماري. وفي أغسطس ١٩٦٠ أصدر النظام لائحة الرقابة، التي منحت رئيس الجمهورية شخصياً سلطة فرض الرقابة على الصحف وحظر إدخال المطبوعات الأجنبية التي لا تتفق - من وجهة نظر الحكومة - والمصلحة العامة إلى البلاد.^(٣) وقد طبقت هذه اللائحة على الفور على صحيفة المعارضة الوحيدة في ذلك الوقت وهي Ashanti pioneer ومنعت من الصدور لمدة خمسة أيام، كما تم وضع اثنان من رؤساء تحرير الصحف قيد

^(١) Pauli Murray and Leslie Rubin, "The Constitution and Government of Ghana", London: Sweet and Maxwell, 1964, p. 22.

^(٢) Gunilla L. Faringer, "Press Freedom in Africa", New York: Praeger Publishers, 1991. p. 45.

^(٣) Frainger, Ibid, p. 45.

الاعتقال الوقائي بعد اتهامهم بالقيام بأنشطة معادية للنظام، شملت محاولة اغتيال نكروما.

- في عام ١٩٦١ استمر اتجاه النظام نحو وضع مزيد من القيود على الصحافة، وذلك بإضافة مادة جديدة إلى قانون الاعتقال الوقائي تجرم القذف في حق رئيس الجمهورية أو تشويه سمعته أو الدعوة إلى كراهيته وإزدرائه بجميع طرق النشر الشفهية والطباعة. ووسعت المادة نطاق عمل القانون ليشمل الغانيين في أي مكان في العالم، وتطبيقه بأثر رجعي منذ يوم الاستقلال. وبعد مرور عام واحد على هذا التعديل كان في سجون نكروما نحو ٣٥٠ صحفياً بسبب هذا القانون.^(١)

- في سبتمبر ١٩٦٢ انصب نكروما نفسه رئيساً مدى الحياة، وأقام نظام الحزب الواحد، ولهذا تعرض لمحاولة اغتيال قتل فيها ١٥ شخصاً وأصيب المئات. وقد انتهز نكروما الفرصة لفرض حالة الطوارئ على البلاد وفرض رقابة صارمة على الصحافة خاصة على التقارير الصحفية الداخلة إلى غانا والخارجة منها، وقام بطرد مراسلي الصحف الأجنبية، وأنهى هذه الإجراءات بتأميم صحيفة أشانتى بيونير المعارضة.

- في يونيو ١٩٦٣ تدخلت الحكومة في إصدار الصحف الجديدة وقررت إلزام جميع الصحف بالحصول على ترخيص من وزارة الإعلام حتى تتمكن من إغلاق ما تريد إغلاقه من الصحف وعقاب الصحفيين بدعوى عدم الالتزام بشروط الترخيص.

والطريف أنه رغم هذه القيود الصارمة فإن نكروما - كغيره من حكام العالم الثالث - كان يزعم على الدوام بأن الصحافة في بلاده تتمتع بأكبر قدر من الحرية. فقد قال في يونيو ١٩٦٥ "أن لدينا عدة صحف لكل منها محرروها، هؤلاء المحررون يتمتعون بأكبر قدر من الحرية، إذ يلتقون كل أسبوع بالمسؤولين في جميع الإدارات الحكومية والحزب المتصلين بأمور الإعلام ويتناقشون معهم بحرية في الشؤون المحلية والدولية، وبعد ذلك فإن كل محرر حر في اختيار الموضوع الذي يريد أن يكتب فيه"^(٢).

^(١) Frainger, Ibid. p. 46.

^(٢) Henry L. Bretton, "The Rise and Fall of Nkrumah", London: Praeger, 1966, p. 129.

في فبراير ١٩٦٦ أطاح العسكريون في المجلس الوطني للتحرير National Liberation Council بحكم نكروما، وأقاموا حكما عسكريا بزعامة الكولونيل أنكراه، استمر نحو ثلاثة سنوات. وقد شهدت الصحافة الغانية - في البداية - تحولات بارزة، كمية ونوعية، تحت حكم العسكريين، نتيجة تحول النهج السياسي للدولة والانقلاب على النظام الاشتراكي الماركسي الذي بدأه نكروما. فمن ناحية تحولت الصحف الثلاثة الرئيسية التي كانت تنطق بلسان حكم نكروما إلى النطق بلسان الحكم العسكري. ومن الطريف - كما يذكر هاشتن^(١)، أن الصحف الثلاثة غيرت سياستها التحريرية فور وقوع الانقلاب وصدرت في اليوم التالي دون توقف لتؤيد الانقلاب وقادته. كما عادت إلى الصدور بعض الصحف التي كانت حكومة نكروما قد أغلقتها، وأهمها صحيفة أشانتي بيونير التي أصبحت في هذه الفترة الصحيفة اليومية المستقلة الوحيدة وإن كانت قد غيرت إسمها إلى "بيونير Pioneer" وأطلقت الحكومة العسكرية سراح الصحفيين الذين كان قد تم اعتقالهم أثناء الحكم السابق. وبحسب للحكم العسكري أن الدستور الذي أصدره بدلاً عن دستور نكروما تضمن النص على حريات الإنسان الأساسية ومن بينها حرية التعبير والصحافة. ورغم أنه لم يوقف العمل بالقوانين السابقة المفيدة للصحافة إلا أنه تسامح بعض الشيء مع الصحافة، ومن دلائل ذلك صدور عدة صحف جديدة مثل صحيفة Legon Observer وصحيفة Echo، كما سمح النظام بصدور صحف تعبر عن أحزاب سياسية، وتمتعت الصحافة الغانية بقدر من حرية الصحافة بعد أن ألغت الحكومة الرقابة التي كانت مفروضة على التقارير الصحفية الخارجة من البلاد.

في المقابل وبعد فترة بدأت الحكومة العسكرية في اتخاذ إجراءات مشابهة لما استخدمته حكومة نكروما السابقة في تقييد حرية الصحافة. وتمثلت هذه الإجراءات في إغلاق عدد من الصحف التي كانت مؤيدة لنكروما، واعتقال رؤساء تحريرها ومحرريها، وتعيين صحفيين مواليين لها في الصحف الحكومية التي آلت إليها^(٢).

(١) Hachten, Ghana Press..., Ibid, p. 460.

(٢) Smith, The Press and Elite Values in Ghana, Ibid, p.681.

تخلّى العسكريون عن الحكم في غانا في عام ١٩٦٩ لحكومة مدنية برئاسة كوفي بواسيا بعد فوز حزبه (حزب التقدم Progress Party) في الانتخابات التي أُجريت على أساس الدستور الجديد. وقد شهدت الصحافة الغانية في ظل حكم بواسيا الذي استمر نحو أربعة سنوات، قدراً من الازدهار، بعد أن ألغت الحكومة في عام ١٩٧٠ عدداً من القوانين المقيدة لحرية الصحافة مثل قانون الترخيص، وقانون الاعتقال الوقائي. وتمثل هذا الازدهار في ظهور صحف جديدة، أهمها صحيفة ستار Star التي أصدرها حزب التقدم الحاكم، وصحيفة سبوكسمان Spokesman ذات الاتجاه الاشتراكي. ومع ذلك فقد حاربت الحكومة المدنية الصحف المعارضة لها بعدة وسائل جديدة لم يكن من بينها - بسبب طبيعتها المدنية - الإغلاق أو اعتقال المحررين. فقد لجأت الحكومة المدنية إلى الضغوط والقيود غير القانونية على الصحف، مثل التمييز ضد الصحف ذات الاتجاهات المعارضة لها في حصص الإعلان الحكومي وفي منحها الحق في الحصول على المعلومات والأخبار من المصادر الحكومية، واستمرت ظاهرة فصل الصحفيين الذين ينتقدون الحكومة على صفحات الصحف الحكومية، مثل رئيس تحرير صحيفة الديلي جرافيك الحكومية الذي أُجبر على تقديم استقالته لنشره مقالاً ينتقد فيه الأداء الحكومي. ورغم ذلك فإن فترة حكم بواسيا كانت تبشر بعودة حرية الصحافة إلى غانا، وكانت واحدة من أكثر فترات الصحافة الغانية حرية منذ الاستقلال^(١)، إلا أن انقلاباً عسكرياً جديداً وقع في البلاد وأطاح بالحكم المدني الثاني وجاء بالعسكريين مرة ثانية إلى السلطة.

في يناير ١٩٧٢ استولي العسكريون في المجلس الوطني للإصلاح National Redemption Council بزعامة الجنرال أشمبونج Acheampong على السلطة في غانا. وقد أعاد العسكريون اكتشاف واستخدام النظام الإعلامي القمعي الذي كان قائماً في فترة حكم نكروما، والقائم على احتكار وسائل التعبير في المجتمع والتحكم المباشر في الصحافة، وإغلاق الصحف المعارضة مثل صحيفتي ليجون أوبزرفر وايكو اللتان أُغلقتا في عام ١٩٧٤، واعتقال الصحفيين المعارضين وسجنهم. وعلى المستوى القانوني أعاد النظام العمل بكل قوانين نكروما المقيدة لحرية الصحافة وأهمها قانون

^(١) Twunmasi, "The Newspaper Press and political Leadership in Developing Nations, Ibid, p. 7.

الترخيص وقانون الاعتقال الوقائي، وفرض رقابة صارمة على الصحف وإلزامها بعدم نشر أية مادة دون موافقة كتابية من الرقيب الحكومي.

استمر نظام الجنرال أشمبونج في قمع الصحافة بشدة متناهية إلى أن وقعت الاضطرابات الشعبية في ١٩٧٨ والتي على إثرها تم إقصاء الجنرال أشمبونج من السلطة وإحلال الجنرال فرديريك اكوفو محله. وقد بدأ اكوفو عهده بالسماح بحرية محدودة للصحافة - مثل بدايات غالبية العسكريين -، وتوقف عن ملاحقة الصحفيين بالسجن والاعتقال وترك للصحف مساحة محدودة من الحرية، خاصة بعد أن أعلن عن برنامج للوفاق الوطني وألف لجنة لوضع دستور جديد للبلاد. وقد أعربت اللجنة عن إيمانها بحرية الصحافة وضرورة النص عليها صراحة في الدستور، ورأت أن أفضل وسيلة لإنهاء السيطرة الحكومية على الصحافة هي إنشاء مؤسسة عامة تدير الصحف الحكومية وتراقب أوضاع حرية الصحافة. وقد تم بالفعل إنشاء لجنة عامة للصحافة الغانية كان أغلبية أعضائها من الصحفيين وكانت تعمل كرقب ذاتي على الصحافة.

في يونيو ١٩٧٩ قاد الجنرال جيري راولنج انقلاباً عسكرياً أطاح فيه بنظام فرديريك اكوفو. وقد اتسعت مساحة الحرية الصحفية بعد أن أعاد الجنرال جيري راولنج الحكم المدني إلى البلاد في عام ١٩٧٩. وبعد عامين فقط من الحكم المدني عاد جيري راولنج إلى السلطة بانقلاب عسكري جديد (١٩٨١) وألغى الدستور وعصف بحرية الصحافة في إطار عصفه بجميع المؤسسات الديمقراطية التي أقامها الحكم المدني السابق عليه. وقد اعتقل راولنج فور توليه السلطة أكثر من ٢٠٠ شخصاً أغلبهم من الصحفيين، وقام بفصل ستة من محرري الصحف الحكومية، وألزم الصحف بالحصول على ترخيص من وزارة الإعلام لاستمرار صدورها، وتوقف عدد كبير من الصحف في عام ١٩٨٦. وقد حاربت الحكومة الصحف في استيراد الورق مما دفعها إلى تخفيض عدد صفحاتها في منتصف الثمانينات، وحاربت الصحفيين بالمحاكمات العسكرية بتهمة عديدة من بينها الخيانة العظمى.

وقد أدى عدم الاستقرار السياسي والهبوط الاقتصادي الذي شهدته غانا في نهاية الثمانينات إلى انخفاض مستوى الصحافة بها، فانخفض عدد الصحف وانخفض

مستواها، وهربت من الرقابة بالتركيز على الموضوعات غير السياسية مثل الرياضة والفن والجريمة والجنس.

ورغم ثرائها الصحفي قبل الاستقلال تقلص عدد الصحف التي تصدر في غانا في مطلع التسعينات إلى أربع صحف فقط، تصدر كلها باللغة الإنجليزية من العاصمة أكرا، وفي حجم نصفى فيما عدا صحيفة بيونير التي تصدر في الحجم العادى، وهى: الديلى جرافيك وتوزع نحو ١٣٠ ألف نسخة، وغانا تايمز وتوزع نحو ١٠٠ ألف نسخة، وبيبول إيفننج نيوز وتوزع نحو ٦٠ ألف نسخة، وبيونير وتوزع ٥٠ ألف نسخة^(١).

النتائج:

أ - اختبار الفروض:

١- ثبت عدم صحة الفرض القائل بوجود علاقة ايجابية بين نيل الاستقلال وبين ازدهار حرية الصحافة في غانا. فقد اتضح أن الصحافة الغانية تحت الحكم الوطنى كانت مقيدة بجميع آليات التقييد المعروفة: التشريعات والقوانين، والرقابة المباشرة والذاتية. وعانت الصحف وعانى الصحفيون من اضطهاد الحكام الوطنيين.

٢- ثبت أيضاً عدم صحة الفرض القائل بوجود علاقة بين نوعية الحكومة القائمة (مدنية وعسكرية) وبين ازدهار حرية الصحافة. فقد اتضح أن جميع الحكومات التي تولت الحكم في غانا أياً كان نوعها وطريقة وصولها إلى السلطة، قد قيدت حرية الصحافة.

ب - تفسير النتائج:

رغم القيود الشديدة التي خضعت لها الصحافة الغانية تحت الحكم الاستعماري، فإنها كانت فى ذلك الوقت حرة بقدر كاف لكى تقود النضال الوطنى ضد الاستعمار وتدافع عن مصالح البلاد وتطالب بالاستقلال، وكان لها دور فاعل فى الشؤون العامة.

^(١) Dhyana Ziegler & Molefi K. Asante, "Thunder & Silence: The Mass Media in Africa", New Jersey, Africa World Press, Inc., 1992, p. 137.

أما بعد الاستقلال فإن الصحافة في الشئون العامة قد تقلص إلى حد كبير بسبب القيود الأشد التي فرضتها الحكومات الوطنية عليها. وبصفة عامة كانت الصحافة الحرة والمستقلة أولى المؤسسات ذات الطابع الغربي التي انهارت في غانا عقب الاستقلال.

وإجمالاً فإن عقد الستينيات (١٩٦٠-١٩٦٩) كان فترة حرجة في تاريخ الصحافة الغانية، دشنت فيها الحكومة الوطنية الأولى بعد أن استقرت أوضاعها سيطرتها على الصحافة. وقد تميزت هذه الفترة على غير ما كان متوقعاً خلال النضال من أجل الاستقلال، بتزايد تدخل الحكومات المتعاقبة مدنية وعسكرية في الصحافة، من خلال عدة آليات شملت إلى جانب القيود القانونية العديدة، امتلاك واحتكار غالبية الصحف، وتقليص عدد ودور الصحف المستقلة، بالإضافة إلى التدخل المباشر من خلال وزارة الإعلام وإنشاء وكالة الأنباء الوطنية في التدفق الإعلامي داخل البلاد، بالإضافة إلى الضغوط المباشرة التي تعرضت لها الصحف والصحفيون والتي تمثلت في اضطهاد الصحف المستقلة وإجبارها إما إلى التحول إلى صحف حكومية أو الإغلاق، وفصل الصحفيين وسجنهم وإجبارهم على الهجرة خارج البلاد والعيش في المنفى.

وقد استمرت الأوضاع المتردية لحرية الصحافة في غانا في عقدي السبعينات والثمانينات وبداية التسعينات على ما كانت عليه في الستينات. إذ ظلت الحكومات مدنية وعسكرية تتحكم في جميع وسائل الإعلام وعلى رأسها الصحافة، واختفت أو كادت الصحف المستقلة. كما استمر قمع الصحفيين المعارضين بفصلهم من أعمالهم وسجنهم ونفيهم خارج البلاد. ويمكن أن نوجز أسباب عدم تمتع الصحافة الغانية بحريتها بعد حصول غانا على استقلالها في:

١- حالة العداء الشديد من جانب الحكومات الوطنية القائمة على نظام الحزب الواحد أو التي جاءت نتيجة انقلابات عسكرية، تجاه الصحف والمطبوعات التي لم تستطع التحكم فيها. وحتى الصحف الصغيرة التي قادت النضال ضد المستعمرين أصبح ينظر إليها كأعداء للطبقة الجديدة التي حكمت غانا. وبسبب حالة العداء هذه التي شملت أيضاً الصحف المملوكة لأوروبيين، فقد تعرض الصحفيون سواء في غانا، بانتظام للاغتيال وأحكام الإعدام والسجن على أيدي الحكومات الوطنية. وقد أدى ذلك إلى حرمان الصحافة الغانية من أداء دور فاعل في الشئون العامة.

٢- القيود الدستورية والقانونية المفروضة على الصحافة التي تجهض مبكراً محاولات إصدار الصحف الخاصة المستقلة عن الحكومات. فبدون حكم القانون - خاصة توفير الحماية التشريعية للحريات المدنية وحماية الملكية الخاصة وحماية الأقليات، فإن الأمل يظل ضعيفاً جداً في قيام حرية صحافة. فبدون الحماية التشريعية والاستقرار الحكومي فإن وسائل الإعلام تنهار. والثابت أنه في غانا فإن الحماية التشريعية للصحافة محدودة للغاية وتنتظر الحكومات إلى الصحافة على أنها يجب أن تكون مؤيدة ومساندة لها على الدوام سواء كانت حكومات منتخبة أو حكومات عسكرية. ومن المعروف أنه بدون قيام نظام حكم مدني ديمقراطي يقر حق الأفراد في انتقاد حكاهم، فإن الصحافة نفسها تكون حريتها محدودة في التعبير عن عدم الرضا أو انتقاد النظام الحاكم.

وقد كشف التحليل السابق لحرية الصحافة في غانا - وفي أفريقيا وفي دول العالم الثالث بصفة عامة - ضرورة مراعاة عدد من العوامل المهمة، أولها وأهمها إن الدول الأفريقية لم تجرب على الإطلاق حرية صحافة حقيقية سواء خلال أو بعد الفترة الاستعمارية. أما العامل الثاني فيتمثل في امتلاك الحكومات في معظم الدول الأفريقية للصحافة نتيجة لصفالة الاستثمارات المالية في مجال الصحافة. بالإضافة إلى ذلك فإنه يجب أن نضع في اعتبارنا عند الحكم على حرية الصحافة في غانا وفي أفريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة، أن القيود المفروضة على الصحافة الأفريقية ناتجة في الغالب من عوامل متشابكة ومعقدة، تتمثل في:

- النقص الواضح في المطابع ومستلزمات النشر.
- الأوضاع الاقتصادية المتردية التي لا تتيح الفرصة لتدريب وتأهيل الصحفيين كما لا تتيح الاستثمار في مجال وسائل الإعلام.
- ضعف الموارد المالية لوسائل الإعلام نتيجة ضعف أو انعدام دخل الإعلان.
- الضغوط الأيديولوجية التي تتعرض لها الصحافة من جانب المعلنين ومالكي الصحف والحكومات.
- ضعف البيئة الاتصالية الأساسية المرتبطة بالصحافة، مثل التليفونات والتلكس ووسائل التوزيع.

- التبعية لوكالات الأنباء الدولية حتى في التغطية الإقليمية.

- الأمية وارتفاع سعر بيع الصحف.

- الرقابة الذاتية الناتجة عن الضغوط الحكومية.

ج- خاتمة:

إن المحلل لأوضاع حرية الصحافة في القارة الأفريقية لا يمكن أن يتجاهل مساحة الأمل التي تبشر بها التغيرات السياسية المهمة التي شهدتها بعض دول القارة في التسعينات، والتي تمثلت في تزايد الرفض الشعبي العام لنظام حكم الحزب الواحد والنظام الاقتصادي الاشتراكي المركزي. وهي التغيرات التي سيكون لها - إن نجحت - أبلغ الأثر في نهوض الصحافة الأفريقية وتطورها وحصولها على حريتها. ففي عام ١٩٩١ بدأ المواطنون الأفارقة في بعض الدول الأفريقية جنوب الصحراء في مواجهة الحكم الديكتاتوري والمطالبة بقيام نظام ديمقراطي متعدد الأحزاب. وقد أثمرت هذه المواجهات في سماح ستة عشر دولة خاضعة لنظام الحزب الواحد بقيام أحزاب معارضة في استجابة للحركات الديمقراطية، كما سقطت ثلاث حكومات ماركسية من خلال صناديق الاقتراع. وشهد النصف الأول من التسعينات سقوط الرئيس الزامبي كينيث كاوندا في أول انتخابات حرة تجري في زامبيا، وأسقطت المعارضة الشعبية الرئيس الزائيري موبوتو سيسي سيكو.

إن هذه التحولات السياسية سيكون لها - إن هي اكتملت - آثارا ايجابية على حرية الصحافة الأفريقية وعلى تعظيم دورها في بناء وتنمية المجتمعات الأفريقية، وهو أمر لم يتحقق خلال العقود الثلاثة التي أعقبت الاستقلال. إن حل الإشكالية السياسية للصحافة الأفريقية يبدو وشيكاً في ضوء المد الديمقراطي الذي يجتاح العالم الثالث بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، إلا أن هذا لن يضمن - بالقطع - تمتع الصحافة الأفريقية بحريتها. فالأمر - في التحليل الأخير - لا يقتصر على المعضلة السياسية فقط، ولكنه يتوقف أيضا على عوامل أخرى أهمها المعضلات الاقتصادية والاجتماعية التي تحد من تطور وحرية الصحافة، وهو ما يحتاج إلى دراسة مفصلة.

المبحث الخامس

ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا (الموجة الثانية) (*) دراسة تحليلية خلال العقد الأخير من القرن العشرين

* أجرى الدراسة: أ.د. حسنى نصر - كلية الإعلام جامعة القاهرة

مقدمة:

لقد كان من المفاجئ للباحثين في الصحافة والعلوم السياسية أن يشهدوا انتقال ما أسماه صامويل هنتجتون بالموجة الثالثة للديمقراطية^(١) "third wave of democratization" إلى أجزاء من أفريقيا جنوب الصحراء بعد أن كانت قد اجتاحت وسط وشرق أوروبا والاتحاد السوفيتي السابق في نهاية ثمانينات وبداية تسعينات القرن الماضي. ولعل هذا ما دفع باحثون آخرون مثل فرنسيس فوكوياما في أطروحته المثيرة للجدل "نهاية التاريخ" The End of History إلى إعلان انتصار الديمقراطية الغربية على كل الإيديولوجيات التي كانت تنافسها في القرن العشرين كالفاشية والشيوعية^(٢).

ورغم أن موجة التحول إلى الديمقراطية قد ظهرت في أكثر من دولة في أفريقيا حيث شهدت نصف دول القارة الاثنتان والخمسين انتخابات تنافسية خلال السنوات الثلاثة من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٣، إلا أن اهتمام الباحثين الغربيين قد إنصب على دراسة الانتقال الديمقراطي في أوروبا والاتحاد السوفيتي السابق، ولم يحظ التحول الديمقراطي في أفريقيا إلا باهتمام محدود للغاية^(٣).

وقد شهدت إفريقيا تحولات جوهرية في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي. وعبر البعض عن ذلك بالقول "إن الروح التي كانت تقود حركات الاستقلال في أفريقيا قد عادت مرة أخرى" كما اعتبرها البعض إيذانا بمولد "التحرر

^(١) يطلق هنتجتون تعبير الموجة الثالثة على التحول السياسي من أنظمة الحكم السلطوي إلى أنظمة الحكم الديمقراطي ويقول إن هذه الموجة قد بدأت في عام ١٩٧٤ ولا زالت مستمرة حتى صدور كتابة في عام ١٩٩١، بينما امتدت الموجة الأولى للديمقراطية من ١٨٢٨ إلى ١٩٢٦، أما الموجة الثانية فقد كانت قصيرة وامتدت من عام ١٩٣٤ إلى عام ١٩٦٢. وقد تلى الموجتين السابقتين موجات عكسية أعادت أنظمة الحكم الديمقراطية إلى السلطوية مرة أخرى. لمزيد من التفاصيل حول هذه الموجات، راجع:

Huntington, Samuel P. (1991), *The Third Wave: Democratization in the late Twentieth Century* (Nonnan: University of Oklahoma Press), pp. 13-26.

^(٢) Fukuyama, Francis, (1992) *The End of History and the Last Man* (New York: Avon)

^(٣) Bratton, Michael and Nicholas Walle, (1994). "Neopatrimonial Regimes and Political transition in Africa," *World Politics* 46, p. 453.

الثاني "لأفريقيا الذي سوف يحولها إلى مجتمع ديمقراطي حر".^(١) ورغم القتل الذي شهدته بعض تجارب التحول الديمقراطي في بعض الدول الأفريقية مثل نيجيريا وكينيا إلا أن النجاح قد حالف تجارب أخرى كما هو الحال في بنين وساحل العاج. ففي بنين التي عانت لمدة ثلاثين عاما من الانقلابات العسكرية المتتالية منذ استقلالها عن فرنسا في عام ١٩٦٠ بدأت تجربة "مذهلة"^(٢) للتحول الديمقراطي في عام ١٩٩٠ وانتقلت من مصاف الدول الماركسية إلى الدول الديمقراطية^(٣). وقد تأكد نجاح تجربة بنين في عام ١٩٩٦ عندما أقيمت الانتخابات الرئاسية الرئيس نيسفور سولجو الذي كان قد أنتخب في عام ١٩٩١، من منصبه.

وقد كان للتحولات السابقة مردودات إيجابية وسلبية على حرية الصحافة في العالم بوجه عام وفي أفريقيا على وجه الخصوص. فقد مثل انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وسقوط الكتلة الشيوعية وقيام عدد من الديمقراطيات الجديدة في مطلع التسعينات من القرن الماضي نقطة تحول في حرية الصحافة في العالم. وقد تبدى هذا التحول في "إقرار منظمة بيت الحرية Freedom House التي تراقب أوضاع حرية الصحافة في العالم بأن عدد الدول التي أصبحت الصحافة تتمتع فيها بحرية جزئية قد تزايد بمعدل الثلثين في العقد الأخير من القرن العشرين"^(٤).

ولم تكن الدول الأفريقية بمعزل عن هذا التحول إذ تشير التقارير السنوية^(٥) لمنظمة بيت الحرية إلى تزايد مستمر في عدد الدول الأفريقية التي تتمتع فيها الصحافة بحرية كاملة (١١% من دول القارة) وحرية جزئية (٣٢% من دول القارة) وهي نسب

^(١) African News Bulletin (ANB-BIA) (1998), *Africa: Manifestations of democracy An independent Press and a Free Judiciary*, ANB-BIA Supplement, No 345- 01/05/1998.

^(٢) Diamond, Larry (1993), "International and Domestic Factors in Africa's Trend Toward Democracy," in Festus Eribo and others, eds., *Window on Africa: Democratization and Media Exposure* (Greenville, NC: East Carolina University), p. 13.

^(٣) Diamond, Larry, Juan J. Linz, and Seymour martin Lipset, (1995), "Introduction: What Makes for Democracy?" in Diamond, Linz, and lipset, *Politics in Developing Countries: Comparing experiences with Democracy*, 2nd ed. (Boulder, CO: Lynne Rienner) pp. 8-9.

^(٤) Balding, Timothy (2003), Press Freedom: Ten Years On..." *Independent Journalism Center*. Available Online at: http://ijc.iatp.md/en/activities/pfw/tenyears_wan.html

^(٥) لمزيد من التفاصيل حول هوية هذه المنظمة وتقاريرها والمنهج الذي تتبعه في إعدادها، راجع: حسني محمد نصر (٢٠٠٢) "واقع وأفاق حرية الصحافة في دول الخليج العربي"، بحث قدم في مؤتمر "ثورة الاتصال والمجتمع الخليجي: الواقع والطموح"، مسقط - عُمان - جامعة السلطان قابوس (٢٢-٢٤ إبريل ٢٠٠٢).

تفوق مثيلاتها في نفس الفترة في منطقة الشرق الأوسط الأكثر تقدما. ولم يعد من الغريب أن تتساوى حرية الصحافة في جنوب أفريقيا ومالي وبنين بمثيلاتها في ديمقراطيات غربية عريقة مثل المملكة المتحدة وإيطاليا وفرنسا.

ونتيجة للتحويلات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية والإعلامية السابقة برزت في أفريقيا في مطلع تسعينات القرن الماضي ظاهرة "الصحافة المستقلة عن الحكومة". وقد فتح ظهور هذا النوع من الصحافة وانتشاره في بعض البلدان الأفريقية في العقد الماضي مجالا جديدا للبحث استهدف بالإجمال بحث مدى استقلال هذه الصحف سياسيا وإقتصاديا عن الحكومات، والمقارنة بين ما كانت تتعرض له من ضغوط حكومية مباشرة في السابق وما تتعرض له من ضغوط حكومية وغير حكومية مباشرة وغير مباشرة بعد انتشارها في العقد الماضي، وبحث ما يسمى بالصحف شبه المستقلة والتي لم تستقل تماما عن السلطة من جانب ومن الصعب تصنيفها ضمن الصحف الحكومية من جانب آخر، بالإضافة إلى قياس درجة الضغوط التي تتعرض لها الصحف المستقلة وشبه المستقلة مع التركيز على الضغوط التي تتعرض لها من المؤسسات الاقتصادية المحلية والأجنبية وجماعات الضغط.

موضوع الدراسة:

بعد مرور أكثر من عشر سنوات على إعلان ويندهوك الذي أعرب فيه الصحفيون والناشرون الأفارقة عن حاجة القارة السمراء الملحة إلى صحافة مستقلة باعتبارها مطلبا أساسيا من متطلبات التطور الديمقراطي والإقتصادي، تبدو الحاجة- خاصة في المدارس البحثية العربية في الإعلام- إلى إلقاء الضوء على ظاهرة الصحافة المستقلة وتقييم التجارب التي أنتهجتها بعض دول القارة في هذا الصدد ومن ثم استخدام نتائج هذا التقييم في التنبؤ بمستقبل الصحافة المستقلة في القارة الإفريقية.

وتتبع أهمية الدراسة ليس فقط في كونها تلقي الضوء على ظاهرة الصحافة المستقلة التي صاحبت التحول السياسي إلى الديمقراطية في بعض الدول الأفريقية ولكن أيضا في انعكاس هذه الظاهرة على مجمل الأوضاع الصحفية في القارة السمراء، إذ تساعد في التنبؤ بالتحويلات السياسية والصحفية في القارة انطلاقا من

"تحديد العوامل والقوى التي تساعد في حدوث هذا التحول، والعوامل والقوى التي تؤدي إلى نجاحه أو فشله"⁽¹⁾.

كما تتبع أهمية الدراسة من الرصيد المعرفي الذي توفره للباحثين والدارسين في الإعلام الدولي باللغة العربية حيث تندر الدراسات التي تتناول الأوضاع الإعلامية والصحفية في القارة الأفريقية في المدرسة العربية، ويتوقف العدد القليل منها عند حدود تاريخية لا تتجاوز السبعينات من القرن الماضي.

ويكتسب موضوع الدراسة أهمية أيضا من ارتباطه بالتغيرات السياسية العالمية والإقليمية والوطنية التي شهدتها العالم وشهدتها القارة الأفريقية في تسعينات القرن الماضي، بالإضافة إلى ارتباطه بحقول بحثية عديدة في الصحافة والإعلام مثل النظم الصحفية، وتاريخ الصحافة، ونظريات الصحافة، وتشريعات الصحافة، والصحافة والمجتمع، والصحافة الدولية، وارتباطه الوثيق أيضا بقضية حرية الصحافة، علي أساس أن قيام وازدهار الصحف المستقلة يُعد أحد أهم المؤشرات في الحكم على درجة الحرية التي تتمتع بها الصحافة في المجتمعات المختلفة.

ويضاف إلى ما سبق أن التحولات الجوهرية التي شهدتها الدول الأفريقية على الصعيد الإعلامي (الصحفي) ومرور الصحافة الأفريقية بمراحل تطور مهمة لم تفتح في قارات أخرى تحتاج من الباحثين العرب والمصريين على وجه الخصوص - نظرا لانتفاء مصر الجغرافي والتاريخي للقارة- إلى متابعتها بالرصد والتحليل على المستويين التاريخي والآني. فقد شهدت القارة المرحلة الاستعمارية الطويلة التي ظهرت خلالها الموجة الأولى من الصحف المستقلة ولعبت دورا في حركة التحرر الوطني، ثم شهدت فترة ما بعد الاستقلال التي اختفت خلالها تقريبا ظاهرة الصحافة المستقلة، وتشهد حاليا مناخ العولمة والتحولات السياسية والاقتصادية الجذرية الذي مهد الطريق لظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة وفتح آفاقا جديدة لبحث هذه الظاهرة.

(1) Monga, Celestin (1997), "Eight Problems with African Politics," *Journal of Democracy*, 8, 3 (July 1997): P.156.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى رصد وتفسير ظاهرة الصحافة المستقلة عن الحكومة في الدول الأفريقية والعوامل التي أدت لظهورها للمرة الثانية في العقد الأخير من القرن العشرين، والعوامل التي تؤثر فيها، وانعكاساتها على أوضاع الصحافة الأفريقية بصفة عامة.

كما تهدف الدراسة إلى بحث طبيعة الصحافة المستقلة التي تعود جذورها إلى مصادر تاريخية مختلفة، لبيان تأثير الميراث التاريخي الصحفي على الظاهرة وعلى آليات عملها.

وفي ضوء ما سبق تسعى الدراسة إلى كشف وتوصيف وتحليل العوامل والقوى التي ساهمت في نمو واستمرار الصحافة المستقلة عن الحكومة والمختلفة الخصائص في بعض الدول الأفريقية، وتتحدد الأهداف التفصيلية للدراسة فيما يلي:

١. رصد وتحليل عوامل ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في أفريقيا في العقد الأخير من القرن العشرين.
٢. رصد وتحليل دور المجتمع الدولي في دعم ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا.
٣. استخلاص السمات الخاصة بالموجة الجديدة من الصحافة المستقلة في أفريقيا.
٤. رصد وتحليل وتفسير الدور الذي تقوم به الصحافة المستقلة في أفريقيا في دعم التحول إلى الديمقراطية.
٥. رصد وتحليل وتفسير الضغوط الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا.
٦. رصد وتحليل وتفسير الضغوط الاقتصادية والتكنولوجية والمهنية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا.

تساؤلات الدراسة:

في ضوء الطبيعة الكشفية الوصفية التحليلية، وسعياً إلى تحقيق الأهداف السابقة تطرح الدراسة عددا من التساؤلات التي تحاول الإجابة عنها، وهي:

١. ما العوامل الخارجية والداخلية التي ساهمت في ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في أفريقيا؟
٢. ما طبيعة وأبعاد الدور الدولي في تشجيع ظهور واستمرار الصحافة المستقلة في أفريقيا؟
٣. ما أبرز سمات الموجة الجديدة من الصحافة المستقلة في أفريقيا؟
٤. ما طبيعة وحدود دور الصحافة المستقلة في أفريقيا؟
٥. ما الضغوط الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا؟
٦. ما الضغوط غير الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

منهج الدراسة:

تنتهي الدراسة التي تتناول بالرصد والتحليل ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا إلى نوعية البحوث الوصفية التحليلية التي توصل لهذه الظاهرة في سياقاتها المجتمعية والإعلامية والثقافية من خلال أدوات البحث الكيفية مثل دراسة الحالة (دول ممثلة) وتحليل الوثائق وتحليل المصادر من المستوى الثاني.

ويتفق المدخل المنهجي الكيفي مع طبيعة الموضوع من جانب وخصوصية التراث البحثي فيه من جانب آخر في مختلف المدارس البحثية الإعلامية الذي يقوم على تحليل وتفسير مثل هذه الظواهر الجديدة وربطها بالواقع الإعلامي العام أكثر مما يقوم على وصف هذه العلاقة والتوقف عند هذا الحد.

وتعتمد الدراسة منهجية تقوم على المسح التحليلي الشامل للبحوث العلمية المنشورة في دوريات أجنبية وعربية أو في كتب ذات طابع بحثي وتتصل بزوايا أو أكثر من زوايا الموضوع. فظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا لا يمكن أن تتم دراستها بمعزل عن أطرها العامة التاريخية والمعاصرة، وذلك بسبب ارتباطها ارتباطاً

وثيقا بحقول بحثية أكثر اتساعا مثل بحوث تاريخ الصحافة وبحوث حرية الصحافة وبحوث دور الصحافة في المجتمع وبحوث النظم الصحفية وبحوث الصحافة الدولية.

الدراسات السابقة:

أدى ارتباط ظاهرة الصحافة المستقلة بالتحويلات السياسية التي شهدها الدول الأفريقية في العقد الأخير إلى ظهور بحوث تتناول هذه الظاهرة ضمن معالجتها لعلاقة الصحافة بالسلطة. وتهتم هذه البحوث بدراسة ظاهرة الصحف المستقلة عن الحكومة في أفريقيا من منظور بحث مدي استقلالها عن الحكومات ودرجة استقلالها السياسي والإقتصادي عن الدولة، والمقارنة بين ما كانت تتعرض له من ضغوط حكومية وبين ما تتعرض له من ضغوط غير حكومية بعد أن رفعت الحكومة في بعض الدول يدها عنها في التسعينات من القرن الماضي.

والواقع أن البحوث والدراسات التي اهتمت برصد وتحليل ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا جنوب الصحراء سواء بشكل منفصل أو ضمن قضايا أخرى كعلاقة الصحافة بالسلطة وحرية الصحافة، تنتمي في مجملها إلى المدرسة الغربية الانجلوسكسونية في بحوث الإعلام، على أساس أن المنشور من هذه البحوث والذي يمكن الوصول إليه مكتوب في أغلبه باللغة الإنجليزية. وإذا كنا لا نستطيع الجزم بعدم وجود دراسات غير إنجليزية في هذا الحقل إلا أن السياق العام يؤكد أن حجم اهتمام تلك المدارس - خاصة المدرسة الفرنسية - لا يرقى إلى حجم اهتمام المدرستين الأمريكية والبريطانية به، وهو ما قد يفسره انتشار استخدام اللغة الإنجليزية حتى بين الباحثين الأفارقة وكثرة الدوريات ومواقع الانترنت المعنية بالصحافة في أفريقيا بتلك اللغة. أما المدرسة العربية فتبدو إسهاماتها في حقل الإعلام الإفريقي نادرة للغاية.

ويتمثل التراث الأكاديمي العربي في مجال الصحافة الأفريقية في دراسات د. عواطف عبد الرحمن الرائدة في هذا المجال، وبحث منشور عن حرية الصحافة في غانا بعد الاستقلال. ولم يتوصل الباحث إلى دراسات أخرى تتناول الصحافة الإفريقية سواء في المدرسة الأكاديمية المصرية أو غيرها من مدارس الإعلام في العالم العربي المتاح لنا التعرف على إنتاجها العلمي. لذلك لا يجد الباحث في الصحافة الأفريقية أمامه سوى التراث الغربي في هذا الموضوع، وبالتحديد الصادر منه باللغة

الإنجليزية، نظرا لصعوبة الوصول إلى المصادر منه بلغات أوروبية أخرى لأسباب تتصل بعدم إتقان هذه اللغات.

وتعود دراسات د. عواطف عبد الرحمن في هذا المجال إلى العام ١٩٨٠ وقد جُمعت في كتاب بعنوان "مقدمة في الصحافة الأفريقية"^(١). ويتضمن الكتاب دراستين الأولى تاريخية وصفية مقارنة لأوضاع الصحافة الأفريقية أثناء الفترة الاستعمارية، والثانية دراسة تحليلية للقضايا المهمة التي تواجه الصحافة الأفريقية بعد الحصول على الاستقلال، ومن بينها قضية حرية الصحافة، وعلاقة الصحافة بالسلطة وأنماط ملكية الصحف.

أما البحث الخاص بحرية الصحافة في غانا فقد نشر في عام ١٩٩٩ تحت عنوان " الحرية المفقودة: علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية في أفريقيا، دراسة حالة "غانا" من الاستقلال حتى بداية التسعينات"^(٢). ورغم أهمية هذه الدراسة التي نشرت بعد انقطاع المدرسة المصرية في الإعلام عن بحث أوضاع الصحافة الأفريقية نحو عشرين عاما، إلا أنها نظرا لتوقفها الزمني عند بداية التسعينات من القرن الماضي لم تتعرض لظاهرة الصحافة المستقلة موضوع الدراسة.

أما البحوث الصادرة باللغة الإنجليزية- سواء أعدها باحثون غربيون أو باحثون أفارقة- فإنها- رغم تحفظنا على مداخل وأهداف بعضها- تقدم كما هائلا من المعلومات والتحليلات وإضافات معرفية مهمة حول أوضاع الصحف المستقلة غير الخاضعة للسيطرة الحكومية في بعض البلدان الأفريقية دون تعميم على القارة ككل. وعلي سبيل المثال فإن برجر^(٣) يميز في بحثه حول الصحف المستقلة في جنوب أفريقيا بين نوعين من الصحف هما: صحف الشركات الإعلامية التي تعتمد على

(١) عواطف عبد الرحمن (١٩٨٠)، مقدمة في الصحافة الأفريقية، القاهرة، الجمعية الأفريقية- سلسلة كتب أفريقية، الكتاب الرابع.

(٢) حسني محمد نصر (١٩٩٩)، "الحرية المفقودة: علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية في أفريقيا. دراسة حالة "غانا" من الاستقلال حتى بداية التسعينات" في: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة الإمارات العربية المتحدة، مجلد ١٥، عدد ٢، أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٩. ص: ١٥٧-١٨٩.

(٣) Berger, Guy (2000). Toward 2000: Independent Media in Southern Africa. Paper presented at Buntstift Conference. Institute for Advancement of Journalism. Johannesburg, South Africa

آليات السوق، والصحف ذات الملكية الأجنبية، ويقرر أن الصحافة المستقلة في جنوب أفريقيا تقدم نمطا جديدا من أنماط العلاقة بين الصحافة والسلطة في العالم، ويرصد تباين النظرة إليها في التسعينيات باعتبارها الصحافة التي تعمل خارج سيطرة نظام الحكم العنصري وفي التسعينيات باعتبارها الصحافة التي تقع خارج السيطرة الحكومية. ويربط جاكوب^(١) بين تزايد استقلال الصحف عن الحكومة في جنوب أفريقيا وتزايد انتقاد الحكومة على صفحات الصحف وبين التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في البلاد في أعقاب انتهاء نظام الفصل العنصري وإجراء أول انتخابات ديمقراطية في البلاد في العام ١٩٩٤.

وقد انطلق عدد من الباحثين من التحولات التي شهدتها القارة الأفريقية والمتمثلة في الاتجاه نحو الإنفتاح السياسي وإقرار التعددية السياسية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان في بعض الدول وتأكيد الارتباط الوثيق بين الإصلاح السياسي والإصلاح الصحفي - إن جاز التعبير - بمعنى إصلاح أنماط العلاقة بين السلطة والصحافة، إلى تناول ظاهرة الصحافة المستقلة باعتبارها محصلة لهذه التحولات. فقد اهتم بعض الباحثين برصد هذه الظاهرة لكونها مؤشرا على قيام التعددية الصحفية الناتجة عن التعددية السياسية ويحث موقف الحكومات من الصحف الجديدة المعارضة لها، والدور المنوط بالصحافة القيام به في ما يسمى بالمرحلة الانتقالية Transitional Period وانعكاسات هذه المرحلة على صناعة الصحافة.

وقد تزايدت في السنوات الأخيرة الدراسات التي تبحث أوضاع الصحافة وعلاقتها بالسلطة السياسية في إطار دراسة التحولات السياسية political transition التي شهدتها دولا عديدة في أفريقيا في النصف الثاني من عقد التسعينات من القرن الماضي.

فقد حاول بعض الباحثين مثل روسيه وسوترلين^(٢) في فترة مبكرة الربط بين سقوط الكتلة الشيوعية في مطلع التسعينيات من القرن الماضي وبين ما اعتبره بزوغ عهد جديد يقل فيه نفوذ القوى السلطوية في العالم الثالث، واستند الباحثان إلى بعض

^(١) Jacobs, Sean (1999). Tensions of a Free Press: South Africa after Apartheid. *Research Paper*, R-22. The Joan Shorenstein Center: Press, politics, Public Policy. Harvard University.

^(٢) Russett, Bruce and Sutterlin, James S. (1991). The U.N in a New World Order. *Foreign Affairs*. Vol. 70. No. 2. Pp. 68-83.

مظاهر التحول السياسي في أفريقيا مثل تزايد الضغوط من أجل الإصلاح السياسي والمطالبات الشعبية بإجراء انتخابات حرة متعددة الأحزاب، وإقدام بعض الدول الأفريقية مثل زامبيا ومالاوي وغانا وساحل العاج على إجراء مثل هذه الانتخابات. كما اهتم باحثون آخرون ببحث العلاقة بين التحول الإيديولوجي وبين القيود المفروضة على الصحافة في إطار علاقتها بالسلطة السياسية. وقد عبر بعض الباحثين مثل باركر^(١) عن تفاؤلهم من أن يؤدي التحول الإيديولوجي في علاقة الشرق والغرب إلى تخفيف القيود الحكومية المفروضة على الصحافة في أفريقيا، على أساس أن سياسات الإصلاح والمصارحة التي شهدتها دول عديدة في العالم سوف تشجع الأفارقة على المطالبة بمجتمعات أكثر انفتاحاً وأكثر ليبرالية وصحافة تلبي تطلعات الشعوب وفق السياق الليبرالي.

واتجه باحثون إلى التركيز على ما طرأ على العلاقة بين الصحافة والسلطة في الدول الأفريقية نتيجة الانتقال من الحكومات العسكرية إلى الحكومات المدنية المنتخبة، ومدى قرب هذه العلاقة أو بعدها من نموذج علاقة الندية بين الصحافة وبين الحكومات الديمقراطية الجديدة. ومن أبرز هؤلاء الباحثين لوبينو^(٢) الذي بحث حالة نيجيريا وكيف تأثرت علاقة الصحافة بالسلطة نتيجة انتقال الحكم من العسكريين إلى المدنيين.

وتسيطر على بعض البحوث في هذا المجال النظرة التشاؤمية للمستقبل حيث يرى فيرناندز^(٣) أن التغيرات السياسية التي تشهدها بعض الدول الأفريقية لازالت في معظمها تغيرات في الشكل وليس في الجوهر وأنها لم تترك أثراً إيجابياً على الأنماط السلطوية للعلاقة بين الصحافة والسلطة في تلك الدول.

علي صعيد ثان فقد أدى الاتجاه العالمي نحو اقتصاد السوق الحر وعولمة الاقتصاديات وتحرير التجارة الدولية في أعقاب سقوط التطبيقات المؤسسية للفكر

(١) Parker, Elliott (1997). Democratization and Press Freedom in Africa's High Context Culture. Paper presented at: *AEJMC Annual Conference*. Central Michigan University. Sept. 18, 1997.

(٢) Lbeanu, Okechukwu (2000), Ethnicity and Transition to Democracy in Nigeria: Explaining the Passing of Authoritarian Rule in a Multi- ethnic Society. *African Journal of Political science*. Vol.5. No.2.

(٣) Leela Fernandes, (2000). "Nationalizing 'The Global': Media images, cultural politics and the middle class in India. *Media, Culture & Society*. Vol. 22. No 5. Pp. 611-628.

الاقتصادي الاشتراكي بانتهاء الاتحاد السوفيتي السابق إلى تأثيرات ضخمة على الصحافة كصناعة. وتمثلت هذه التأثيرات في بعض الدول في تقليص دور الدولة في صناعة الصحافة من جانب والحد من تدخلها في إدارة وتحرير الصحف من جانب آخر. كما فتح الاتجاه نحو اقتصاد السوق الحر إلى ظهور الصحف المستقلة - إقتصاديا على الأقل - في بعض الدول الأفريقية.

وقد أثر هذا التحول في النهج الإقتصادي على البحوث ذات الصلة بالصحافة المستقلة في الدول الأفريقية التي اتبعت هذا النهج. ويبرز هذا التأثير في انتقال مراكز الاهتمام البحثي في هذا الموضوع من رصد وتحليل الضغوط التي تتعرض لها الصحافة من الحكومات في الدول الأفريقية إلى رصد وتحليل الضغوط التي أصبحت تتعرض لها الصحافة المستقلة من جانب الشركات والمؤسسات المالكة للصحف أو ما يسمى بضغط السوق الناتجة عن التحولات الاقتصادية. وقد رصد اليكتون^(١) أشكال السيطرة الجديدة على الصحافة في بعض الدول الأفريقية وأوضح كيف انتقلت السيطرة على الصحافة في هذه الفترة من السيطرة الحكومية إلى سيطرة الأحزاب الكبرى ومن السيطرة عبر القوانين والقمع إلى السيطرة بالإعلان والتمويل من خلال شراء الأحزاب المساحات الإعلانية في الصحف الموالية لها ومنعها عن الصحف المناوئة لها.

وعلي صعيد ثالث فقد أثرت التحولات التكنولوجية المتسارعة التي شهدها الاتصال الجماهيري بصفة عامة وصناعة الصحافة على وجه الخصوص على ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا. فقد أشار موكسا^(٢) إلى أن تزايد استخدام التكنولوجيا في وسائل الإعلام الأفريقية خاصة الصحافة قد ولد مزيدا من الاعتماد على السلطة السياسية من جانب وعمق عدم التوازن في توزيع المنتج الصحفي في المجتمع. كما خلص بيرمان^(٣) إلى أن تزايد استخدام التكنولوجيا في أفريقيا من المحتمل أن يدعم فكرة إعادة توزيع القوى الصحفية القائم في معظم الدول الأفريقية وتوزيع الثروة

^(١) Olukotun, Ayo (2000). "The transition and the Media". *African Journal of Political science*. Vol.5. No.2.

^(٢) Mukasa, S. G. (1992). Towards pan-African cooperation in satellite communication: An analysis of the RASCOM project. *Africa Media Review*, 6, 13-30.

^(٣) Berman, B. J. (1992). *The state, computers, and African development: The information non-revolution*. In S. G. Lewis & J. Samoff (Eds.), *Microcomputers in African development: Critical Perspectives* (pp. 213-229). Boulder, CO: Westview. P.227.

الصحفية على جماهير الشعب ولكنه سيبقي على العلاقة السلطوية بين الدولة وبين الصحافة.

خطة الدراسة:

- تتكون الدراسة من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة على النحو التالي:
- المبحث الأول: الأطر النظرية لبحث ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا
 - المبحث الثاني: السياق التاريخي للصحافة المستقلة في إفريقيا جنوب الصحراء:
 - ماهية الصحافة المستقلة
 - نشأة الموجة الثانية من الصحافة المستقلة
 - المجتمع الدولي والصحافة المستقلة في أفريقيا
 - مشروع اليونسكو للصحافة المستقلة في أفريقيا
 - السمات العامة للصحافة المستقلة في أفريقيا
 - المبحث الثالث: دور الصحافة المستقلة في أفريقيا
 - المبحث الرابع: الضغوط القانونية التي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا.
 - الضغوط الحكومية في ضوء الخبرة التاريخية للصحافة الأفريقية
 - وسائل الضغط على الصحف المستقلة في أفريقيا
 - تفسير تباين الضغوط الحكومية على الصحافة المستقلة في أفريقيا
 - المبحث الخامس: الضغوط الاقتصادية والتكنولوجية والمهنية التي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا.
 - مصادر تمويل الصحافة المستقلة في أفريقيا
 - الضغوط الاقتصادية والتكنولوجية والمهنية
 - الخاتمة، وتشمل الإجابة عن تساؤلات البحث.

المبحث الأول

الانظر النظرية للدراسة

شهدت الصحافة في أفريقيا في العقد الماضي تحولات جوهرية على مستوى الأطر السياسية والإقتصادية والمهنية والقانونية التي تعمل في ظلها. وقد أدت التحولات التي شهدتها العالم بوجه عام والدول الأفريقية والآسيوية بوجه خاص إلى سعي الباحثين إلى البحث عن مداخل نظرية جديدة لدراسة الصحافة الأفريقية بعد أن ثبت لهم أن المداخل النظرية الغربية التي سيطرت على هذا الحقل البحثي حتى مطلع التسعينات من القرن الماضي لم تعد قادرة على إثراء هذا الحقل معرفيا ومنهجيا.

وقد أوضح بعض الباحثين مثل مانيف^(١) وايفرت^(٢) أن الصعوبة الأكبر في تبني مدخل النظريات الأربع في بحث وتفسير علاقة السلطة والصحافة في الدول الأفريقية، تتمثل في كونه مجرد افتراضات نظرية فلسفية، وبالتالي لا يُعد قابلاً للتطبيق على شكل واسع، خاصة في التعامل اليومي بين الحكومات والصحافة في هذه الدول. كما أن هذه النظريات تركز فقط على الجوانب القانونية والمؤسسية في العلاقة، وهي رغم أهميتها لا تكفي بأي حال في فهم طبيعة العلاقة ومقارنتها في الأنظمة الصحفية والسياسية المختلفة.

وقد ظهر في السنوات الأخيرة تيار بحثي نقدي أفريقي يركز على إشكالية عدم إمكانية عزل العلاقة بين الصحافة والسلطة السياسية عن سياقاتها الاجتماعية والثقافية والإعلامية في الدول الأفريقية، وصعوبة بحثها وفقا للنماذج والنظريات الغربية التي تسيطر على البحوث الإعلامية في العالم بفعل التبعية البحثية لهذه النماذج والنظريات.

ويشير ميرل^(٣) إلى أن الأفراد في بعض الثقافات يشعرون براحة أكبر في ظل المجتمعات السلطوية، ويؤيدون - على غير ما هو شائع - الصحافة والسلطة السياسية

^(١) Manaev, Oleg (1999). Rethinking the Social Role of the Media in a Society in transition. *Canadian Journal of Communication*. Vol. 20. No. 1.

^(٢) Dennis, Everette E. (1993). The Internationalization of the First Amendment. In Oleg Manaev & Yuri Priliuk (Eds.), *Media in Transition: From Totalitarianism to Democracy* (pp.151-157). Kiev: ABRIS.

^(٣) Merrill, J. C. (2000). *Power, stability, and social harmony: the shift away from press freedom*. Paper presented at the International Media Conference 2000, Ohio University, Athens, Ohio.

معا. ووصل الأمر ببعض الباحثين مثل فيل هاريس^(١) إلى إعلان أن أنظمة الصحافة القائمة (الأنظمة الأربعة) لم تعد تصلح لدراسة الظواهر الجديدة في حقل علاقة الصحافة والسلطة السياسية ليس فقط في الدول الأفريقية ولكن أيضا في الدول المتقدمة.

ويؤكد الباحثون الأفارقة على ضرورة أن يتم بحث علاقة الصحافة بالسلطة السياسية في الدول غير الغربية في سياقها التاريخي وسياقها الاجتماعي- السياسي. ويقول UKO إن عدم وضع الحقائق السياسية والثقافية والتاريخية للدول غير الغربية في مثل هذه البحوث قد ضلل العديد من الباحثين الغربيين الذين تصوروا أن الصحافة لا يمكن أن تعمل بكفاءة في مناخ سياسي يختلف عن النموذج الديمقراطي الغربي. وفي هذا السياق ينتقد UKO المحددات النظرية التي وضعها وليام هاشتن لازدهار الصحافة وهي: وجود حكومة برلمانية متعددة الأحزاب، وحماية قانونية، أساس تجاري من خلال شركات^(٢).

ويدلل UKO على فشل الباحثين الغربيين في فهم الاعتبارات السياسية والثقافية والتاريخية عند تفسير علاقة الصحافة والسلطة بنموذج نيجيريا التي عاشت فيها الصحافة لفترات طويلة تحت الحكم العسكري وكانت أوضاعها أفضل بكثير مما كانت عليه تحت الحكم المدني البرلماني المتعدد الأحزاب^(٣).

ولعل هذا ما دفع بعض الباحثين الغربيين من أمثال هاشتن^(٤) ولاري دايموند^(٥) وفرانك بارتون^(٦) إلى التعبير عن اندهاشهم من درجة الحرية التي تمتعت بها الصحافة النيجيرية تحت الحكم العسكري. ويأتي هذا الاندهاش نتيجة عدم توقعهم وجود أي درجة من حرية الصحافة في الدول التي لا تسير على النهج الغربي.

(١) Harries, Phil (1996). Alternative Communication Networks: Globalization, Civil Society and Communication. *Media Development*. Issue 3/ 1996.

(٢) Hachten, W., (1971) *Muffled Drums*. Ames: Iowa State University Press. P.46.

(٣) Uko, Ndaeyo. (2000) "Press Freedom under Military Rule: The Nigerian Phenomenon". Paper Presented in JEA Conference (Journalism Education Association "South Pacific". Australia, University of Queensland.

(٤) Hachten, W., (1971) *Muffled Drums*. Ames: Iowa State University Press. P.46.

(٥) Diamond, L (ed.) (1988), *Democracy in Developing Countries: Africa*. London: Adamantine Press.

(٦) Barton, F. (1979) *The Press of Africa*. London: Macmillan.

فالنموذج التنموي للصحافة- علي سبيل المثال- الذي يسير على فرضياته العدد الأكبر من الباحثين الغربيين في هذا المجال لاقى في السنوات الأخيرة اعتراضات عديدة من جانب باحثين ينتمون إلى المدرسة النقدية الغربية مثل لامبث^(١) وباحثين أفرقة مثل أيديني^(٢) علي أساس أنه شكل من أشكال تحكم السلطة السياسية في الصحافة ولا يخرج عن كونه بديلاً إسمياً للنموذج الشيوعي والسلطوي.

ويوظف البحث المحكات الأساسية التي قدمها روتزل وهافنر^(٣) للحكم على استقلالية الصحافة، وهي:

- ١- هل هناك سيطرة قوية للحكومة على وسائل الإعلام والصحافة.
- ٢- هل الوظيفة الأساسية للصحافة هي إخبار الناس بما تريد الحكومة أن يعلموا به فقط.
- ٣- هل تعمل الحكومة كحارس بوابة لمنع نشر المعلومات التي تشعر أنها قد تهدد سلطاتها.
- ٤- هل تعمل الصحافة كخادمة للدولة.

وذلك مع الأخذ في الاعتبار الحالات الاستثنائية التي قد تلجأ فيها بعض أنظمة الحكم الديمقراطي الجديدة في أفريقيا إلى تفعيل المحددات الأربعة السابقة عندما يكون الحزب الحاكم في خطر ، أو عندما تواجه الحكومة بمعارضة شديدة في الداخل.

كما يوظف البحث المدخل القيمي الذي وضعته أوليج مانيف^(٤) ويتضمن عدة مؤشرات للحكم على اتجاه النظام الصحفي إلى أحد الاتجاهين: السلطوي والليبرالي. ومن هذه المؤشرات كمية المعارضة (النقد) الموجهة إلى الحكومة أو المسموح بتوجيهه إليها في الصحافة المستقلة عنها، وعدد قوانين الصحافة الموجودة في الدولة ودرجة تطبيقها. وترى مانيف أن تطبيق هذه المؤشرات يتيح للباحثين الاقتراب من حقيقة

(١) Lambeth, E. D. (1995). Global media philosophies. In J. C. Merrill (ed.), Global Journalism: Survey of International Communication (3rd ed.,). White Plains, NY: Longman. pp. 3-18

(٢) Edeani, D. O. (1993). Role of development journalism in Nigeria's development. *Gazette*, Vol. 52. Pp. 123-143.

(٣) Kim B. Rotzoll & Janes E Haifner (1990). "Advertising In Contemporary Society", Ohio : South Western Publishing Co.

(٤) Manaev, Oleg. (1993). Mass Media in the political and economic System of Transition Society. In Oleg Manaev & Yuri Priliuk (Eds.), *Media in Transition: From Totalitarianism to Democracy* (pp. 119-150), Kiev: ABRIS.

أوضاع الصحافة في الدول النامية وتحديد الأنماط المناسبة من العلاقة بين الصحافة وبين السلطة السياسية.

وتوظف الدراسة أيضا نموذج الإعلام المفتوح والإعلام المغلق الذي اقترحه فنشتين⁽¹⁾ في تحليله لحرية الصحافة في أفريقيا، ويتضمن هذا النموذج تحليل عاملين هما: ما إذا كانت الرسالة الإعلامية تصل إلى عدد محدود من الجمهور المستهدف أم لا، وما إذا كانت هناك أية قيود على لهجة ومحتوى الرسالة الإعلامية. وخلص إلى تصنيف النظام الصحفي في القارة الأفريقية ضمن نظام الإعلام المقيد، وفيه يُقيد حق الجمهور في تلقي الرسالة الإعلامية التي تكون محدودة في العدد والمضمون، ونظام الإعلام الموجه الذي يتكون من جمهور مقيد ورسالة حرة، كما هو الحال عندما تحد معدلات الأمية المرتفعة من قراءة الصحف في الدول الأفريقية، أو تحد الاعتبارات الاقتصادية من شراء الصحف في هذه الدول.

ومن النماذج الوظيفية المهمة التي توظفها الدراسة في بحث ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا، نموذج التحليل الوظيفي، ويقوم على إخضاع هذه الظاهرة للتقييم الوظيفي الذي يشمل تقييم أثر الحكومة على الصحافة .. والأساليب الحكومية لتقييد الصحافة، بما فيها القوانين والتشريعات والإجراءات القضائية، والهيئات الحكومية المشرفة على الصحافة، والأساليب غير الرسمية وتعنى كيفية ممارسة التحكم وأثر هذا التحكم على إقتصاديات الصحف. وكان أكبان⁽²⁾ قد استخدم هذا النموذج بنجاح في بحثه الذي حلل فيها أساليب الحكومة النيجيرية الرسمية وغير الرسمية مع الصحافة وتأثيراتها على العمل الصحفي وحرية الصحافة.

⁽¹⁾ Feinstien, Adam (1995). Fighting for Press Freedom in Africa. In *Journal of Democracy*, Vol. 6, No. 1.

⁽²⁾ Akpan, Patience (2000), Africa in the Age of a Global Network Society: The Challenges Ahead. In *African Studies Quarterly*, Vol.2, No.2.

المبحث الثاني

السياق التاريخي للصحافة المستقلة في أفريقيا جنوب الصحراء

ماهية الصحافة المستقلة:

يشير مصطلح "الصحافة المستقلة" إلى الصحف اليومية والأسبوعية ونصف الشهرية والشهرية والصحف غير المنتظمة في الصدور والتي تصدر دون سيطرة مباشرة من الدولة أو الحكومة ويتم وضع سياستها التحريرية واتخاذ القرارات فيها بصورة مستقلة عن الحكومة.

وقد عرف إعلان وندهوك الخاص بتشجيع الصحافة المستقلة في إفريقيا والصادر عن منظمة اليونسكو في عام ١٩٩١، الصحافة المستقلة بأنها "الصحافة المستقلة عن السيطرة الحكومية والسياسية والاقتصادية، أو المستقلة عن الماديات والبنية الأساسية الضرورية لإنتاج وتوزيع الصحف والمجلات والدوريات"^(١)

ويقترّب مفهوم الصحافة المستقلة من مفهوم الصحافة البديلة Alternative Press الذي يستخدمه بعض الباحثين^(٢) للإشارة إلى الصحف غير الحكومية التي تصدر في الأنظمة السياسية الديكتاتورية وتعنى الصحف التي تصدر خارج إطار الحزب الواحد الحاكم في نظام الحزب الواحد أو خارج إطار النخبة العسكرية الحاكمة في الأنظمة العسكرية. ومع هذا فإننا لا نميل إلى إقامة نوع من التماثل بين الصحافة المستقلة والصحافة البديلة على أساس أن الصحافة المستقلة هي ظاهرة تشهدها المجتمعات الديمقراطية أو المجتمعات التي في طريقها إلى التحول الديمقراطي فقط - كما هو الحال في أفريقيا - ويحميها الدستور والقانون إلى حد كبير. ونضيف إلى ذلك أن مفهوم الصحافة البديلة يشير في الأصل إلى المطبوعات التي تصدر خصيصاً لتعالج موضوعات خلافية في المجتمع سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، أو لتعبر عن

^(١) UNESCO (1991), *Declaration of Windhoek On Promoting An Independent And Pluralistic African Press, Namibia, 1991*. Available Online at: http://www.unesco.org/webworld/peace_library/UNESCO/HRIGHTS/327-331.HTM

^(٢) Downing, John (1995), "Media, Dictatorship, and the Reemergence of "Civil Society", In: John Downing, Ali Mohammadi and Annabelle Serberny-Mohammadi, *Questioning the Media: A Critical Introduction*, 2nd edition, Thousand Oaks, California: Sage Publications. P.198-199.

وجهات نظر محدودة الجماهيرية، ولا تخرج عن كونها أوراق مصورة تحمل شعارات أو آراء وتقترب في شكلها من المجلة وتوزع بالمجان في الشوارع مثل المنشورات^(١). وبهذا فإن الصحافة البديلة تبعد كثيرا عن مفهوم الصحافة المستقلة وتقترب أكثر إلى مفهوم الصحافة السرية Underground Press وهي الصحف التي تصدر لتعارض الاتجاهات العامة الراسخة في المجتمع مثل الصحف التي كانت تدعو إلى إنهاء الرق في الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر، والصحف التي تدعو في الوقت الحاضر إلى عبادة الشيطان أو ترويج للمثلية الجنسية.

وتختلف الصحافة المستقلة اختلافا جوهريا عن الصحافة السرية التي "انتشرت في ستينيات القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية والتي عبرت في هذه الفترة عن مناهضي الحروب والإمبريالية والفصل العنصري ودعاة اليسار والسلام وحقوق السود"^(٢). فالصحف المستقلة ليست سرية ولا تحصر نفسها في الدفاع عن فكرة ما وإنما هي صحف عامة تباع علنا وتتناول مختلف قضايا المجتمع وتهتم بالمادة الخبرية نفس اهتمامها بمواد الرأي.

بقي أن نشير إلى أن مفهوم الصحافة المستقلة يتسع لدى بعض الباحثين^(٣) ليشمل الصحافة الحزبية Partisan Press أو بالتحديد صحافة أحزاب المعارضة Opposition Press التي تصدرها الأحزاب السياسية أثناء وجودها خارج السلطة، علي أساس أنها صحف لا تخضع للسيطرة الحكومية وتعبر عن وجهات نظر مخالفة للحكومة، كما قد يضيق المفهوم لدى البعض الآخر فيخرج منه صحافة المعارضة الحزبية ككل علي أساس أنها صحف تتقلب مع أحزابها بين الحكم والمعارضة وبالتالي لا يمكن وضعها مع الصحافة المستقلة التي لا يعينها الحكم أو المعارضة في تصنيف واحد. فالصحافة المعارضة هي "الصحف الدورية التي تنطق بلسان أو تعبر عن أحزاب أو جماعات سياسية تسعى للوصول إلى السلطة وهي في المعارضة"^(٤). أما الصحافة المستقلة فإنه

^(١) Hiebert, Ray, Ungurait, Donald and Bohn, Thomas (1991), *Mass Media VI: An Introduction to Modern Communication*, New York: Longman. Pp.238-239.

^(٢) حسني محمد نصر (١٩٩٦)، *صحافة المعارضة في مصر: دراسة في المفهوم التاريخي خلال الفترة من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٤*، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام- جامعة القاهرة. ص ٧٢-٧٣.

^(٣) Campbell, Joseph (1998), *The Emergent Independent Press in Benin and Cote D'Ivoire: From Voice of the State to advocate of Democracy*, Westport, Connecticut: Praeger. P.3.

^(٤) حسني محمد نصر (١٩٩٦)، *صحافة المعارضة في مصر*، مرجع سابق، ص ٣٥٥.

لا يشترط أن تكون مملوكة لأحزاب سياسية أو تعبر عنها، كما أن وجودها لا يستلزم قيام نظام متعدد الأحزاب يسمح بتداول السلطة.

الموجة الثانية من الصحف المستقلة في أفريقيا:

تمثل ظاهرة الصحافة المستقلة التي تشهدها القارة الأفريقية منذ مطلع التسعينات من القرن الماضي الموجة الثانية من موجات الصحافة المستقلة في القارة السمراء، حيث ظهرت الموجة الأولى في الفترة الاستعمارية التي شهدت بدايات الصحافة الأفريقية وتميزت بالمبادرات الفردية للمثقفين والسياسيين الأفارقة في إطار النضال ضد المستعمر، وقد انتهت هذه الموجة الأولى بخروج المستعمر، وهو الخروج الذي مثل الانتصار الأكبر للصحافة الوطنية الأفريقية. إلا أن الحكم الوطني أنهى مع الاستعمار كل ما له صلة تقريبا بالصحافة المستقلة وحول الصحف إلى أداة حكومية تابعة من خلال الحزب الواحد أو الحكم العسكري في إطار رؤية للصحافة تجبز استخدامها من قبل الحكومات كوسيلة من وسائل التنمية وتحقيق التحرر السياسي والاقتصادي.

وقد قادت التغيرات التي شهدها العالم بنهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي إلى ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في أفريقيا وهي الموجة التي تزامن ظهورها مع الإصلاحات السياسية التي انتهجتها بعض دول القارة والتي شملت أيضا إنهاء حكم الحزب الواحد في بعض الدول والتحول إلى نظام سياسي متعدد الأحزاب، وإقامة انتخابات حرة وتداول السلطة.

ويطرح ظهور الصحف المستقلة للمرة الثانية في أفريقيا في مطلع تسعينات القرن الماضي تساؤلا حول ما إذا كان هذا الظهور قد تم نتيجة العامل الخارجي فقط المتمثل في سقوط الكتلة الشيوعية والمد الديمقراطي في العالم أم أنه جاء استجابة للأوضاع الداخلية في الدول الأفريقية وعبر عن رغبة وطنية في الإصلاح الصحفي بالتزامن مع الرغبة في الإصلاح السياسي.

والواقع أن كل الدلائل في هذا الإطار تشير إلى اشتراك العاملين الخارجيين والداخليين مجتمعين في ظهور الصحافة المستقلة في أفريقيا على أساس أن التغيرات

العالمية هي التي دفعت إلى التغيرات الداخلية ومن ثم إلى ظهور الصحافة المستقلة لتواكب هذه التغيرات. كما أن التغيرات العالمية لم تكن لتقود إلى أية تغيرات داخلية في أفريقيا ما لم تكن البيئة الوطنية مهيئة في هذا التوقيت بالذات لتقبل هذه التغيرات.

لقد تركز ظهور الصحافة المستقلة في بداية الموجة الثانية في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات في الدول التي كانت قائمة بها من قبل أثناء الفترة الاستعمارية مثل بنين والكاميرون وغانا والسنغال. وفي هذا يقول ريشارد ساندبروك⁽¹⁾ أن "الصحافة المستقلة في أفريقيا لم تظهر من العدم.. ففي بعض الدول تعود جذورها إلى فترة النضال الوطني ضد الاستعمار". وفي دولة مثل بنين تعود أصول الصحافة المستقلة إلى السنوات الأولى من الاستعمار الفرنسي خلال العقد الأول من القرن العشرين، وتعود هذه الجذور إلى فترات أبعد في دول أخرى مثل غانا.

وقد امتد ظهور الصحافة المستقلة إلى دول أفريقية أخرى لم يكن لها ميراث تاريخي طويل مع هذا النوع من الصحافة وبعضها لم يعرف ظاهرة الصحافة المستقلة في تاريخه، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ظهور الصحافة المستقلة في مالي في مطلع تسعينات القرن الماضي وتمتعها بدرجة كبيرة جدا من الحرية جعلت من مالي أقل الدول الأفريقية جنوب الصحراء تحكما في الصحافة.⁽²⁾

ولم يكن تغير النظام السياسي هو العامل الداخلي الوحيد الذي ساهم في ظهور الصحافة المستقلة في أفريقيا. ففي بعض الحالات استمر النظام السياسي دون تغير ولكن ما تغير هو استراتيجيته السياسية والإعلامية. وعلى سبيل المثال فإن ظهور الصحف المستقلة في دولة مثل بوركينا فاسو في عقد التسعينات يعود إلى "مولد دولة القانون" بحسب تعبير سارة تانو.⁽³⁾ وقد تنافست في ظل هذه الدولة عدة صحف يومية مستقلة إحداها تعبر عن وجهة نظر الحكومة، بالإضافة إلى عدد من الصحف الأسبوعية واسعة التوزيع.

(1) Sandbrook, Richard (1996), "Transitions Without Consolidation: democratization in Six African States," *Third World Quarterly* 17, 1. P.82.

(2) Sussman, Leonard and Kristen Guida, (1998) "Death Toll Down: Press Freedom Up", *Editor & Publisher* (24 January 1998) P. 16.

(3) Tanou, Sarah (1999) "Burkina Faso: Spotlight on Press Freedom. *ANB-BIA Supplement*. No.376-15/10/1999. Available online at: www.peacelink.it/anb-bia/nr376/e01.html

يتضح مما سبق أن الميراث التاريخي للصحافة المستقلة لم يكن هو العامل الرئيس والوحيد في ظهور الصحافة المستقلة في أفريقيا جنوب الصحراء، علي أساس أن دولا أخرى لم يكن لها سابق تجربة في الصحافة المستقلة قد شهدت مولد وازدهار الصحافة المستقلة ربما بدرجة تفوق ازدهارها مثيلاتها في دول كان لها تجربة تاريخية جيدة مع هذه الصحافة.

ويمكن الإشارة هنا إلى عوامل أخرى ساهمت في ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في أفريقيا، ومنها:

- برامج تعليم الصحافة في بعض الدول الأفريقية وبرامج تدريب الصحفيين التي نظمتها منظمات غربية، والتي ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في تشجيع القيم والاتجاهات المتوافقة مع روح الصحافة المستقلة لدي أجيال جديدة من الصحفيين.⁽¹⁾
- تأثير الصحف الأجنبية التي سمحت بعض الحكومات الأفريقية بدخولها البلاد على تطلعات الصحفيين الوطنيين وتزايد رغبتهم في إصدار صحف مستقلة عن الحكومة على النمط الغربي. وقد دعم هذه التطلعات سفر بعض الصحفيين إلى الخارج للتدريب أو العمل وعمل البعض الآخر كمراسلين للصحف الأجنبية داخل بلدانهم.⁽²⁾ فقد أدت كل هذه العوامل المتداخلة إلى توطين روح الصحافة المستقلة في نفوس الصحفيين الأفارقة وجعلتهم ينتظرون الفرصة لممارسة ما كانوا يحسدون عليه الصحفيين الأجانب. وعلى هذا كانت المقارنات التي يعقدها الصحفيون الأفارقة بين أنظمة بلدانهم الصحفية والأنظمة الصحفية الغربية من العوامل التي ساهمت في تهيئة المناخ الصحفي في أفريقيا لتقبل ظاهرة الصحافة المستقلة في مطلع التسعينات من القرن الماضي.

⁽¹⁾ Ogundimu, Folu Folarin (1997), "Donor- Driven Initiatives and Media Training in Africa," *Journalism and Mass Communication Educator*. 52, 3 (Autumn 1997) Pp. 48-62

⁽²⁾ Randall, Vicky (1993), "The Media and Democratization in the Third World," *Third World Quarterly*. 14, 3 (September 1993):P. 634

المجتمع الدولي والصحافة المستقلة في أفريقيا:

دشنت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) الموجة الجديدة من الصحافة المستقلة في أفريقيا بإعلان وندهوك حول تشجيع الصحافة المستقلة والصحافة التعددية في أفريقيا. وقد صدر هذا الإعلان في العاصمة الناميبيية في الثالث من مايو ١٩٩١ وفي أعقاب المؤتمر الذي عقدته اليونسكو لهذا الغرض وشارك فيه ممثلون حكوميون وغير حكوميين ومنظمات حكومية وغير حكومية من جميع دول القارة تقريبا بالإضافة إلى برنامج الأمم المتحدة للتنمية. وقد صادق المؤتمر العام لليونسكو على الإعلان وتبعته الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أعلنت الثالث من مايو يوما سنويا للاحتفال بيوم حرية الصحافة العالمي World Press Freedom Day

ويحوى الإعلان ١٩ مادة تقرر أهمية دور الصحافة المستقلة في تطور الديمقراطية السياسية والتنمية الاقتصادية في أفريقيا، وتعرف الصحافة المستقلة بأنها المستقلة عن الحكومة والقوى السياسية والاقتصادية والمعبرة عن مختلف وجهات النظر.

وقد أشار الإعلان إلى التغيرات التي شهدتها عدد متزايد من الدول الأفريقية في مطلع التسعينات نحو الديمقراطية متعددة الأحزاب واعتبرها مناخا ملائما لظهور الصحافة المستقلة. كما دعا المجتمع الدولي والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية ووكالات التنمية والتنظيمات المهنية إلى دعم قيام وتطور الصحف والمجلات والدوريات غير الحكومية والتي تعكس المجتمع ككل وتقدم مختلف وجهات النظر في أفريقيا. وأكد الإعلان على ضرورة حصر الدعم الدولي على تشجيع التعددية والاستقلالية في الصحافة في أفريقيا وقصر دعم وسائل الإعلام الحكومية على الدول التي تضمن فيها السلطات الحرية الفعلية والدستورية للمعلومات والتعبير واستقلال الصحافة.

ولتحقيق ما سبق، دعي البيان إلى إنشاء النقابات الصحفية وجمعيات للمحررين والكتاب والناشرين واعتبرها أولوية متقدمة في كل الدول الأفريقية التي لا توجد بها مثل هذه التنظيمات.

مشروع اليونسكو للصحافة المستقلة في أفريقيا:

تنفيذاً لبعض بنود إعلان وندهوك، وإدراكاً منها بالدور الحيوي الذي يمكن أن تلعبه الصحافة المستقلة في دعم التنمية الديمقراطية في أفريقيا، أنشأت منظمة اليونسكو مشروع الصحافة المستقلة⁽¹⁾ The UNESCO Independent Press Project بهدف دعم الامكانيات البشرية والفنية للصحافة المستقلة في أفريقيا وتمكينها من المساهمة بفاعلية في عملية التنمية الوطنية والتحول للديمقراطية. ويسعى هذا البرنامج إلى تحقيق أهدافه من خلال تحسين نوعية وكفاءة الصحف المستقلة من خلال التدريب ودعم المؤسسات الصحفية ودعم الممارسات الصحفية الأخلاقية.

وقد نظمت اليونسكو عدداً من البرامج التدريبية والمؤتمرات حول النشر الإلكتروني وإدارة الصحف الصغيرة ومتوسطة الحجم وتعليم الصحافة. وقد استفادت عدة صحف مستقلة من هذه المساعدات.

ولا زالت اليونسكو تضع على رأس أولويات هذا البرنامج علاج نقص الكوادر الصحفية المهنية التي تظهر أكثر ما تظهر في الكتابة الصحفية وتقنيات التصوير وأخلاقيات الصحافة وإدارة المؤسسات الصحفية ونقص الإعلانات وغياب الكتابات المتخصصة في موضوعات مهمة مثل التعليم والبيئة والصحة والتنمية.

ويعتزم البرنامج في المستقبل عقد المزيد من الدورات التدريبية، وإمداد الصحف المستقلة بالأدوات والتدريب التقني وإنشاء قاعدة بيانات حول الصحافة الإفريقية وتشجيع تطور الصحف ومساعدة الصحفيين في تحسين مستوى المنتج الصحفي وزيادة المصداقية، بالإضافة إلى تشجيع الحكومات على تهيئة الظروف السياسية والإقتصادية والقانونية لازدهار الصحافة المستقلة.

وإدراكاً منها بالدور الحيوي الذي تلعبه الصحافة في دعم التطور الديمقراطي وفي إطار تفعيل إعلان وندهوك وضعت اليونسكو برنامجاً تنفيذياً لدعم الصحافة المستقلة في إفريقيا أطلقته عليه اسم "مشروع اليونسكو للصحافة المستقلة" the UNESCO Independent Press Project يهدف إلى دعم القدرات الفنية والبشرية

⁽¹⁾ UNESCO (2003), *Development of an Independent Press in Africa*. Available Online at: <http://www.unesco.org/webworld/com/strength/strengt...>

للصحافة المستقلة في أفريقيا وتمكينها من المشاركة الفعالة في التنمية الوطنية والتحول الديمقراطي. ويسعى المشروع إلى تحقيق أهدافه من خلال تحسين نوعية مخرجات وسائل الإعلام عن طريق التدريب وإمداد الصحف بالتكنولوجيا الحديثة ودعم الممارسات الأخلاقية في الصحافة. وفي هذا الإطار نظم المشروع عددا من البرامج التدريبية وورش العمل والمؤتمرات حول استخدام تكنولوجيا النشر المكتبي في الصحافة وإدارة المؤسسات الصحفية الصغيرة والمتوسطة الحجم واستخدام الإنترنت والبريد الإلكتروني في التحرير الصحفي. وقد استفاد عدد من الصحف المستقلة في أفريقيا من هذا المشروع.

ويتضمن مشروع اليونسكو للصحافة المستقلة تنظيم التدريب المهني للصحفيين وإمداد الصحف المستقلة بالأدوات المناسبة والتدريب التقني وإنشاء قاعدة بيانات عن الصحافة الأفريقية بالإضافة إلى تشجيع نمو وتطور الصحف المستقلة ومساعدة الصحفيين على تحديد إطار الممارسة المهنية من أجل دعم مصداقية الصحف وتشجيع الحكومات على تهيئة الظروف السياسية والاقتصادية والضريبية والقانونية المناسبة لنمو وازدهار الصحف المستقلة.

السمات العامة للصحافة المستقلة في أفريقيا

مع التسليم بالاختلافات القائمة بين الدول الإفريقية وبالتالي بين أوضاع الصحافة المستقلة في كل منها، إلا أننا يمكن أن نستخلص عددا من السمات المشتركة التي تميز ظاهرة الصحافة المستقلة في القارة ككل.

- تسيطر على سوق الصحافة المستقلة في أفريقيا الصحف صغيرة الحجم وضعيفة الامكانيات المادية والبشرية، وباستثناءات قليلة فإن الصحف المستقلة في أفريقيا أسبوعية الدورية وبعضها نصف شهرية وتمتد دورية بعضها إلى الشهرية. كما أن بعض الصحف المستقلة غير منتظمة في الصدور.
- تواضع المستوى الفني للصحف المستقلة، حيث يغلب على هذه الصحف الفقر التقني والتحريري ولا تزيد بعضها عن عدد قليل من الأوراق الرديئة الخالية من أي شكل جمالي نظرا لضعف الامكانيات التقنية، كما أنها فقيرة من الناحية التحريرية بشكل واضح. ولا يخدم المستوى المتواضع لهذه الصحف من ناحية المضمون والإخراج ظاهرة الصحافة المستقلة بوجه عام.

- تقلب التوجهات السياسية والإيديولوجيات للصحف المستقلة نتيجة تعبيرها عن أفراد وليس عن قوى سياسية قائمة، وهو الأمر الذي يدفعها إلى التناقض مع نفسها سعياً إلى إرضاء الحكومات للسماح لها بالاستمرار في الصدور.
- التوجه إلى النخبة المتعلمة، وعدم الوصول إلى القواعد الجماهيرية. وتتفق الصحف المستقلة في أفريقيا مع غيرها في هذه السمة مع وسائل الإعلام المطبوعة الأخرى بسبب ارتفاع نسب الأمية في الدول الإفريقية. والواقع أن الصحف المستقلة في أفريقيا لا تختلف عن الصحف الحكومية في كونها نخبوية وتتركز في المدن والمناطق الحضرية وتخدم الجماهير المتعلمة القادرة على القراءة باللغات الأوروبية. ويرى أحد الباحثين الأفارقة أن "الصحافة المستقلة رغم إنها تناضل من أجل إعادة الظهور من الظلال السلطوية لازالت مؤسسات للنخبة وتمثل مع الصحف الحكومية قطاعات مختلفة من النخبة السياسية والإقتصادية"^(١).
- وينفي بعض الباحثين^(٢) الطبيعة النخبوية عن الصحافة المستقلة في أفريقيا مستنداً إلى حقيقة أن قراءة الصحف ليست هي وسيلة الاتصال الوحيدة في البلدان الأفريقية، وإنما هي حلقة في سلسلة الاتصال الإنساني في الثقافات الأفريقية التي تعلي من شأن الاتصال الشفهي، وعليه فإن الصحف المستقلة تصل إلى الجماهير عبر نقل المتعلمين ما قرءوه فيها إلى غير المتعلمين. ويصف أحد الصحفيين الأفارقة هذا الأمر بالإشارة إلى بائعة خضروات غير متعلمة في جامبيا تقوم بشراء صحيفته وتأخذها إلى منزلها مساءً ليقرأها لها أحد أطفالها الذين يذهبون إلى المدرسة. وفي مالي فإن برامج الراديو التي تقدم مقتطفات من المقالات المنشورة في الصحف المستقلة تجذب انتباه عدد أكبر من الجماهير وبشكل يفوق عدد قراء نفس المقالات الأصلية المنشورة في هذه الصحف^(٣).

^(١) Karikari, Kwame (1993), "Africa: The Press and Democracy." *Race & Class* 34, 3 (January- March 1993): Pp.56-57.

^(٢) Wiseman, John A (1996) *The New Struggle for Democracy in Africa* (Aldershot, UK: Avebury) P. 56.

^(٣) "Media: Private Radio Troubles in Ghana," *Africa Research Bulletin* (1-28 February 1995) P.11769.

المبحث الثالث

دور الصحافة المستقلة في أفريقيا

يحدد بالدنج^(١) دور الصحافة المستقلة في دعم الأنظمة الديمقراطية في القارة الأفريقية في: تشجيع الشفافية، ومحاسبة السياسيين، ومحاربة الفساد، وإنشاء ودعم إقتصاد مستقر وصحي. ولذلك فإن يقيم ارتباطا وثيقا بين نجاح الديمقراطيات الجديدة في تحقيق التحول السريع إلى إقتصاد السوق ونجاحها في إقامة أنظمة صحفية حرة تتمتع فيها الصحافة باستقلالية عن الدولة.

ويعول الكثيرون على الدور المهم الذي يمكن أن تلعبه الصحافة المستقلة في دعم وتشجيع التحول الديمقراطي في أفريقيا. فعلى الرغم من أنها هي نفسها كانت أحد ثمار موجة التحولات الليبرالية والديمقراطية التي اجتاحت القارة في مطلع التسعينات، فإنها هي نفسها أيضا كانت القوة المحفزة للديمقراطية. ويشير بعض المحللين إلى أن الصحافة بوجه عام والمستقلة منها بوجه خاص كانت عاملا مستقلا رئيسيا في الموجة الديمقراطية في أفريقيا. وفي هذا الإطار يشير فرنسيس كاسوما إلى أن الديمقراطية الليبرالية لم تكن لتصل إلى أفريقيا في تسعينات القرن الماضي وبالتأكيد لم تكن لتستمر بدون تمكين الصحافة المستقلة من أداء دورها.^(٢) ويرى أريك شينجي أن "نجاح التجربة الديمقراطية في أفريقيا سوف يتوقف على الطريقة التي تعرض بها الصحافة مفهوم الديمقراطية".^(٣) وينظر بعض الصحفيين الأفارقة إلى أنفسهم على أنهم هم الذين بنوا الأنظمة الديمقراطية الجديدة في بعض الدول الأفريقية.

وإذا كان الصحفيون الأفارقة والباحثون في الصحافة يعلنون من شأن دور الصحافة في التحول الديمقراطي في أفريقيا، فإن الباحثين في العلوم السياسية لا ينكرون هذا الدور ولا يقللون من أهميته، لكنهم يعتبرونه عاملا ثانويا من بين عدد من العوامل التي ساهمت في هذا التحول. إذ يشير لاري دايغوند على سبيل المثال إلى أن

^(١) Balding, Timothy (2003), Press Freedom: Ten Years On... "Ibid, p.2.

^(٢) Kasoma, Francis P. (1995), "The Role of the Independent Media in Africa's Change to Democracy," *Media, Culture & Society* 17, 4 (October 1995) P. 552

^(٣) Chinje, Eric (1993), "The Media in Emerging African Democracies: Power, Politics, and the Role of the Press" *Fletcher Forum* 17, 1 (Winter 1993) P.63

التوجه نحو الديمقراطية في أفريقيا جاء نتيجة عدد من العوامل والقوي التاريخية من بينها التدهور الاقتصادي في الثمانينات والفسل العام للأنظمة السلطوية وتطور المجتمع المدني، واقتصر دور الصحافة المستقلة (غير الحكومية) بالإضافة إلى محطات الراديو الدولي علي المساهمة في خلق الوعي العام بالتوجه الديمقراطي لدي الجماهير^(١).

ونحن نتفق مع رؤية وتحليل وايسمان^(٢) لدور الصحافة المستقلة في التحول الديمقراطي في أفريقيا. فهذه الصحافة يمكن النظر إليها على أنها كانت متغيرا مستقلا ومتغيرا تابعا في نفس الوقت في هذا التحول.. كما يمكن النظر إليها على أنها كانت سببا ونتيجة لهذا التحول في نفس الوقت، فظهور الصحف المستقلة عن الحكومة يمكن النظر إليه على أنه نتيجة للمناخ السياسي الجديد الذي تشكل في إطار النضال من أجل الديمقراطية، وبعد ظهورها أصبحت هذه الصحف قوة أساسية بارزة في هذا النضال. ومن النماذج التي تؤكد صحة هذا التحليل لدور الصحافة المستقلة كمتغير تابع ثم كمتغير مستقل في التحول الديمقراطي ما حدث في زامبيا. فقد نجحت المعارضة السياسية في عام ١٩٩١ في تحدى السيطرة الحكومية الشديدة على الصحافة وأجبرت الحكومة على السماح للصحف المستقلة بالظهور. وبعد ظهورها ومن خلال ما كانت تنشره قامت الصحف المستقلة بدعم وتشجيع التحول الديمقراطي والتعددية السياسية وساهمت في إخراج حزب الرئيس كنيث كاوندرا الحاكم من السلطة في نفس العام. وفي بنين كان ظهور الصحف المستقلة الأولى في عام ١٩٨٨ إشارة واضحة على قرب سقوط الحكم الماركسي في البلاد، وقد ساهمت هذه الصحف في هذا السقوط من خلال التقارير التي نشرتها عن فساد النظام الحاكم وانتهاكات حقوق الإنسان.

^(١) Diamond, Larry, (1993) "International and Domestic Factors in Africa's Trend toward Democracy," in Festus Eribo and others, eds., *Windows on Africa: Democratization and Media Exposure* (Greenville, NC: East Carolina University) P.18.

^(٢) Wiseman, John A. (1996) *The New Struggle for Democracy in Africa*. (Aldershot, UK: Avebury) P.55.

المبحث الرابع

الضغوط القانونية التي تواجهها الصحافة المستقلة في إفريقيا

يتطلب ظهور وازدهار الصحافة المستقلة مساحة من الحرية السياسية ودرجة عالية من تحمل النظام الحاكم لها. وإذا كانت بعض الأنظمة الأفريقية قد سمحت للصحف المستقلة بالظهور والعمل في ظل التغيرات السياسية التي أشرنا إليها من قبل فإن درجة تحمل هذه الأنظمة لاستمرار هذه الصحافة لا زالت متقلبة ومتغيرة، وفي بعض الحالات أدى عدم تحمل الأنظمة الحاكمة للصحف المستقلة إلى التراجع عنها وإغلاقها.

الضغوط الحكومية في ضوء الخبرة التاريخية:

ولكي نحدد ونحلل الضغوط القانونية وغير القانونية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا التي ظهرت في مطلع التسعينات من القرن الماضي، لا بد لنا - منهجياً - من وضع هذه الضغوط في سياقها التاريخي حتى يمكننا تقدير حجم التغير الذي أحدثه ظهور الصحافة المستقلة في أوضاع حرية الصحافة في القارة.

والواقع أن الميراث التاريخي للصحافة الأفريقية الذي سبق ظهور الموجة الثانية (الحالية) من الصحافة المستقلة يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الصحافة الأفريقية وباستثناءات قليلة للغاية حرمت تماماً من حريتها في فترة ما بعد الاستقلال. وتجمع البحوث والدراسات التي تناولت الصحافة الأفريقية في فترة ما بعد الاستقلال وحتى مطلع التسعينات على حقيقة واحدة وهي أن حرية الصحافة لم تتحقق في أفريقيا جنوب الصحراء أو في إفريقيا بصفة عامة. وقد وصف لويس بورجولت Louise M. Bourgaolt هذا الأمر بقوله "إن الأدبيات الخاصة بالصحافة الأفريقية تعاملت مع تاريخ الصحافة في القارة على أنه معركة مستمرة بين قادة الحكم العسكري ورجالهم وبين الصحفيين الأبطال".⁽¹⁾

⁽¹⁾ Bourgaolt, Louise M. (1993) " Press Freedom in Africa: A Cultural Analysis," *Journal of Communication Inquiry* 17, 2 (Summer 1993) P.69.

وقد كان واضحا خلال السنوات الأولى من الاستقلال أن "أفريقيا كانت هي القارة التي تكتم صحافته وتحققها"^(١). وقد عبر فرانك بارتون عن المفارقة التي حدثت بين التحرر من الاحتلال وقمع الصحافة الوطنية بقوله "عندما جاءت الحرية السياسية إلى القارة.. اختفت حرية الصحافة" وهي المقولة التي يمكن أن نعيد صياغتها عربيا بالقول "عندما دخل التحرر السياسي إلى إفريقيا من الباب.. خرجت حرية الصحافة من الشبابك".

وفي السبعينات من القرن الماضي عبر أحد الصحفيين الأفارقة عن وضعية حرية الصحافة في القارة بقوله "إن درجة الحرية التي تتمتع بها الصحافة الآن تحت الحكم الوطني أقل بكثير مما كانت تتمتع به تحت حكم المستعمرين البيض"^(٢).

وقد خلص حسني نصر^(٣) إلى نتيجة مشابهة، إذ أكد في بحثه لعلاقة الصحافة بالسلطة الوطنية في أفريقيا منذ الاستقلال وحتى مطلع التسعينات عدم صحة الفرض القائل بوجود علاقة ايجابية بين نيل الاستقلال وبين ازدهار حرية الصحافة في أفريقيا. فقد اتضح أن الصحافة الأفريقية تحت الحكم الوطني كانت مقيدة بجميع آليات التقييد المعروفة: التشريعات والقوانين، والرقابة المباشرة والذاتية. وعانت الصحف وعانى الصحفيون من اضطهاد الحكام الوطنيين. كما أكد أيضا عدم صحة الفرض القائل بوجود علاقة بين نوعية الحكومة القائمة (مدنية وعسكرية) وبين ازدهار حرية الصحافة. فقد اتضح أن جميع الحكومات التي تولت الحكم أيا كان نوعها وطريقة وصولها إلى السلطة، قد قيدت حرية الصحافة.

في ضوء السياق السابق يمكن تقدير ما تتمتع به الصحافة المستقلة في أفريقيا التي ظهرت في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن العشرين، ليس عن طريق مقارنتها بالصحافة المستقلة في مناطق أخرى من العالم ولكن بمقارنتها بما كان عليه الحال في أرضها في الفترات السابقة.

(١) Ainslie, Rosalynde (1996) "The Press in Africa: communication Past and Present". London: Gollancz. P.212

(٢) Jose, Babatunde (1975), "Press Freedom in Africa," *African Affairs* 74, 296 (July 1975) P.256

(٣) حسني محمد نصر (١٩٩٩)، *الحرية المفقودة: علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية في أفريقيا*، مرجع سبق ذكره، ص. ١٨٣.

و الواقع أن تقييم حرية الصحافة المستقلة في أفريقيا بتنازعه اتجاهان.. اتجاه متفائل يقدر قيمة ما حدث من تغير ويعتبره مقدمة لتوسيع نطاق حرية الصحافة في أفريقيا، واتجاه متشائم يركز على انتهاكات الحكومة لحرية الصحافة المستقلة ويتنبأ بزوال هذه الظاهرة عند أول منعطف تاريخي آخر.

ويري أصحاب الاتجاه المتفائل في ظهور الصحف المستقلة في أفريقيا بعد انقطاع لنحو ثلاثين عاما في حد ذاته تغيرا دراماتيكيا في تاريخ الصحافة الأفريقية وأن هذا الظهور -- في حد ذاته أيضا- يؤكد أن هناك حرية صحافة في الدول التي ظهرت بها. ويستند أنصار هذا الاتجاه من الباحثين على القاعدة المنطقية التي تقول أنه لو لم يكن هناك حد أدنى من الحرية لما ظهرت هذه الصحافة، بالإضافة إلى بعض الدلائل الوطنية والعالمية مثل تقارير المنظمات الدولية المعنية بحرية الصحافة. ولا يقيم أصحاب هذا الاتجاه وزنا كبيرا للانتهاكات التي تتعرض لها الصحافة المستقلة من جانب الحكومات ويركزون على قصص النجاح التي حققتها بعض الصحف المستقلة في بعض البلدان الأفريقية. ومن أبرز أنصار هذا الاتجاه ريتشارد كارفر⁽¹⁾ الذي يري أن ظهور الصحف المستقلة في أفريقيا قلب موازين حرية الصحافة في أفريقيا، وعمر كوناري⁽²⁾ الذي يري أن الصحف المستقلة قد تمتعت بدرجة كبيرة من الحرية في نشر التحقيقات الصحفية وطرح التساؤلات والخوض في كل الموضوعات التي كان محرما على الصحف الأفريقية الخوض فيها من قبل، ويقول كوناري "إن قاعات التحرير داخل هذه الصحف تحولت إلى قاعات محاكم وتحول الصحفيون إلى محامين للدفاع عن المواطنين".

ورغم اعتراف البعض بالقمع الذي تعاني منه الصحف المستقلة في أفريقيا إلا أنهم يعملون كثيرا على شجاعتها ومرونتها وقدرتها على التكيف التي تمكنها من البقاء والاستمرار. ويشير هؤلاء الباحثين إلى قيام الصحفيين المستقلين الذين تغلق الحكومة صحفهم بإعادة إصدارها بأسماء جديدة.

⁽¹⁾ Carver, Richard (1991), "Truth From Below: The Emergent Press in Africa. London: International Center Against Censorship. P.3

⁽²⁾ Konare, Alpha Oumar (1991), "Independent papers enjoy a Whiff of Freedom from Dakar to Kinshasa". IPI Report (May 1991). P.20

أما أصحاب الاتجاه المتشائم فيرون أن الصحف المستقلة الجديدة ولدت وهي غير محصنة ضد القمع الحكومي، أي بدون غطاء دستوري وقانوني يحميها من الحكومة. بل إن القوانين التي صدرت بعد ظهور هذه الصحافة كانت تستهدف في الغالب تمكين الحكومات الأفريقية من قمع هذه الصحافة. ويستدل أصحاب هذا الاتجاه بوقائع سجن الصحفيين المستقلين وإغلاق بعض الصحف المستقلة في كل الدول الأفريقية التي عرفت هذه الظاهرة مثل بنين والكاميرون وتشاد والكونغو وساحل العاج وإثيوبيا وغانا وكينيا والنيجر وتوجو وزامبيا وزيمبابوي.

وسائل الضغط على الصحف المستقلة:

لإدراك حقيقة ما تتعرض له الصحافة المستقلة في أفريقيا نستعرض في الصفحات التالية العقوبات القانونية والقيود الحكومية التي تتعرض لها الصحف المستقلة في أفريقيا في ضوء بعض النماذج التي تساهم في استخلاص نتائج ذات دلالة في تقييم حرية الصحافة المستقلة في أفريقيا.

١. عدم إيمان القيادة السياسية بدور الصحافة المستقلة:

رغم انتهاج بعض الدول الإفريقية سياسات جديدة تسمح للصحف المستقلة بالظهور إلا أن قادة بعض هذه الدول احتفظوا برؤية سلطوية لهذه الصحافة توارثوها من الفترات السابقة تري في هذه الصحف عدوا للحكومة والاستقرار. وتعطي ناميبيا مثالا جيدا على ذلك. فقد كانت ناميبيا في مطلع التسعينات تعيش تجربة ديمقراطية جديدة، وكانت تمثل للمنظمات الدولية في ذلك الوقت نموذج يمكن أن يحقق النجاح ليس فقط في التحول إلى الديمقراطية والانتخابات الحرة بل أيضا في ازدهار الصحافة المستقلة عن سيطرة الحكومة. ولعل هذا ما دفع منظمة اليونسكو إلى اختيار عاصمتها وندهوك مكانا لإعلان وندهوك حول الصحافة المستقلة في عام ١٩٩١، الذي يتضمن مجموعة من المبادئ تستند إلى فكرة أن قيام واستمرار وتقوية صحافة مستقلة ومتعددة وحررة أمر ضروري لتطور الديمقراطية في الدولة.

ورغم أن رئيس ناميبيا في ذلك الوقت سام نجومما Sam Nujoma هو نفسه رئيسها الحالي نتيجة فوزه بالانتخابات الثلاثة التي أجريت في البلاد منذ نهاية

الثمانينات إلا أنه انقلب وبشدة على الصحافة المستقلة، حتى أنه عين نفسه في أعقاب فوزه بفترة رئاسية ثالثة في ٢٠٠٢ وزيراً للإعلام والإذاعة، وذلك لإحكام سيطرته على وسائل الإعلام الحكومية واستخدامها في مواجهة الصحافة المستقلة. ويستند عداؤهم نجومًا للصحافة المستقلة من رؤيته للصحفيين المستقلين على أنهم أعداء للبلاد يخدمون المستعمرين السابقين، وهو نفس المبرر الذي استخدمه روبرت موجابي رئيس زيمبابوي في حربه ضد الصحافة المستقلة. ويشير آدم بوسلنس إلى أن غضب نجومًا على الصحف المستقلة قد تصاعد بعد انتقادها قرار الحزب الحاكم المعروف باسم سوابو SWAPO تعديل الدستور للسماح للرئيس بدخول الانتخابات لفترة رئاسية ثالثة بالإضافة إلى كشفها قضايا فساد لبعض المسؤولين الحكوميين وقضايا انتهاك حقوق الإنسان داخل البلاد والممارسات غير الإنسانية للقوات الوطنية داخل جمهورية الكونغو الديمقراطية.

وقد تمثلت المضايقات التي اتبعتها المسؤولين الحكوميون وعلي رأسهم الرئيس نجومًا ضد الصحف المستقلة في:

- حرمانها من المعلومات
- اتهامها بتشويه صورة البلاد في الخارج
- جر الصحف المستقلة إلى المحاكم
- حرمانها من الإعلانات والتضييق عليها في التوزيع
- تحريض الجماهير على مقاطعتها

فقد وبخ نجومًا الصحفيين بشدة في خطابه بمناسبة احتفال اليونسكو بمرور عشر سنوات على إعلان وندهوك في ربيع ٢٠٠١، واتهمها أنها لا تفهم مسؤولياتها، وإدعي أن الصحفيين يريدون مزيداً من الحرية لأسباب تجارية وذلك عن طريق نشر الموضوعات الحساسة والمعلومات المضللة والتزييف لبيع صحفهم وبناء إمبراطوريات إعلامية لا يجرؤ أحد على المساس بها. وعبر نجومًا عن قناعته بأن الصحافة يجب أن تعمل كأداة لنشر المعلومات الحكومية.

ورغم عدائها للصحافة المستقلة إلا أن حكومة ناميبيا توقفت عن الأساليب القمعية السابقة في التعامل مع الصحف المستقلة، واستعاضت عنها إلى جانب الحرمان من المعلومات وتحريض الجماهير على عدم شرائها، بجرها إلى المحاكم. ففي عام ١٩٩٨ فرضت وزارة الدفاع حظرا كاملا على أخبار الحرب في جمهورية الكونغو الديمقراطية التي كانت تشارك فيها قوات من ناميبيا. وفي نفس العام قدم نجوما صحيفة وندهوك أوبرفر Windhoek Observer المستقلة إلى المحاكمة بتهمة القذف لنشرها مقالات تتهمه بالفساد. وفي يونيو ٢٠٠٠ قدم نجوما نفس الصحيفة إلى المحاكمة بتهمة القذف في حق نشرها مقالا أشارت فيه إلى ملكيته لمنجم ماس في الكونغو الأمر الذي أثار الأقاويل حول دوافع ناميبيا للتورط في الحرب الأهلية في الكونغو.

وفي ربيع عام ٢٠٠١ أمر الرئيس نجوما بفرض حظر إعلاني وتوزيعي على صحيفة The Namibian التي تحتل مكانة مرموقة محليا ودوليا باعتبارها من أقوى الصحف المستقلة في ناميبيا. وفي سبتمبر ٢٠٠٢ دعت رابطة الشباب بالحزب الحاكم الجماهير إلى مقاطعة الصحيفة نفسها وعدم شرائها لنشرها رسما كاريكاتوريا صورت فيه الرئيس نجوما على أنه كلب الهجوم بالنسبة للرئيس الزيمبابوي روبرت موجابي. وقد تضمنت الدعوة مقاطعة كل الصحف المستقلة التي تتضمن نقدا لزعيم البلاد.

وقد وصل عداء المسؤولين الحكوميين للصحافة المستقلة في بعض الدول الأفريقية إلى حد تلفيق اتهامات أخلاقية لرؤساء تحرير هذه الصحف، مثلما حدث في أوغندا مع تيدي شاييه رئيس تحرير صحيفة Uganda Confidential الأسبوعية المستقلة الذي اتهمته السلطات بالتحرش الجنسي وخطف فتاة بغرض الاعتداء عليها ولكن المحكمة برأته وأكدت أن الاتهام كان ملفقا من جانب مسؤولين كان شاييه قد نشر مقالات في صحيفته تتهمهم بالفساد.

ولم تستطع بعض الحكومات الإفريقية تحمل أي نقد توجهه الصحف المستقلة لأدائها حتى وإن كان بسيطا، وعلي سبيل فقد أغلقت حكومة ليبيريا صحيفة The Daily Observer المستقلة لمدة شهر في عام ١٩٩٣ بسبب نشرها صورة فوتوغرافية لطريق

موحل في العاصمة منروفيا مدعية أن نشر هذه الصورة يهدد الاستثمارات الأجنبية في البلاد.

٢. إتباع أساليب مضللة لإغلاق الصحف المستقلة:

تأخذ المضايقات الحكومية للصحف المستقلة أشكالاً متباينة في الدول الأفريقية المختلفة تتراوح بين إغلاق الصحف المستقلة وسجن الصحفيين المستقلين الذين يعبرون عن وجهات نظر مخالفة للحكومة وبين إصدار قوانين الصحافة البالغة الشدة في التعامل مع الصحافة المستقلة. وتمارس بعض الحكومات الإفريقية نوعاً من التضليل الإعلامي لصرف النظر عن ممارساتها ضد حرية الصحافة وتبرير إغلاقها للصحف المستقلة. ويتضح هذا الأمر أكثر ما يتضح في إرتريا التي بررت حكومتها إغلاق جميع الصحف المستقلة بعدم قدرة هذه الصحف على التجاوب مع نصوص قانون الصحافة الذي يلزم الصحف بالحصول على ترخيص من الحكومة.

وتعطي إرتريا التي تدرج ضمن أكثر الدول الأفريقية انتهاكاً لحرية الصحافة نموذج واضح على النوع الأول من المضايقات. إذ قامت حكومة الرئيس اسياي افورقي في سبتمبر ٢٠٠١ بإغلاق جميع الصحف المستقلة وعددها ست صحف، في محاولة لمنعها من تغطية حملتها على المعارضين للحزب الحاكم الذي يتولى حكم البلاد منذ استقلالها عن إثيوبيا في عام ١٩٩٣. كما قامت الحكومة بزج الصحفيين المستقلين الذين يبدون أية وجهات نظر ناقدة للسياسات الحكومية في السجن. وتمارس حكومة إرتريا مثلها في ذلك مثل حكومات أنجولا وبوروندي وجمهورية الكونغو الديمقراطية وإثيوبيا وليبيريا وزيمبابوي كل الانتهاكات ضد الصحفيين المستقلين من الاعتقال والسجن والمعاملة السيئة والنفي والتهديد بالموت وحتى القتل بذريعة أن ما ينشروه يهدد الوحدة الوطنية في البلاد.

٣. مهاجمة الصحف المستقلة:

بالإضافة إلى الأساليب التقليدية، تعرضت الصحف المستقلة في بعض الدول الأفريقية إلى أشكال أخرى أكثر عنفاً مثل مهاجمة مقارها وتفجير أبنيتها. ففي زيمبابوي قام أعضاء مجهولون من الحزب الحاكم بتفجير مقر صحيفة Voice of the

People المستقلة في أغسطس ٢٠٠٢. وكان قد سبق هذه الحادثة ثلاثة تفجيرات لمقر صحيفة Daily News التي كانت الصحيفة الوحيدة المستقلة في البلاد في عام ٢٠٠١. ولا يتوقف الأمر على أنصار الحكومة في مهاجمة مقر الصحف، إذ تسند هذه المهمة في بعض الأحيان إلى قوات البوليس، ففي أوغندا على سبيل المثال قام البوليس بمداومة مقر صحيفة The Monitor في أكتوبر ٢٠٠٢ وحطم محتوياته وصادر المعدات وأغلق الصحيفة لمدة أسبوع.

٤. استخدام النظام القضائي غير المستقل لمحاربة الصحف المستقلة:

تقع الصحافة المستقلة في بعض البلدان الأفريقية تحت رحمة النظام القضائي غير المستقل عن الحكومة والذي أظهر في أكثر من مناسبة عدائه الكبير للصحافة المستقلة. ففي إثيوبيا حكم بالسجن لمدد طويلة على ثلاثة من رؤساء تحرير صحف مستقلة لأنهم سمحوا لبعض المعارضين بالتعبير عن آرائهم في صحفهم. وفي أوغندا يتم تطبيق قانون التمييز على العنف بصورة انتقائية على الصحفيين الذين لديهم رؤى مخالفة للحكومة، كما استخدمت حكومة زيمبابوي قانون حماية الخصوصية لتسهيل القبض على عدد من رؤساء تحرير الصحف المستقلة والصحفيين المستقلين.^(١)

وقد عبر تقرير للمعهد الدولي للصحافة في عام ١٩٩٥ عن حقيقة ما قامت به بعض الحكومات الأفريقية في ميدان الصحافة المستقلة، مشيراً إلى محاولة بعض الحكومات الأفريقية خلق سراب اسمه الديمقراطية وقيامها بما أسماه "عملية تجميل" لممارساتها ضد الصحافة المستقلة. فبدلاً من استخدام العنف العلني تسعى حكومات عديدة إلى المحاكم في محاولة لتجريم ما يكتبه الصحفيون. وفي محاولاتها إظهار توجهها الليبرالي للعالم تسمح بعض الحكومات بصدور مطبوعات مستقلة، ولكن تبقى هذه المطبوعات عرضة للضرائب العقابية والتنظيم والتحكم في واردتها من المطابع ووسائل توزيعها. كما أظهر مسح ميداني لـ ٢٩ دولة أفريقية في عام ١٩٩٦ أن الصحافة المستقلة في غالبية الدول المسموح لها بالصدور فيها تعاني من

(١) Amnesty International (2003), *Repression of Press Freedom in Africa*. Report Available Online at: <http://news.amnesty.org/mavp/news.nsf/0/1720B?openDocu...>

سيطرة شديدة من جانب الحكومة وضغوط خفية خاصة ما تخضع له من قوانين للصحافة والنشر.^(١)

٥. استغلال حالات الطوارئ لفرض الرقابة على الصحف المستقلة:

رغم توجهها نحو الديمقراطية فإن بعض الدول الأفريقية لجأت في أحيان كثيرة إلى إعلان حالة الطوارئ في مناسبات مختلفة الأمر الذي انعكس سلبا على نمو وتطور الصحف المستقلة التي كانت إحدى ضحايا حالة الطوارئ على السدوم. ففي غانا وبعد أن عاشت الصحف المستقلة فترة ازدهار دامت أكثر من عام تحت حكم الرئيس جون أجيكوم كوفور عادت الحكومة لتفرض عليها قيودا شديدة في أعقاب إعلان حالة الطوارئ بسبب النزاعات القبلية العرقية في البلاد والتي تضمنت فرض رقابة على الصحف خاصة المستقلة منها.

٦. منع الصحف المستقلة من تغطية بعض الأحداث:

في إطار التضييق على الصحف المستقلة والحد من قدرتها على الانتشار تتجه بعض الحكومات إلى التمييز ضدها لصالح الصحف الحكومية عن طريق منعها من تغطية بعض الأحداث المهمة. وعلى سبيل المثال منعت الحكومة في زامبيا الصحف المستقلة من حضور جلسات البرلمان خاصة الجلسات المهمة مثل جلسة انتخاب رئيس المجلس.

تفسير تباین الضغوط الحكومية على الصحف المستقلة:

يمكن تفسير تباین حجم الضغوط التي تتعرض لها الصحف المستقلة في البلدان الأفريقية في ضوء عدد من الاعتبارات التاريخية والجغرافية، وهي:

- الميراث التاريخي الاستعماري والوطني في التعامل مع الصحف المستقلة. ويتضح دور هذا العامل إذا قارنا بين الضغوط التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في دولة مثل بنين شهدت منذ بدايات الاستعمار الفرنسي لها صحافة مستقلة مزدهرة ومقاومة للضغوط وبين الصحافة المستقلة في دولة أخرى مثل ساحل العاج التي لم

^(١) African News Bulletin (ANB-BIA (1998), *Africa: Manifestations of democracy An independent Press and a Free Judiciary*, ANB-BIA Supplement, No 345- 01/05/1998.

يكن لديها صحفا مستقلة إبان الفترة الاستعمارية. فقد مكن الميراث التاريخي للصحافة المستقلة في بنين الموجة الجديدة من الصحف المستقلة التي ظهرت في البلاد في مطلع التسعينات من التعايش ومقاومة القمع الحكومي الذي كان شائعا في الدول الأفريقية الأخرى، وفي المقابل لم تستطع الصحف المستقلة في ساحل العاج مقاومة هذه الضغوط خاصة في النصف الأول من عقد التسعينات لافتقارها إلى ميراث تاريخي في مقاومة القمع الحكومي. فالقمع الذي تواجهه الصحف المستقلة والعقوبات التي يتعرض لها الصحفيون المستقلون في ساحل العاج يعود في جزء منه إلى عدم رسوخ ثقافة التسامح مع المعارضين والصحف المعارضة⁽¹⁾.

- التأثير الجغرافي من دول الجوار، إذ تتأثر تجارب الدول في التعامل مع الصحف المستقلة بالتجارب المماثلة في دول الجوار، وهذا ما يؤكد تأثير حكومة ناميبيا في التضييق على الصحف المستقلة بما تقوم به حكومة زيمبابوي في هذا المجال.
- الطرف الاستثنائي (نموذج سيراليون) إذ رفعت الحكومة المنتخبة بعد الحرب الأهلية الطويلة يدها تماما عن الصحف المستقلة نتيجة انشغالها بقضايا أكثر أهمية مثل محاكمة المتمردين وتضميد جراح الحرب الأهلية وإعادة بناء الدولة. ولذلك تتمتع الصحف المستقلة مثل The African Champion، وصحيفة For Di People، وصحيفة Pool بدرجة كاملة من الحرية في انتقاد السياسيين وذلك بأصحابها ورؤساء تحريرها.

⁽¹⁾ Campbell, Joseph (1998), *the Emergent Independent Press*, Ibid. P.3.

المبحث الخامس

الضغوط الاقتصادية والتكنولوجية والمهنية

النبي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا

تواجه الصحافة المستقلة في أفريقيا عقبات كثيرة هي نفسها تقريبا ما تعاني منه الصحافة بصفة عامة في القارة السمراء منذ الاستقلال وخروج المستعمر. "فلا زالت الصحافة الأفريقية تعاني من نفس المشكلات التي كانت تعاني منها في فترة الاستقلال التي امتدت من نهاية الخمسينات وحتى مطلع السبعينات من القرن العشرين".⁽¹⁾ كما أن الصعوبات والقيود التي تواجه الصحافة الأفريقية على مدى الثلاثين عاما الأخيرة "لا زالت هي نفسها: ضعف التمويل.. والمصادر المالية المحدودة.. وضعف القاعدة الإعلانية.. وضعف قاعدة القراء.. والتدريب المهني المحدود للصحفيين"⁽²⁾.

مصادر التمويل:

يمكن حصر مصادر تمويل الصحف المستقلة في أفريقيا إذا استبعدنا التمويل الحكومي المباشر وغير المباشر الذي يمكن أن ينفي عن الصحف التي تحصل عليه صفة الاستقلال، في الأموال القليلة التي كونها بعض ناشري هذه الصحف في الخارج ومساعدات الأقارب والأصدقاء إلى جانب تجمع بعض الصحفيين لتأسيس صحيفة بطريقة تعاونية فيما بينهم.

ولا يمثل التوزيع مصدرا ذا قيمة كبيرة للصحف المستقلة في أفريقيا نتيجة انخفاض عدد القراء في بعض الدول وانخفاض المستوى التحريري والإخراجي للصحف وانخفاض القدرة الشرائية لدى القراء. ولا يضمن تحسن مستوى الصحف تحول التوزيع إلى أن يكون مصدرا أساسيا من مصادر تمويل الصحف المستقلة.

⁽¹⁾ Pratt, Cornelius (1993), " Fallacies and Failures of Communication for development: A commentary on Africa South of Sahara," *Gazette* 52, 2. P.93.

⁽²⁾ Lansner, Thomas,(1996) "The Press in Africa: Peril and Progress," *Freedom Review*(March- April 1996) pp. 43-46.

أما الإعلانات فبالإضافة إلى حرمان الصحف المستقلة التي تنتقد الحكومة من الإعلانات الحكومية، فإن الشركات الخاصة - على قلّتها - في القارة الأفريقية تعزف عن منح إعلانات للصحف المستقلة خشية غضب الحكومات عليها. وكلما زاد انتقاد الصحيفة المستقلة للحكومة كلما زاد عزوف هذه الشركات عن الإعلان فيها.

وتعتمد بعض الصحف المستقلة على تمويل بعض الأحزاب السياسية والمرشحين السياسيين لها خاصة في فترات الانتخابات، إلا أن هذه الصحف غالباً ما تكون قصيرة العمر وتختفي بعد انتهاء الانتخابات وتوقف التمويل الحزبي أو الشخصي لها.

كما تعتمد الصحف المستقلة في بعض البلدان الإفريقية على المساعدات الخارجية من بعض المنظمات المعنية بتشجيع التحول الديمقراطي وحرية الصحافة في العالم الثالث. وعلي سبيل المثال فقد تلقت صحيفة L'Aurore الأسبوعية المستقلة في مالي مساعدات مالية من صندوق التنمية الأوروبي.

وتتدر في القارة الأفريقية استثمارات الشركات الإعلامية متعددة الجنسية في مجال الصحافة المستقلة، فعلى خلاف ما حدث في شرق ووسط أوروبا بعد سقوط الحكم الماركسي لم تتجه الشركات الغربية إلى امتلاك أو إنشاء صحف في الدول الأفريقية لأسباب عديدة من بينها انعدام الجدوى الاقتصادية لهذه الصحف ورفض الدول الإفريقية القاطع السماح بدخول الاستثمار الأجنبي في الصناعات الإعلامية.

ويرد بعض المحللين تردى الأوضاع الاقتصادية للصحف المستقلة في أفريقيا إلى الحكومات التي نجحت في محاربة هذه الصحف بطرق جديدة لا تثير ضدها المجتمع الدولي ومنظمات حماية الصحفيين. فبدلاً من القمع المباشر وإغلاق الصحف وسجن الصحفيين المستقلين اتجهت الحكومات إلى وسائل أخرى للقمع تتمثل في حجب الإعلانات عنها وخلق مشكلات مالية لها وأحياناً إجبار الصحف على التوقف عن الصدور بسبب نقص الأموال⁽¹⁾.

⁽¹⁾ Sorokobi, Yves, (2002), *Attacks on the Press in 2002: Overview Africa*. Available online at: <http://www.cpi.org/attacks02/africa02/africa.html>

الضغوط الاقتصادية والتكنولوجية والمهنية:

يمكن تقسيم الصعوبات الاقتصادية التي تواجهها الصحف المستقلة في أفريقيا إلى نوعين أساسيين، هما:

- صعوبات إقتصادية وتكنولوجية ناتجة عن تدخل حكومي لحرمانها من الإعلانات الحكومية القليلة، والتضييق عليها في التوزيع ومنع شرائها للإدارات الحكومية. وتشير بعض التقارير في هذا الصدد إلى إتباع الحكومات أساليب بارعة لإجبار الصحف المستقلة على التوقف عن الصدور، على رأسها قصر الإعلانات الحكومية على الصحف الحكومية التي تتمتع بوضع احتكاري كامل في هذا المجال.

- صعوبات ناتجة من الأوضاع الإقتصادية العامة المتردية في بعض البلدان الأفريقية. وتقدم تجربة الصحافة المستقلة في سيراليون نموذج على النوع الثاني من هذه الصعوبات. فالصحف المستقلة القليلة التي ظهرت في هذه الدولة في عام ٢٠٠٢ وبعد نحو عقد من الحرب الأهلية الطاحنة التي اندلعت في ١٩٩١ وراح ضحيتها نحو ٥٠ ألف شخص، تعاني من مشكلات إنتاجية عديدة يبدو أن الحكومة التي تم انتخابها في مايو ٢٠٠٢ ليس لها دخل فيها. وتتمثل هذه الصعوبات في "عدم توافر المطابع الحديثة والاعتماد على مطابع قديمة كثيرة الأعطال وأجهزة كمبيوتر متهاكة"^(١)

والواقع أن الصعوبات المالية التي واجهتها الصحف المستقلة الجديدة في أفريقيا كانت العامل الرئيسي في توقف عدد كبير من هذه الصحف عن الصدور ولا زالت تهدد القائمة منها حتى اليوم. فقد توقفت بعض الصحف المستقلة عن الصدور بعد صدور عدد واحد منها فقط. ويمكن تفسير هذا الأمر الذي تكرر مع أكثر من صحيفة وفي أكثر من دولة إفريقية بأن المناخ الجديد من الحرية الذي شهدته بعض الدول الأفريقية قد أغري بعض الصحفيين إلى المسارعة بإصدار صحف مستقلة عن الحكومة فور حدوث التغير السياسي في بلادهم دون التفكير في مسألة التمويل والموارد المالية اللازمة لاستمرار هذه الصحف، الأمر الذي أدى إلى الاختفاء السريع لبعض من هذه الصحف.

^(١) Sorokobi, Yves, (2002), *Identity Crisis*. Available online at:
http://www.cpj.org/Briefings/2002/sierra_leone_aug02.html

ويميل بعض الباحثين إلى التقليل من شأن الصعوبات المالية التي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا كعامل من عوامل إخفاق هذه الصحافة. ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن هناك نماذج ناجحة وصحف مستقلة استطاعت التغلب على العقبات الاقتصادية والاستمرار في العمل. وتشهد الصحف المستقلة في بعض الدول الأفريقية مثل ساحل العاج وبنين ازدهارا اقتصاديا شجعها على التحول من الدورية الشهرية والأسبوعية إلى الدورية اليومية. وقد استطاعت بعض الصحف المستقلة التقليل من الصعوبات المالية التي تواجهها عن طريق التعاون مع الصحف المماثلة في الدول المجاورة، وعلى سبيل المثال كانت صحيفة Haske الأسبوعية التي تصدر في النيجر تُطبع في مطابع صحيفة La Gazette du Golfe في بنين بتكلفة منخفضة.

وقد نجحت بعض الصحف أيضا في الاستفادة من المزايا التي منحتها الحكومة إياها دون أن تفقد استقلالها ودون أن تتحول إلى أدوات للحكومات. فالصحف المستقلة في بنين تستفيد بالخفض الذي قرره الحكومة لأجور البريد والهاتف والطباعة والإعفاءات الضريبية والجمركية. كما حصلت الصحف المستقلة في السنغال في عام ١٩٩٠ على إعانات مالية مباشرة بلغت ٣٣ ألف دولار لكل صحيفة لمواجهة تزايد تكلفة الطباعة^(١). ورغم اعتبار البعض هذه المساعدات وسيلة اتبعتها الحكومة لدفع الصحف المستقلة إلى معسكر الصحف الحكومية، إلا أن البعض الآخر يرى أن الصحافة المستقلة في السنغال لا زالت - رغم قبولها المساعدات الحكومية - من أقوى الصحف المستقلة في أفريقيا جنوب الصحراء، كما أن تقديم مساعدات حكومية للصحف لا يعني بالضرورة تخليها عن استقلالها حتى أن حكومات بعض الدول الديمقراطية مثل فرنسا والسويد تمنح الصحف مثل هذه المساعدات المباشرة.

- عدم توافر الكوادر البشرية المؤهلة، إذ مثل نقص الخبرة لدى الصحفيين وربما لدى رؤساء تحرير الصحف المستقلة عائقا كبيرا أمام مصداقية الصحف المستقلة، "إذ كان الصحفيون كثيرا ما يوجه إليهم اللوم نتيجة التقارير غير الصحيحة التي ينشرونها في هذه الصحف".^(٢)

(١) Carver, Richard. (1991) *Truth from Below: The Emergent Press in Africa*. London: International Center Against Censorship. P.56.

(٢) Sandbrook, Richard (1996), "Transitions Without Consolidation". Ibid. pp. 81-85.

وبصفة عامة فإن محرري الصحف المستقلة الأولى في غالبية البلدان الأفريقية التي ظهرت فيها هذه الصحف كانوا قليلي الخبرة بالعمل الصحفي والعمل الإداري أو بدون خبرة سابقة في هذين المجالين على الإطلاق. وقد لاحظ أحد الباحثين^(١) أن الأشخاص الذين أسند إليهم تدريب هؤلاء الصحفيين من قبل مؤسسات وهيئات دولية لم يكن لديهم التأهيل الصحفي اللازم للقيام بهذا العمل.

^(١) Martin, Robert (1992), "Africana: Building Independent Mass Media in Africa," *Journal of Modern African Studies* 30, 2. p. 337.

خاتمة

الإجابة عن تساؤلات البحث:

١. ما العوامل التي ساهمت في ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

خلص الباحث إلى أن ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في الدول الأفريقية لا يمكن إرجاعه إلى عامل أو سبب واحد، وإنما يعود إلى أكثر من عامل نوجزها فيما يلي:

- اشتراك العاملين الخارجي والداخلي مجتمعين في ظهور الصحافة المستقلة في أفريقيا. فقد كشف البحث أن تردى الأوضاع الداخلية وفشل خطط التنمية بالإضافة إلى انهيار الاتحاد السوفيتي وتحول دول الكتلة الاشتراكية في شرق ووسط أوروبا إلى الديمقراطية تضافرت معا كعوامل داخلية وخارجية لتقود إلى تغيرات سياسية في بعض دول القارة الأفريقية وأدت فيما أدت إليه إلى ظهور الصحف المستقلة عن الحكومات.
- الميراث التاريخي للصحافة المستقلة في بعض دول القارة، إذ تركز ظهور الصحافة المستقلة في بداية الموجة الثانية في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات في الدول التي كانت قائمة بها من قبل أثناء الفترة الاستعمارية مثل بنين والكاميرون وغانا والسنغال، ومع هذا فإن الميراث التاريخي لم يكن له أي دور يذكر في ظهور الصحافة المستقلة في بعض دول أفريقيا جنوب الصحراء، علي أساس أن دولاً أخرى لم يكن لها سابق تجربة في الصحافة المستقلة قد شهدت مولد وازدهار الصحافة المستقلة في الفترة نفسها.
- برامج تعليم الصحافة في بعض الدول الأفريقية وبرامج تدريب الصحفيين التي نظمتها منظمات غربية، التي يعود إليها تشجيع الأجيال الجديدة من الصحفيين الأفارقة على إصدار الصحف المستقلة أو العمل فيها.

- تأثير الصحف الأجنبية التي سمحت بعض الحكومات الأفريقية بدخولها البلاد على تطلعات الصحفيين الوطنيين وتزايد رغبتهم في إصدار صحف مستقلة عن الحكومة على النمط الغربي.
- سفر بعض الصحفيين إلى الخارج للتدريب أو العمل وعمل البعض الآخر كمراسلين للصحف الأجنبية.

وقد خلصت الدراسة إلى أن الصحافة المستقلة في أفريقيا يمكن أن تظهر وتستمر رغم الفترات الطويلة من القمع والحكم السلطوي، كما أنها يمكن أن تظهر وتستمر بصرف النظر عن تاريخ الدولة في التعامل مع الصحافة، يؤكد هذا أن هذه الصحف قد ظهرت في دول كانت سلطوية ودول كان يحكمها حزب واحد ودول كانت خاضعة للحكم العسكري، كما ظهرت في دول كانت مستعمرات فرنسية سابقة ودول كانت مستعمرات إنجليزية سابقة. وخلصت الدراسة أيضا إلى أنه ليس هناك شروطا مسبقة لظهور واستمرار الصحافة المستقلة عن الحكومات في أفريقيا، سوى حدوث تحول سياسي نحو الديمقراطية.

٢. ما طبيعة الدور الدولي وأبعاده في تشجيع ظهور واستمرار الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

كشفت الدراسة اهتمام المجتمع الدولي بظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا في السنوات الأولى من عقد التسعينات، إذ سارعت منظمة اليونسكو إلى إعلان تشجيعها ودعمها للظاهرة من خلال إعلان وندھوك الذي صدقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة واعتبرت يوم إعلانه يوم عالميا لحرية الصحافة.

ورغم هذا الاهتمام إلا أن الدور الدولي في تشجيع الصحافة المستقلة في أفريقيا تميز بالضعف الشديد وذلك للأسباب التالية:

- أنه اقتصر على دعم محدود للصحافة المستقلة لم يتخط حاجز عقد بعض الدورات التدريبية للصحفيين وورش العمل المعنية بإدارة الصحف الصغيرة والمتوسطة، في إطار برنامج اليونسكو للصحافة المستقلة.
- لم يهتم بتفعيل غالبية بنود إعلان وندھوك خاصة ما يتعلق منها بتقديم الدعم المادي والتقني للصحف المستقلة في أفريقيا.

- لم يتابع اليونسكو تنفيذ ما دعي إليه الإعلان من إنشاء النقابات والجمعيات الصحفية في الدول الأفريقية.
 - لم تضع اليونسكو الآليات اللازمة للضغط على الحكومات الأفريقية لوقف التمييز الذي تمارسه ضد الصحف المستقلة لصالح الصحف الحكومية.
- وقد تراجع اهتمام اليونسكو بالصحافة المستقلة في السنوات الأخيرة مع تراجع الاهتمام العالمي بالقارة الأفريقية في مطلع الألفية الجديدة نتيجة عوامل متعددة من بينها أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ واتجاه أنظار الغرب إلى مناطق أخرى من العالم أكثر سخونة.

٣. ما أبرز سمات الموجة الجديدة من الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

مع الأخذ في الاعتبار بخصوصية ظاهرة الصحافة المستقلة في كل دولة لأفريقية على حدة فإن الدراسة قد كشفت عن عدد من السمات المشتركة في ظاهرة الصحافة المستقلة وهي:

- تنسّم الصحف المستقلة في غالبية دول القارة بصغر الحجم وضعف الامكانيات المادية والبشرية.
- يغلب على الصحف المستقلة في أفريقيا الدورية الأسبوعية وتمتد دورية بعضها إلى نصف شهرية وشهرية.
- تعاني الصحف المستقلة في غالبية دول القارة من عدم الانتظام في الصدور.
- تعاني الصحف المستقلة في غالبية دول القارة من تواضع المستوى الفني، حيث يغلب على هذه الصحف الفقر التقني والتحريري.
- تعاني الصحف المستقلة في غالبية دول القارة من تقلب التوجهات السياسية والإيديولوجيات
- تتوجه الصحف المستقلة في غالبية دول القارة إلى النخبة المتعلمة، ولا تصل في الغالب إلى القواعد الجماهيرية.

٤. ما طبيعة وحدود دور الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

خلصت الدراسة إلى أن الصحافة المستقلة تُعد متغيرا مستقلا ومتغيرا تابعا في نفس الوقت في التحول الديمقراطي في دول أفريقيا، وأنها كانت سببا ونتيجة لهذا التحول علي أساس أن ظهور الصحف المستقلة عن الحكومة جاء نتيجة للمناخ السياسي الجديد الذي تشكل في إطار النضال من أجل الديمقراطية، وبعد ظهورها أصبحت هذه الصحف قوة أساسية بارزة في هذا النضال.

٥. ما الضغوط الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

- كشفت الدراسة أن الصحف المستقلة في أفريقيا لا زالت تتعرض للعديد من الضغوط الحكومية القانونية وغير القانونية التي يمكن حصرها فيما يلي:
- نصوص قوانين الصحافة والنشر التي تجرم توجيه النقد للحكومة أو المسؤولين السياسيين، وتضع قيودا على إصدار الصحف المستقلة دون الحصول على ترخيص مسبق من الحكومة.
 - ملاحقة الصحف المستقلة والصحفيين المستقلين قضائيا وتوجيه النظام القضائي غير المستقل عن الدولة إلى إصدار أحكام قاسية عليهم.
 - إغلاق الصحف المستقلة لمدد متفاوتة وبأوامر إدارية بدعوى نشرها ما يشوه سمعة الدولة أو ما يسئ إلى القيادات الحاكمة.
 - حرمان الصحف المستقلة من الإعلانات والإعانات الحكومية والتضييق عليها في الطباعة والتوزيع.
 - الانتقادات العلنية التي يوجهها كبار المسؤولين بما فيهم رؤساء الدول إلى الصحف المستقلة والصحفيين المستقلين والطعن في موضوعيتهم.

٦. ما الضغوط غير الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

انتهت الدراسة إلى أن الصحافة المستقلة في أفريقيا لا تعاني من الضغوط الحكومية فقط ولكنها تتعرض لضغوط ربما أشد ليست الحكومات طرفا فيها مثل تدني المستوى التحريري والإخراجي لها نتيجة نقص الامكانيات البشرية والمادية، بالإضافة عن تخلفها في مواكبة التطورات التكنولوجية في مجال الصحافة المطبوعة نتيجة

نقص الامكانيات التكنولوجية. ولم تتجج البرامج التدريبية التي نظمتها منظمات دولية في تقليل الفجوة في التدريب والتأهيل الصحفي نظرا لقلّة هذه الدورات واعتمادها على مدربين في حاجة إلى تدريب. كما لم تتجج برامج دعم الصحافة المستقلة نتيجة ضالة الاعتمادات المالية المخصصة لها.

خاتمة:

رغم النجاح الذي تحقق لبعض تجارب الصحافة المستقلة في أفريقيا خلال السنوات الماضية إلا أن غياب الضمانات الخاصة باستمرار هذا النوع من الصحافة بقي بظلاله على مستقبلها في معظم أنحاء القارة، الأمر الذي يؤكد أن قيام واستمرار الصحافة المستقلة في أفريقيا عملية معقدة وليست سهلة كما قد يتصور البعض. ويمكن القول إن الصحافة المستقلة في أفريقيا تخوض نضالا شرسا من أجل الحياة ضد كل من يحاول التحكم فيها سواء بشكل علني أو سري.

كما أن بقاء هذه الصحافة مستقلة من الناحية الاقتصادية يثير شكوكا كثيرة في ظل عدم كفاية الأسواق لارتفاع نسب الأمية وتدني دخول المواطنين، وسيطرة الحكومات على أدوات الإنتاج الصحفي مثل المطابع ووسائل التوزيع وضعف بنية المواصلات، بالإضافة إلى النقص الحاد في الكوادر الصحفية والإدارية المحترفة والمدرية.

إن الصعوبات والعوائق الاقتصادية التي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا لا تقل خطورة عما يمكن أن تواجهه من صعوبات سياسية، فالظروف الاقتصادية غير المواتية يمكن أن تتساوى بالنسبة لمستقبل الصحافة المستقلة مع انعدام الديمقراطية وعدم وجود حماية قانونية لحرية الصحافة.

لقد فشل المجتمع الدولي الذي طالبه إعلان وندهوك بتقديم الدعم للصحافة المستقلة في أفريقيا في تنفيذ تعهداته، رغم تأكيد البيان على أهمية هذه الصحافة وضرورتها لنجاح أية جهود تستهدف تحقيق تقدم إقتصادي وسياسي وتحقيق الاستقرار في دول القارة. فقد ظل ظهور ونمو الصحف المستقلة مرهونا برغبة الأنظمة السياسية وتقلباتها ولم تصبح تقليدا يمكنه أن يتجاوز هذه الرغبات والتقلبات. واقتصر الدعم الدولي كما رأينا على بعض الدورات التدريبية للصحفيين وهي دورات لا تأخذ في اعتبارها خصوصية التجربة الأفريقية في الصحافة والفوارق الجوهرية بينها وبين الصحافة الغربية.

لقد أوضح البحث أن استمرار ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا يتطلب ظروفًا مواتية داخلية وخارجية تدعم التحول الديمقراطي في القارة السمراء وهو التحول الذي لا يمكن للصحافة المستقلة الحياة والازدهار بدون اكتماله.

القسم الثانى

المبحث السادس

صورة أفريقيا فى الإعلام المصرى (*) إشكاليات وتساؤلات

* أجريت الدراسة: أ.د. عواطف عبد الرحمن - أستاذة الصحافة والإعلام بكلية الإعلام جامعة القاهرة

مقدمة:

لقد شهدت العقود الأخيرة ظهور عدة تيارات ورؤى نقدية عن دور الإعلام والاتصال في مجتمع المعلومات إذ أصبح يشغل موقعاً مركزياً في الاستراتيجيات والسياسات التي تستهدف إعادة بناء المجتمعات فضلاً عن أدواره الحاسمة في تدويل أو عولمة الاقتصاد والثقافة من خلال الإسهام في تشكيل منظومة العلاقات الدولية سواء على المستوى الرسمي بين الحكومات والأنظمة أو المستوى الحضاري بين الثقافات المختلفة. ولعل أخطر هذه الأدوار ما يقوم به الإعلام في تشكيل أنماط معينة من السلوك الإنساني وتهميش أنماط أخرى من خلال لغة الصورة ورموزها وفي إطار هذا السياق تبرز أهمية إلقاء الضوء على الأدوار التي يقوم بها الإعلام المصري سواء في تشكيل الصورة الذهنية عن إفريقيا لدى الرأي العام أو تحقيق التواصل الثقافي ودعم التعاون الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بين النظامين الإقليميين العربي والإفريقي.

وهناك حقيقة محورية كشفت عنها وأكدها الدراسات التي أجريت عن اتجاهات الإعلام المصري ومستوى استجابته وتفاعله مع القارة الإفريقية والتحديات التي تواجه شعوبها مضافاً إليها الخبرة المتراكمة عن المشاركة في المؤتمرات ومتابعة الأنشطة الأكاديمية والإعلامية التي قامت بها منظمة الوحدة الإفريقية ومجلس التعليم الإعلامي الإفريقي. تشير هذه الحقيقة إلى أن اهتمام الإعلام المصري بالقارة الإفريقية يتوأكب صعوداً وهبوطاً مع اهتمام ومواقف القيادة السياسية الحاكمة إذ يتحدد موقع أفريقيا على أجندة هذه القيادة وصناع القرار التنفيذيين في مصر في ضوء الرؤية الاستراتيجية والتحالفات السياسية والمصالح السياسية والمصالح الاقتصادية الإقليمية والدولية - وتفصيلاً لذلك نرصد ما يلي:-

أولاً: لقد تصاعد الاهتمام الإعلامي المصري في حقبة الستينيات مصاحباً ومتوأكباً مع المد التحرري في كل أنحاء أفريقيا وعلاقات التضامن الواعي بين زعماء التحرر الوطني في هذه المرحلة والذي تجسد فيما عرف بمجموعة الدار البيضاء (عبد الناصر - نكروما - سيكوتوري - موديبوكينا) عام ١٩٦١ وقد شهدت هذه الحقبة اهتماماً إعلامياً مكثفاً بالشئون الإفريقية تمثل في الكتابات الصحفية التي شملت

التغطية الإخبارية والتحقيقات والأحاديث الصحفية والتعليقات وكتاب الأعمدة كما اهتمت الصحف المصرية آنذاك بتكوين كوادر متخصصة في الشؤون الأفريقية وبدأت في تلك الفترة الإذاعات الموجهة إلى أفريقيا في بث برامجها من القاهرة. وقد لعب الإعلام المصري دوراً تاريخياً بارزاً في مساندة حركات التحرر الأفريقية سواء من خلال الإعلام المقروء أى الكتابة عن القضايا السياسية والثقافية الأفريقية أو البرامج الإذاعية الموجهة إلى الشعوب الإفريقية.

ثانياً: شهدت حقبة السبعينيات انحساراً تزايد حتى بلغ ذروته في الثمانينيات والتسعينيات حتى بتنا لا نجد متخصصين إعلاميين في الشؤون الأفريقية في معظم الصحف المصرية كما انحصر الاهتمام في الإعلام المسموع والمرئى بالقضايا الأفريقية في التغطية الإخبارية لإحداث القارة خصوصاً ما يتعلق بالكوارث والمجاعات ومشاكل الحدود والانقلابات العسكرية وتراجعت الكتابات الجادة والتحليلات العميقة عن قضايا التنمية وسائر القضايا الثقافية والإنسانية في القارة الأفريقية وذلك باستثناء صحيفة الأهرام التي كان لها السبق في حقبة الستينيات في تخصيص قسم للشؤون الأفريقية ثم استعادت اهتمامها في التسعينيات بتعيين مراسلين دائمين لها في جنوب أفريقيا. وللأسف أغلقت مكتبها في العام الماضي دون أسباب معلنة.

ثالثاً: اقتصر تراث الاهتمام الإعلامى بأفريقيا خلال حقبتى الثمانينيات والتسعينيات على تغطية العلاقات الرسمية مثل زيارات الرؤساء والحكام الأفارقة والاتفاقيات الحكومية واجتماعات منظمة الوحدة الأفريقية وتوارت المجالات الأخرى سواء الثقافة والفن أو الإبداعات الأفريقية وقضايا البيئة وحقوق الإنسان الإفريقي عن أنظار الإعلاميين المصريين. ومما يجدر ذكره أن الأحداث الخطيرة التي شهدتها القارة خلال التسعينيات مثل انهيار الصومال ومذابح رواندا وبوروندى لم تلق العناية الإعلامية الواجبة فلم نسمع أو نقرأ عن وجود صحفيين أو إعلاميين مصريين بمواقع الأحداث التي تدخل ضمن الدائرة الإقليمية الأولى للأمن القومى المصرى.

رابعاً: يفتقد الإعلام المصرى وجود كتاب وإعلاميين مهتمين بالثقافات والحضارات الأفريقية ولذلك نادراً ما نجد أى تغطية إعلامية للأنشطة الثقافية والبيئية بالقارة رغم تنوعها وتعددتها فقد جاء الاهتمام الإعلامى بالجوانب السياسية على حساب الجوانب الثقافية تماماً.

خامساً: تشير نتائج الدراسات العديدة التى أجريت عن صورة إفريقيا فى الإعلام المصرى إلى تراجع موقع القارة وقضاياها السياسية والاقتصادية على أجندة وأولويات الإعلام المصرى فقد أوضحت هذه الدراسات ضآلة حجم الاهتمام الإعلامى سواء ما يتعلق بالتغطية الإخبارية للأحداث الأفريقية أو مواد الرأى ويلاحظ بصفة عامة غلبة الطابع السلبي على المعالجات الإعلامية للقضايا والأحداث التى تقع بالقارة وغياب التحليلات الموثقة بالمعلومات. وإجمالاً يتسم الخطاب الإعلامى المصرى عن الدول الأفريقية بالآنية والظرفية والاقتصار على الأحداث السياسية المتفجرة مثل الحروب والصراعات الأهلية والمجاعات.

وتتم التغطية الإعلامية عبر وكالات الأنباء الغربية والمحطات التليفزيونية العالمية المعروفة بتحيزاتها وعدم موضوعيتها تجاه القارة الأفريقية وشعوبها.

سادساً: كما لوحظ أن بعض الكتابات الصحفية تتسم بروح التعالى وذلك بالحديث عن ريادة الإعلام والثقافة المصرية فى القارة فضلاً عن استخدام بعض النقاد الرياضيين صفات غير لائقة تتم عن الجهل وسوء التقدير وعدم الإلمام بالتاريخ الحضارى والثقافى للقارة الأفريقية مما يثير ردود أفعال عدائية وسلبية لدى الأفارقة وفى السينما والمسلسلات التليفزيونية وفى بعض الأعمال الدرامية القليلة التى اعتمدت على الخلفية الإفريقية لوحظ غلبة الجهل وسوء الفهم والاستخفاف والتركيز على الفقر والامية لدى الشعوب الأفريقية وتجاهل التراث الثقافى والحضارى الثرى الذى تتميز به المجتمعات الأفريقية.

ولعل أخطر ما يهدد مصداقية وموضوعية الصورة التى يروجها الإعلام المصرى عن أفريقيا يكمن فى اعتماد وسائل الإعلام المصرية المقروءة والمرئية والمسموعة على وكالات الأنباء الغربية وشركات التليفزيون العالمية ويعزى ذلك إلى عدم وجود مراسلين سواء للصحف أو الفضائيات المصرية باستثناء جريدة

الأهرام التي ظلت محتفظة بمكتبها في جنوب أفريقيا ثم قررت إغلاقه في الفترة الأخيرة دون أسباب معلنة.

سابعاً: رغم عضوية مصر في بعض مؤسسات العمل الإعلامي الجماعي على مستوى القارة مثل مجلس الإعلام الأفريقي وإتحاد الإذاعات الأفريقية لوحظ ضالة المردود الثقافي والإعلامي لنشاط المكاتب الإعلامية التي تمثل الهيئة العامة للاستعلامات إذا نادراً ما كنا نجني ثمار الجهد المفترض أن تقوم به لتصحيح صورة إفريقيا لدى المواطن المصري من خلال تنظيم معارض إعلامية أو ندوات ثقافية مشتركة مع الأفارقة.

ومما يجدر ذكره أن الحزب الحاكم شدد في ورقة (مصر والعالم ٢٠٠٣) على ضرورة أن تحتل أفريقيا أولوية متقدمة في السياسة المصرية لأنها تمثل العمق الأمني والاستراتيجي خصوصاً ما يتعلق بدول حوض النيل والقرن الإفريقي وقد تميزت هذه الورقة بدقة التشخيص والتوصيف الواعي للعلاقات المصرية الأفريقية والتحديات التي تواجه هذه العلاقات في المجالات الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية والثقافية. ومن أبرز التحديات التي أشارت إليها الورقة شيوع العلاقات المغلوطة والمشبوهة المتبادلة على الجانبين المصري من ناحية والإفريقي من الناحية الأخرى الأمر الذي يدعو إلى إيلاء المزيد من العناية لتصحيح هذه الصورة من خلال تزويد كل من المناهج الدراسية ووسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة بجولات معلوماتية إضافية وشاملة عن القارة وحضاراتها ونضال شعوبها من أجل النهوض والتحرر.

وإذا كان هذا الاهتمام من جانب الحزب الحاكم قد رفع إيقاع التفاوض لدى المهتمين بالشئون الأفريقية إلا أن الفاصل النهائي في هذه القضية المحورية كان ولا يزال يرتفع بضرورة اقتران القول بالفعل واعنى بهذا ضرورة حشد كل الجهود على المستويين السياسي والثقافي لتحقيق التواصل بين مصر وقارتها بصورة جادة.

ولكن من المثير للدهشة أنه وفي الوقت الذي أبدت فيه القيادة السياسية للحزب الحاكم هذا الاهتمام بقضية العلاقات المصرية الأفريقية فوجئنا بأن الرئيس السابق للهيئة العامة للاستعلامات قد قرر إغلاق المكاتب الإعلامية في كل من كينيا والسنغال وتخفيض مكتب السودان وبذلك لم يبق سوى ثلاثة مكاتب إعلامية في أفريقيا تشمل

جنوب أفريقيا وأثيوبيا ونيجيريا علاوة على دول الشمال الإفريقي (تونس - الجزائر - المغرب) والتي تدخل ضمن الدائرة العربية. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أصدر وزير الإعلام قراره التاريخي بإلغاء الإذاعات الموجهة إلى أفريقيا.

موقف الرأي العام:

كشفت الدراسات عن الصورة السلبية السائدة لدى الرأي العام المصري عن أفريقيا والتي نتجت عن الظروف السيئة التي تسيطر على حياة الأفارقة وتتمثل في عدم الاستقرار السياسي والعوز الاقتصادي والتدهور الأخلاقي والبؤس الإنساني ويعزى ذلك إلى أن معظم قطاعات الرأي العام المصري يستقون آراءهم وانطباعاتهم عن أفريقيا من خلال وسائل الإعلام والتي تعتمد على المصادر الغربية المعروفة بتحيزها ضد أفريقيا أما النخب المثقفة التي تتيح لها ظروفها ومواقعها الوظيفية إمكانية التعرف على الصورة الحقيقية لأفريقيا فهي أيضاً لا تهتم إلا بالإطار العام الذي يتمحور حول الأوضاع السياسية ويتجاهل الجوانب الأخرى التي لا تخلو من إيجابيات كثيرة في الثقافة والفلسفة والفن والشعر ومنظومة القيم الاجتماعية والأدب والبحث العلمي. هنا أود أن أشير إلى أن صورة مصر والمواطن المصري في الإعلام الإفريقي أفضل كثيراً من صورة أفريقيا في الإعلام المصري وذلك استناداً إلى الدور الرائد الذي قامت به مصر في مساندة حركات التحرر الأفريقية خلال الحقبة الناصرية فضلاً عن اهتمام العديد من الدول الأفريقية بالحضارة المصرية القديمة والإنجازات المعاصرة في مجال العلم والثقافة المصرية ويرنو معظم الشباب الإفريقي سواء في مناطق الانجلوفون أو الفرنكوفون إلى زيارة مصر والتعرف على منجزاتها الحضارية وشعبها المتميز والاقتراب من علمائها والتفاعل مع مفكرها ومبدعيها وتؤكد ذلك بعض الدراسات القليلة التي أجريت عن صورة مصر في الإعلام الإفريقي والتي تناولت الإعلام الفرنكوفوني في الكاميرون والسنغال والإعلام الإفريقي الناطق بالإنجليزية في كينيا وزيمبابوي ونيجيريا وجنوب أفريقيا وناميبيا.

وفي النهاية نخلص إلى التأكيد على ضرورة إعداد استراتيجية مصرية تشمل السياسات والخطط والبرامج التنفيذية للتفاعل والتواصل مع الدول الأفريقية وأعلى بذلك الاهتمام بتعيين مراسلين للصحف والإعلام المرئى والمسموع وتطوير أداء

المكاتب الإعلامية والثقافية ومضاعفة إعدادها بحيث يشعر الرأى العام المصرى والإفريقى بمردود إيجابى للجهد الوظيفى الذى تقوم به هذه المكاتب وهنا نشير إلى ضرورة الاهتمام بتتقيف وتأهيل الكوادر الدبلوماسية والإعلامية والثقافية العاملة فى أفريقيا فضلاً عن أهمية تشجيع الجمعيات الأهلية التى تعمل فى مجال حقوق الإنسان والمرأة والشباب على مد جسور التواصل إلى الجمعيات المماثلة المنتشرة فى القارة وهنا لا يمكن إغفال الدور الذى قامت به الجمعية الأفريقية التى قامت بدور تاريخى فذ فى مساندة استقلال معظم الدول الافريقية ولا تزال تواصل دورها التنويرى فى نشر الوعى بالقضايا الإفريقية.

المبحث السابع

صورة أفريقيا في وسائل الإعلام المصرية ولدى الشباب الجامعي (*) دراسة مسحية

* أجرت الدراسة: أ.د. ليلى حسين السيد - كلية الآداب قسم الإعلام - جامعة حلوان.

مقدمة:

تؤكد الحقائق والظروف الراهنة أهمية أفريقيا بالنسبة للعرب، حيث أن نسبة ٧٢% من مساحة الوطن العربي تقع في القارة الأفريقية، وتوجد بها عشر دول عربية أعضاء في جامعة الدول العربية إضافة إلى أن نصف سكان أفريقيا من المسلمين المتأثرين بالثقافة العربية، علاوة على ذلك كله فإنها تمثل قوة كبيرة عند التصويت في المجتمع الدولي بفضل عدد دولها الكبير، كل ذلك يجعل من طبيعة الأمر التأكيد على أهمية أفريقيا في الحاضر والمستقبل.

وتعد الصورة الذهنية أو الصورة الذاتية عن الآخر إحدى أهم القضايا التي عنت بها الأوساط الأكاديمية فأفردت لها عشرات الدراسات التي تناولت صورة دول وشعوب معينة لدى الآخرين، بالإضافة إلى عشرات الدراسات التي بحثت في صورة الدولة والشعوب كما تعكسها وسائل الإعلام المختلفة من صحافة ورايو وتلفزيون.^(١)

وقد اختلفت صورة أفريقيا لدى الباحثين والمفكرين العرب الذين يمكن تقسيمهم إلى فريقين، يرى الأول منهما أن صورة أفريقيا صورة سلبية ومشوهة وينقسم أصحاب هذا الرأي إلى قسمين أولهما يرى أن الصورة سلبية في مجملها عبر الامتداد التاريخي للتراث العربي.^(٢) وثانيهما يرى أن صورة أفريقيا سلبية في جانب من أجزائها مثل الجانب العنصري في نظرة الإنسان العربي إلى الأفريقي الأسود وإنها لا تخلو من نظرة العنصرية في أغلبها. أما أصحاب الفريق الثاني فيرون أن الصورة الخاصة بكل من أفريقيا والعرب مشوهة وسلبية، حيث يرى أصحاب هذا الفريق أن صورة الإنسان الأفريقي في ذهن العربي وصورة الإنسان العربي في ذهن الأفريقي

(١) الخضر بن عبد الباقي محمد (٢٠٠٢). الصورة الذهنية لأفريقيا والأفارقة عند العرب. "دراسة مسحية لعينة من الجاليات العربية في القاهرة". رسالة ماجستير غير منشورة. (جامعة الدول العربية - معهد البحوث والدراسات العربية. قسم الدراسات الإعلامية، ص ٢-١٠).

(٢) حلمي شعراوي (١٩٩٩) صورة الأفريقي لدى المتقف العربي - محاولة تخطيطية لدراسة ثنائية قبول / استبعاد صورة الآخر ناظرًا ومنظورًا إليه، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ط ١) ص ٢٢٩-٢٣٩.

صورتان مشوهتان.^(١) فعلى الرغم من قلة المعلومات المتوفرة عن الدول الأفريقية وصغر حجمها إلا أن وسائل الإعلام الغربية ووكالات الأنباء العالمية الكبرى لا تنقل عنها إلا المظاهر السلبية والاضطرابات والكوارث، ومعظم الصور التي تقدمها مشوهة ومتحيزة وغالباً ما تحمل معاني الاستعلاء والتفرقة العنصرية مما أثر في الشخصية المعنوية للقارة الأفريقية وشعوبها في أذهان الآخرين.^(٢) وبالطبع فإن وسائل الإعلام العربية - ومن بينها المصرية - عانت ولا تزال تعاني من سلبيات تلك الأفكار الخاطئة والشائعة عن القارة الأفريقية. ويطالب أصحاب هذا الفريق وسائل الإعلام العربية والأفريقية بضرورة التحرك لشرح الارتباط المصيري بين الطرفين بموضوعية وإسهاب لإزالة التزييف والتشويه لدى بعضهم البعض.^(٣)

مشكلة البحث وأهميتها:

تعد وسائل الإعلام الجماهيرية مصادر ذات تأثير كبير في عملية تكوين ورسم الصورة الذهنية من خلال ما تقدمه من مواد إعلامية متنوعة. ويمارس التلفزيون دوراً رئيسياً في هذه العملية يفوق وسائل الإعلام الأخرى وذلك لطبيعته وخصائصه وقدرته على أن يصنع القرار ويضعه في قالب خاص يسهل فهمه، وقد أكدت نتائج العديد من الدراسات والبحوث في مجال علوم الاتصال أن التلفزيون يستطيع أن يضيف أبعاداً أخرى على الصورة الذهنية مما قد لا يتوافر لوسائل الإعلام الأخرى.^(٤)

ورغم ذلك فوسائل الإعلام الجماهيرية - خاصة الصحافة والتلفزيون - تستطيع التأثير على الصورة المترسخة في الأذهان ويمكن تحديد تأثير وسائل الإعلام الجماهيرية على طبيعة التصورات الذهنية في العديد من الاحتمالات.

(أ) أن تبقى الصورة كما هي دون أن تتأثر بالرسالة الإعلامية.

(ب) أن يحدث تغيير أساسي للصورة بشكل جذري.

(١) الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ٤٧-٤٨.

(٢) Ovi, Cyril. (2000) Globalised Images of Environmental Security in Africa, *Review of African Political Economy* (Vol. 27, No. 83, March) pp. 46-54.

(٣) الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ٤٨.

(٤) Newhagen, John E. (1993) Effects of Compelling Negative Television News Images on Memory. *Journal of Communication*. (Vol. 42, No. 2, Spring) p. 25.

(ج) أن يدعم ويقوى الصورة الموجودة وذلك عندما ينتقى المستقبل ما يتفق مع ما لديه من صور ومعتقدات.

(د) أن يضيف جوانب جديدة إلى الصورة القائمة.

(هـ) أن يرسخ التأثير الصورة القائمة ويؤكد صحتها.^(١)

وبناء على ذلك تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على الصورة الإعلامية التي تقدمها وسائل الإعلام المصرية (صحيفة الأهرام اليومية - النشرة الرئيسية بالقناة الأولى بالتلفزيون المصري) عن أفريقيا غير العربية، كما تسعى أيضاً إلى التعرف على الصورة الذهنية لأفريقيا غير العربية لدى الشباب الجامعي.

وتتبع أهمية المشكلة مما يأتي:

- ١- تزايد الأهمية السياسية والإستراتيجية للدول الأفريقية في الآونة الأخيرة.
- ٢- أن مجال دراسة الصورة الخاصة بأفريقيا غير العربية لا يزال جديداً في مجال علوم الاتصال.
- ٣- لمعرفة الصورة الذهنية لأفريقيا غير العربية لدى شباب الجامعات المصرية.
- ٤- لمعرفة الصورة الإعلامية التي تعكسها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية.
- ٥- للتعرف على حجم المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية - ونوعية هذه المعلومات - ومصادرها - وهويتها - وأهم القضايا التي تطرحها.

الإطار النظري لموضوع البحث:

تستمد هذه الدراسة إطارها النظري من نظرية التوقعات الاجتماعية Social Expectations، حيث تعد وسائل الاتصال الجماهيرية مصدراً مهماً للتوقعات الاجتماعية النموذجية حول التنظيم الاجتماعي لجماعات معينة في المجتمع الحديث.

(١) الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص ٢٧-٢٨.

وبمعنى آخر فإن مضمون وسائل الإعلام يصف المعايير والأدوار والرتب والعقوبات لكل أنواع الجماعات المعروفة في الحياة الاجتماعية المعاصرة تقريباً.^(١)

هذا وهناك العديد من المصادر التي يمكن للفرد أن يكتسب منها معرفته بالتوقعات الاجتماعية والمعايير والقواعد السائدة. فالأفراد يتعلمون من أسرهم، ومن جماعات الرفاق، ومن المدارس، ومن المجتمع عموماً، إلا أنه في المجتمع الحديث هناك مصدراً آخر يمكن للفرد أن يستقى منه مقداراً ضخماً من المعلومات حول التوقعات الاجتماعية المتوقعة من الأفراد الذين يمثلون أعضاء لأنواع متنوعة من الجماعات، ألا وهو وسائل الإعلام.^(٢)

ويمكن تلخيص الفكرة الأساسية لنظرية التوقعات الاجتماعية فيما يلي:

١- إن نماذج التنظيم الاجتماعي التي تظهر على شكل: معايير، وأدوار، ورتب وعقوبات أو مكافآت تتعلق بجماعات معينة، ويتم غالباً تصويرها في المضمون الإعلامي.

٢- قد يكون هذا التصوير الإعلامي لنماذج التنظيم الاجتماعي حقيقياً أو مشوهاً.

٣- مهما كانت علاقة هذه الصور بالحقيقة والواقع، فإن جماهير المستقبلين يستوعبون هذه التحديدات، وتصبح هذه الصور هي مجموعة التوقعات الاجتماعية التي تعلموها كنماذج للسلوك.

٤- تعتبر هذه التوقعات جزءاً مهماً من فهم الناس المسبق للسلوك المطلوب أن يتبعه المشاركون في الجماعات التي سوف يصبحون أعضاء فيها.

٥- تعتبر هذه النماذج الإعلامية جزءاً مهماً من معلومات الجماهير عن النظام الاجتماعي السائد.^(٣)

(١) حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد (٢٠٠٢). *الاتصال ونظرياته المعاصرة* (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط ٢) ص ١٦٠.

(٢) De Fleur, Melvin L. & Dennis, Everette E. (1996). *Understanding Mass Communication, A Liberal Arts Perspective*. 2ed Ed., U.S.A, Boston, Houghton Mifflin Company, p. 590.

(٣) حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ١٦١.

مما سبق يتضح لنا أن هذه النظرية تشرح كيف يمكن اكتساب تلك المعرفة من المعايير والأدوار والتنظيمات الاجتماعية بواسطة التعلم العرضى من خلال التعرض للصور الإعلامية التى تتناول مظاهر الحياة الاجتماعية لتأثيرات وسائل الإعلام والتى يمكن إجمال فروضها فى النقاط التالية:

١- أن هناك أنواع متعددة من المضمون المقدم من خلال وسائل الإعلام كثيراً ما يصور الأنشطة الاجتماعية والحياة بالجماعة.

٢- تلك الصور التى تمثل الواقع تعكس على نحو دقيق أو ردى الطبيعة الاجتماعية لأنواع متعددة من الجماعات بالمجتمع.

٣- إن الأفراد الذين يتعرضون لتلك الصور يؤمنون بصحتها فيما يتعلق بالمعايير والوظائف والتنظيمات الاجتماعية السائدة.

٤- خبرة التعرض لصور من أنواع محددة بالجماعة تكون ناتجة من التعلم العرضى لأنماط من السلوك الذى يكون متوقعاً من قبل الآخرين عندما يعملون أو ينضمون إلى مثل تلك الجماعة.

٥- وبالتالى فإن تلك التوقعات المتعلمة بخصوص السلوك الملائم تفيد الفرد كمرشد عندما يصادف مثل تلك المواقف أو يحاول فهم مثل تلك الجماعات فى الحياة الواقعية. ويجب أن نشير هنا إلى أن تلك الصور الإعلامية للحياة الاجتماعية ربما تكون خادعة أو مضللة ومتناقضة إلا أنها غالباً ما تقدم لجماهيرها معلومات حول المتطلبات الخاصة بالعديد من الجماعات المتنوعة.^(١)

وتقدم نظرية التوقعات الاجتماعية تفسيراً للسلوك الاجتماعى حيث تعتمد على ما يلى:

١- تقوم وسائل الإعلام بنقل المعلومات المتعلقة بقواعد السلوك الاجتماعى التى يتذكرها عضو الجماعة.

٢- تؤثر هذه العملية بشكل واضح فى السلوك العلنى لأفراد الجماعة.

^(١) De Fleur, Melvin L. & Dennis, Everette E. (1996). Op.cit., pp. 599-591.

وبذلك تقدم نظرية التوقعات الاجتماعية تفسيراً للمؤثرات بعيدة المدى وغير المباشرة التي يحققها التعرض لوسائل الإعلام، فهي تنظر إلى وسائل الإعلام كعامل مساعد للتعلم (غير متعمد وغير مخطط له مسبقاً). وتسعى النظرية إلى إثبات أن الأفراد يستخدمون وسائل الاتصال الجماهيري كمصادر لتوجيه سلوكهم بما يساعدهم على التكيف مع العالم المعقد الذي يعيشون فيه، سواء حدث ذلك عن قصد أم عن غير قصد.^(١)

المصطلحات المتعددة للصورة:

هناك ثلاثة أنواع من الصور تهتم بها هذه الدراسة وهي:

١- الصورة الذهنية Image

٢- الصورة الإعلامية Media portrayal

٣- الصورة النمطية Stereotype

أولاً: الصورة الذهنية:

تعني كلمة Image في أصل معناها Replica أى صورة منقولة طبق الأصل، إلا أنها لا تعني مجرد محاكاة وتقليد، لكنها أجزاء متفرقة من الذاكرة ومن إعادة بناء وتفسير رموز لأشياء ومشاعر وأفكار.^(٢)

ولقد تعددت التعريفات التي تناولت الصورة الذهنية، فقد تناولها "والتر ليبمان" في كتابه الشهير الرأي العام (١٩٩٢) عندما أشار إلى أن الفرد يتعلم الرؤية بعقله عن العالم الذي لم يراه أو يلمسه أو يشمه أو يتذكره، وبالتالي فإنه تدريجياً يصنع لنفسه صورة جديدة بالثقة داخل عقله للعالم الذي لم يحتك به.^(٣) وهذه الرؤية تختلف من فرد

^(١) ملفين ل. ديفلير وساندرا بول روكيتش (١٩٩٣). *نظريات وسائل الإعلام*، ترجمة كمال عبد الرؤوف (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع - ط١) ص ٣٠٦-٣١٧.

^(٢) ثريا أحمد البدوي (١٩٩٥). دور الاتصال في تكوين الصورة الذهنية لدى الشعب المصري عن الأوربيين - دراسة ميدانية على عينة من الشعب المصري. رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الإعلام - جامعة القاهرة) ص ٧٣.

^(٣) Hamada, Basyouni I. (2000). Arab Image in the Minds of Western Image - Makers. *Egyptian Journal of Public Opinion Research*, (Vol. 1, No. 3, July - Sep.) p. 9.

لآخر، لأن خبرة كل فرد لا تتشابه مع خبرات الآخرين، ومن ثم فإن كل فرد يشرح ويفسر خبرته في ضوء تجاربه الماضية وخبراته التي يظل يكتسبها بامتداد حياته.^(١)

ويعرف قاموس "ويبستر" Webster الصورة الذهنية بأنها: "تصور عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة نحو شخص أو شيء بعينه.^(٢) وهي أيضاً بنية إجتماعية تنتج عن التأثير التراكمي لعمليات الاتصال الفعالة والمستمرة في المجتمع، لذا فإنها تعد إحدى الخبرات المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد.^(٣)

كما تُعرف الصورة الذهنية بأنها: "النتاج النهائي للانطباعات الذاتية التي تتكون عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين أو نظام ما أو شعب معين أو منشأة أو مؤسسة أو منظمة محلية أو دولية أو مهنة معينة أو أي شيء آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان، وتتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة.^(٤) كما يتم تعريفها بأنها الانطباع الذي يكونه الفرد عن الأشياء المحيطة به متأثراً بالمعلومات المخزنة عنها، وفهمه لها، وبذلك فإن الصورة الذهنية هي نتاج تفاعل عناصر المعرفة والإدراك.^(٥) إلا أن الإدراك الحسي هو إدراك شيء موجود بالفعل عن طريق الحواس، بينما التصور الذهني هو استحضار هذا الشيء نفسه إلى الذهن.^(٦)

سمات وخصائص الصورة الذهنية:

تتميز الصورة الذهنية بمجموعة من السمات والخصائص يمكن إجمالها فيما يلي:

١- إنها ليست مجرد محاكاة ولكنها إطار للذاكرة وعملية بناء تصورات.

(١) ثريا أحمد البدوي (١٩٩٥). مرجع سابق، ص ٧٤.

(٢) عبد القادر طاش (١٩٨٩). الصورة النمطية للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي. (الرياض: شركة الدائرة للإعلام المحدود - ط١) ص ٢٠.

(٣) نائلة إبراهيم عمارة (٢٠٠٠). تعرض المراقبين وكبار السن للتلفزيون المصري وعلاقته بتقدير الذات وتشكيل الصورة المتبادلة بينهما - دراسة مسحية مقارنة. المجلة المصرية لبحوث الرأي العام. (كليه الإعلام - جامعة القاهرة - العدد الأول، يناير / مارس) ص ١٢٠.

(٤) على عوجة (١٩٩٩). العلاقات العامة والصورة الذهنية (القاهرة: عالم الكتب) ص ١٠.

(٥) محمد عبد الحميد (١٩٩٣). دراسة الجمهور في بحوث الإعلام (القاهرة: عالم الكتب) ص ١٠٢.

(٦) محمود فهمي (بدون تاريخ). الصوت والصورة (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية) ص ١٤٤.

- ٢- إنها تتسم بالوضوح والغموض، والحقيقة وعدم الحقيقة.
- ٣- إنها تتسم بالعمومية والخصوصية وفقاً لمدى مشاركة الآخرين في هذه الصورة، أي أنها شئ خاص بالفرد وحده. حيث يلجأ الجمهور إلى التعميم فيما يكون من صور ذهنية عن الواقع الإجتماعي، ولا يركز بالضرورة على تفاصيل هذه الصور لدرجة قد يصل فيها التعميم إلى التبسيط المخل.
- ٤- الوعي واللوعي، فنحن لا نستطيع إدراك كل أجزاء الصورة في نفس الوقت وبنفس درجة الكثافة.
- ٥- إنها تعد مُحصلة لكل خبرات الفرد السابقة.
- ٦- إنها تتسم بالمرونة والتفاعل المستمر، فتتطور وتنمو وتتسع وتقبل التغيير طوال الحياة.^(١)
- ٧- إنها نتاج تفاعل عناصر المعرفة والإدراك، كما أن السياق الإجتماعي والتاريخي يؤثر في تشكيل الصور الذهنية المختلفة.^(٢)

ثانياً: الصور الإعلامية:

يشير هذا المصطلح إلى الصورة التي تبثها وسائل الإعلام الجماهيرية عبر مضامينها المختلفة، والتي تُعبر عن زاوية تناول تلك الوسائل للموضوعات المتعددة والمتنوعة التي تزخر بها الحياة، وبحيث تُضفي كل وسيلة من وسائل الإعلام على تلك الصور خصائصها المميزة لها مما يجعل تلك الوسائل تؤثر تأثيراً متبايناً في الجماهير المختلفة.

ويرى البعض أن قدرة الصورة التليفزيونية على الانطباع في الذهن وعلى ثباتها فيه وتأثيرها المستمر على الفرد تفوق قدرة الصورة الفوتوغرافية والصورة السينمائية، حيث أن التليفزيون يضيف بعض الخصائص الاتصالية والنفسية التي تجعل منه مغزاً أكثر في استغلال حاستي النظر والسمع وتأثيرهما في الذاكرة.^(٣)

(١) ثريا أحمد البدوي (١٩٩٥). مرجع سابق، ص ٧٧، ص ١٥١.

(٢) Kuhn, Annette. (1999). The Power of The Image in Paul Marris & Sue Thornham (eds). *Media Studies: A Reader*, 2nd Ed. Edinburgh University Press LTD, p. 65.

(٣) جان جبران كرم (١٩٨٨). *التليفزيون والأطفال* (لبنان: دار الجيل) ص ٩-١٠.

ثالثاً: الصور النمطية:

ترجع أهمية مصطلح الصورة النمطية Stereotype إلى أنه يمثل جزءاً كبيراً من حديثنا اليومي.^(١) ويعود استخدام هذا المصطلح إلى "ليمان" وذلك عندما قال: أن العالم ملئ بالتنوع والتناقضات.. ولذا فإنه يكون من المناسب أن نبني العالم على أساس نموذج أبسط قبل أن نتعامل معه، وبالتالي فإنه يكون من الأفضل أن ننمط الأفراد والجماعات بطريقة فيها حكم أولى، وإذا كانت هذه الأحكام الأولية والصور النمطية مريحة نسبياً إلا أنها بالتأكيد ينقصها الدقة. ومن ثم فهي تعميمات غير علمية ولا يمكن الاعتماد عليها في حكمنا على الأفراد أو الجماعات.^(٢)

لذا فقد وصف "ليمان" الصورة النمطية بأنها: صور ذهنية مُنظمة Organization Images، وانطباعات مُبسطة راسخة Fixed Simplified Impressions، وبأنها صور بارزة يتم اختيارها وتقريرها عموماً Salient Features Chosen to Stand for the Whole.^(٣) وعلى الرغم من أن الصور النمطية ليست دائماً محايدة Neutral، إلا أنها تصور حتمياً إلى حد أن تصوير الفرد أو الجماعة أو الشعب يبدو وكأنه حقيقة.^(٤) كما أن الصور النمطية غالباً ما تكون مُحملة ومثقلة بالمشاعر التي تكون مصاحبة لها.^(٥)

فالصورة النمطية هي ظاهرة عالمية Universal Phenomenon حيث أننا منذ طفولتنا ونحن لدينا أفكار عما يبدو عليه الأفراد في أجزاء أخرى من العالم، بل أن هناك اعتقاداً بأن الصور الذهنية Images والصور النمطية Stereotypes تمنح الأمان للأفراد^(٦) وإن كانت الصور الذهنية أعم وأشمل من الصور النمطية والتي تعد مرحلة لاحقة من مراحل تكوّن الصور الذهنية لدى الإنسان عن الأشخاص والأقوام والأشياء.^(٧)

(١) Jones, Marsha. & Jones, Emma. (1999). *Mass Media*. 1st ed., London: MacMillan Press LTD, p. 105.

(٢) عزيز حنا داود، وتحسين على حسين (بدون تاريخ). *علم تغيير الاتجاهات النفسية الاجتماعية*. (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية) ص ١٥-١٦.

(٣) Hamada, Basyouni I. (2000), Op.cit., p. 11.

(٤) Hamada, Basyouni I. (2000), Op.cit., p. 105.

(٥) Dyer, Richard. (1999) The Role of Stereotypes in Paul Marris & Sue Thornham (eds.) *Media Studies: A Reader*, 2nd ed, Edinburgh University Press LTD., p. 245.

(٦) Hamada, Basyouni I. (2000), Op.cit., pp. 10-11.

(٧) شعبان أبو اليزيد شمس (١٩٩٤). الصورة الذهنية لمصر في المجلات العربية - دراسة تحليلية. *مجلة كلية اللغة العربية* (القاهرة: جامعة الأزهر) ص ٣٦٨.

مما سبق يتضح لنا أن الصور الذهنية خاصة بالجمهور (الأفراد) والصور الإعلامية خاصة بوسائل الإعلام، في الوقت الذي تبقى فيه الصور النمطية توصيفاً لكليهما معاً.^(١)

الدراسات السابقة:

لاحظت الباحثة أن هناك العديد من الدراسات والبحوث الإعلامية التي اهتمت بموضوع الصورة والتي خصصت لها العديد من الدراسات والمؤتمرات العلمية. لذا فقد اقتصرت الباحثة على عرض بعض الدراسات ذات الصلة الوثيقة بموضوع بحثها حيث لا يتسع المجال لعرض نماذج لجميع الدراسات السابقة.

١ - دراسة Milfred (١٩٨٢) بعنوان "آراء الأمريكيين من السود والبيض تجاه جنوب أفريقيا"^(٢):

وقد طبقت الدراسة على عينة من الأمريكيين السود والبيض والذين ينتسبون لأصول أفريقية، لأخذ آرائهم حول قضية جنوب أفريقيا، والسياسة العنصرية قبل الاستقلال، ولمعرفة آرائهم حول السياسة الأمريكية تجاه نفس القضية. وقد طبقت بالولايات المتحدة، وأشارت أهم نتائجها إلى أن نسبة ٥١% من أفراد العينة ترى أن أفريقيا قارة التفرقة العنصرية ضد السود، بينما يرى ٣٩% أنها قارة المجاعة والفقر. كما أشارت النتائج إلى أن ٣٥% من العينة يرون أن الذين يعيشون في أفريقيا أشبه بالحيوانات في حين ترى نسبة قليلة ٩% أن أفريقيا قارة حافلة بالإمكانيات والموارد الطبيعية.

٢ - دراسة عواطف عبد الرحمن (١٩٨٣) بعنوان "أفريقيا والرأي العام العربي - دراسة تحليلية لاتجاهات الصحف العربية نحو أفريقيا"^(٣):

وتهدف الدراسة إلى التعرف على اتجاهات الرأي العام العربي تجاه القضايا الأفريقية من خلال تحليل مضمون مجموعة من الصحف والجرائد في البلاد العربية، وقد تضمنت عينة الدراسة صحيفتا الأهرام والأخبار من مصر، وصحف الوطن

(١) الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ١٥.

(٢) Fierce, Milfred C. (1982). "Black and White American Opinions Towards South Africa", *The Journal of Modern African Studies*. (Vol. 20, No. 4, Dec.) p. 669.

(٣) عواطف عبد الرحمن (١٩٨٣). *أفريقيا والرأي العام العربي - دراسة تحليلية لاتجاهات الصحف العربية نحو أفريقيا* (بيروت: معهد الإنماء العربي) ص ١٧٨-١٩٢.

والسياسة والقبس من الكويت، وجريدتا طريق الثورة وطريق الشعب من العراق. وقد ركزت الدراسة على تتبع مدى اهتمام تلك الصحف والجرائد بقضايا أفريقية معاصرة مثل الكونغو وأنجولا وإريتريا، وقضايا النظم العنصرية في جنوب أفريقيا، والعلاقات العربية الأفريقية. وقد أشارت أهم النتائج إلى أن بعض الصحف العربية تطرح رؤى متناقضة مع مواقف حكوماتها عن القضايا الأفريقية مثل الصحف العراقية وبعض الصحف المصرية. كما أشارت النتائج إلى أن معظم الصحف العربية لا تطرح رؤية موحدة إزاء قضايا النضال الأفريقية فهناك صحف متعاطفة ومؤيدة في حين تخالف هذا صحف أخرى وتتحو وجهة النظر الغربية. وأخيراً أشارت أهم النتائج إلى أن بعض الصحف العربية انحازت إلى وجهة نظر غربية في تحديد موقفها من قضايا النضال الأفريقي وقضية التعاون العربي الأفريقي مثل الصحف الكويتية (السياسة / القبس) وصحيفة الأخبار المصرية.

٣- دراسة راجية قنديل (١٩٩٠) بعنوان "أحداث العالم الثالث في التغطية الإسلامية الدولية"^(١):

وقد استهدفت الدراسة تحليل مضمون مجلة "تايم" الأمريكية الدولية للتعرف على حجم التغطية الإعلامية لأحداث العالم الثالث، ومعرفة عناصرها وملاحمها وتحديد اتجاهها، وقد أهتمت الدراسة في تحليلها على مضمون التغطية الإعلامية للأحداث التي وقعت في دول العالم الثالث خلال الأشهر الثلاثة الأولى من عام ١٩٩٠ في كل من أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا. وقد أشارت أهم النتائج إلى أنه سيطر على مضمون التغطية الإعلامية اتجاه سلبي حيث تتناول معظم أحداث التغطية أخبار الحوادث والجرائم والاضطرابات والفوضى وعدم الاستقرار وإبراز المظاهر السلبية كالعنف والفساد والرشوة. كما أشارت النتائج إلى قلة الحيز الذي شغلته دول العالم الثالث في التغطية الإعلامية، وما يتسم به مضمونها من إنخفاض في المستوى، وما يبرزه من العجز والتخلف والفشل، وأخيراً أشارت أهم النتائج إلى غياب دول كثيرة ومناطق كاملة من العالم الثالث عن التغطية الإعلامية وندرتها ظهور بعضها الآخر.

^(١) راجية أحمد قنديل (١٩٩٠). أحداث العالم الثالث في التغطية الإعلامية الدولية. مجلة بحوث الاتصال (كلية

٤- دراسة Festus Eribo (١٩٩٣) بعنوان "التغطية الصحفية لأخبار أفريقيا الصحراء في بعض الصحف السوفيتية خلال الفترة من ١٩٧٩-١٩٨٧"^(١):

وقد استهدفت الدراسة تحليل مضمون أربعة صحف سوفيتية هي Pravda, Izvestia Trud, Selskaya Zhizn لمعرفة أهم الموضوعات والقضايا التي حظيت باهتمام تلك الصحف، واتجاهاتها عن الدول الأفريقية جنوب الصحراء. وقد أشارت أهم النتائج إلى أن ٧٣% من مجموع تغطيات الصحف الأربع كان للدول الأفريقية المنحازة للإتحاد السوفيتي مقابل ٢٧% للدول غير المنحازة. كما أشارت أهم النتائج إلى أن الأخبار السياسية احتلت المقام الأول في التغطية الإخبارية للصحف الأربع، يليها أخبار الأزمات والاضطرابات والقتال، ثم أخبار التنمية، فالأخبار الثقافية.

٥- دراسة أشرف عبد المغيث (١٩٩٣) بعنوان "دور الإعلام في تكوين الصورة الذهنية للعالم الثالث لدى الشباب المصري"^(٢):

وقد استهدفت الدراسة التعرف على انطباعات الشباب المصري عن دول العالم الثالث، ومدى تأثرها بما تقدمه وسائل الإعلام، واعتمدت الدراسة على تحليل مضمون عينة من نشرات الأخبار بالتلفزيون المصري من خلال الأسبوع الصناعي لسدورتين إذاعيتين، بالإضافة إلى دراسة ميدانية لعينة عشوائية طبقية من كافة المستويات الاجتماعية لعدد ٤٠٠ مفردة من الشباب المصري. وقد أشارت أهم النتائج إلى أن صورة العالم الثالث قد اتسمت لدى أفراد العينة بصفات التخلف، والفقر، والتدهور الاقتصادي، والضعف والمجاعة، والجفاف. كما أشارت النتائج إلى وجود اختلاف بين دول العالم الثالث في التوصيف والسمات لدى عينة الدراسة، فالمجموعة العربية تتسم بصفات التفكك السياسي، والافتقار، والفرقة العنصرية، أما المجموعة الآسيوية فقد اتسمت بالتنمية والتقدم وأخيراً أمريكا الجنوبية والتي اتسمت بالتقدم في كرة القدم ثم التنمية. وأخيراً أشارت النتائج إلى ارتباط السمات الإيجابية في نشرات أخبار التلفزيون

^(١) Eribo, Festus. (1993). "Coverage of Africa South of the Sahara by Pravda, Izvestia, Trud, and Selskaya Zhizn, 1979-1987: A Content Analysis". *Journalism Quarterly*. (Vol. 70, No. 1, Spring) p. 51.

^(٢) أشرف عبد المغيث (١٩٩٣) دور الإعلام في تكوين الصورة الذهنية للعالم الثالث لدى الشباب المصري - دراسة تحليلية ميدانية. رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الإعلام - جامعة القاهرة) ص ٢٠٠-٢٢٠.

المصري بالمجموعة العربية في حين توزعت السمات السلبية على بقية المجموعات الثلاث الأفريقية والآسيوية وأمريكا الجنوبية.

٦- دراسة Keithn Kenney (١٩٩٤) بعنوان "صورة أفريقيا في المجلات الإخبارية"^(١):

وقد استهدفت الدراسة التعرف على صورة أفريقيا في المجلات الإخبارية الأمريكية وذلك من خلال تحليل مضمون عينة من المعلومات والبيانات الواردة في مجلتين أمريكيتين هما "The News Week" ومجلة "Emerge" خلال الفترة من ١٩٩٢-١٩٩٣، باعتبار أن مجلة The News Week الأسبوعية تمثل الوسيلة الإعلامية للأمريكيين البيض بينما يسيطر على المجلة الثانية Emerge مجموعة من السود. وقد أشارت أهم النتائج إلى أن مجلة The News Week قد ركزت على العنف، والانقلابات، والمجاعات في أفريقيا بينما اهتمت مجلة Emerge بالصورة الإيجابية لأفريقيا. كما أشارت النتائج إلى أن مجلة Emerge قد ركزت اهتمامها على القضايا الأفريقية بشكل عام، بينما ركزت The News Week اهتمامها الأكبر على قضية الصومال وجنوب أفريقيا.

٧- دراسة Sigelman & Tuch (١٩٩٧) بعنوان "الصورة النمطية للسود في أذهان البيض كما يتخيلها السود"^(٢):

وقد اعتمدت هذه الدراسة على نتائج الدراسة المسحية الرئيسية العامة والتي أجريت في الولايات المتحدة عام ١٩٩٠ لمعرفة الاتجاهات العرقية والصورة النمطية في مدركات البيض كما يتخيلها الأمريكيين السود والذين ينحدرون من أصول أفريقية. وقد أشارت أهم النتائج إلى أن الاتجاه العام لتخيلات الأمريكيين من أصول أفريقية عن الصورة النمطية التي يحملها البيض عنهم يغلب عليها بصفة عامة الطابع السلبي، حيث يرى ثلاثة أرباع أفراد العينة من الأمريكيين السود أن البيض يرونهم أقل التزاماً بالأخلاق والقيم والمبادئ، وأنهم أكثر الناس تعاطياً للمواد الكحولية والمخدرات، وأنهم

(١) (Kenney, Keithn. (1994). "The Image of Africa in News Magazines: is there a black per-spectives?" *Gazette* (Vol. 5) p. 85.

(٢) Sigelman, Lee & Tuch, Steven A. (1997). "Meta Stereotypes Black's Perceptions of White Stereotypes of Blacks" *Public Opinion Quarterly* (Vol. 61, No. 1 - Spring).

كسالى ولا يرغبون في العمل، وترى نسبة ٨٢% أن البيض يرونهم أكثر ارتكاباً للجرائم، وأنهم أقل ذكاء من البيض.

٨- دراسة Peter Rigby (١٩٩٧) بعنوان "صورة الأفارقة العنصرية (العرقية) ونهاية الانثروبولوجيا"^(١):

وقد تناولت هذه الدراسة مجموعة من الكتابات الغربية لمفكرين أمريكيين من البيض خاصة بالأفارقة وقضاياهم. وقد هاجم الباحث في الجزء الأول منها المفكرين الأمريكيين الذين اعتادوا في كتاباتهم على تصوير الأفارقة في صور أقل من الأوروبيين ومحاولاتهم تبرير ذلك بتفسيرات بيولوجية. وقد أشارت أهم نتائجها إلى أن الأيدولوجية الرأسمالية قامت في الأصل على التفرقة العرقية وتنطلق من النظريات الانثروبولوجية والتي تعتقد بوجود مركبات نقص في تكوين الإنسان الأفريقي. كما أشارت النتائج إلى أن الحوارات والنقاشات الدائرة حول مرض الإيدز وربطه بالقارة الأفريقية تعد مؤشراً سيئاً لنوايا الأمريكيين البيض تجاه القارة الأفريقية وسكانها لأنها تكرر سياسة التفرقة العنصرية.

٩- دراسة محمد عاشور (١٩٩٩) بعنوان "أفريقيا في المنظومة التاريخية المصرية: دراسة في دور التعليم في تشكيل الصورة الذهنية للقارة لدى الطلاب"^(٢):

وقد استهدفت الدراسة التعرف على حقيقة وضع القارة الأفريقية في المنظومة التعليمية المصرية من خلال مكوناتها الثلاثة وهي المقرر الدراسي، والمعلم، والطالب. وقد طبقت على عينة من الطلاب المصريين في مراحل تعليمية مختلفة، بالإضافة إلى عينة من الطلاب الأفارقة غير المصريين وقد استخدمت الدراسة منهج المسح الشامل لمضمون مقررات اللغة العربية والفلسفة والتاريخ والمنطق والجغرافيا. وقد أشارت

(١) Rigby, Petter. (1997). "African Images: Racism and the end of Anthropology" *Africa* (Vol. 67, No. 4) p. 667.

(٢) محمد عاشور (١٩٩٩). أفريقيا في المنظومة التاريخية المصرية - دراسة في دور التعليم في تشكيل الصورة الذهنية لدى الطلاب "ندوة أفريقيا في المقررات الدراسية المصرية" (معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة ١٥-١٦ مايو) ص ١٥٦-١٧٣.

أهم النتائج إلى أن منظومة التعليم المصرية ترسخ حقيقة الإسهام الحضاري المصري بشكل أكبر من بقية دول القارة. كما أشارت النتائج إلى أنه فيما يتعلق بالصورة الذهنية للقارة الأفريقية لدى الطلاب فقد أشار ٨٤% منهم أنها سلبية وبمواصفات مثل الضعف، والتخلف، والجفاف، كما اتسمت الصورة بالسلبية أيضاً في أذهان الطلاب الأفارقة غير المصريين وبمواصفات الفقر، والجفاف، والمجاعة، والحروب. كما جاءت الصورة سلبية لدى عينة الدراسة من المدرسين المصريين وبمواصفات الفقر، والمجاعات، والحروب، والصراعات، والتفرقة العنصرية.

١٠- دراسة Wadim Scureiner (٢٠٠٠) بعنوان "صورة الدول الأفريقية في وسائل إعلام جنوب أفريقيا ووسائل الإعلام الدولية"^(١):

وقد اعتمدت الدراسة على المقارنة بين التغطية الإعلامية لصحف جنوب أفريقيا عن دول القارة الأفريقية، والتغطية الإعلامية لبعض الدول الأوروبية مثل بريطانيا وألمانيا، وقد استغرقت فترة التحليل تسعة أشهر من يناير حتى سبتمبر ٢٠٠٠. وقد أشارت أهم النتائج إلى أنه على مستوى العالم جاءت الولايات المتحدة في مقدمة الدول التي استحوذت على التغطية الإخبارية للصحف، تليها دولة زيمبابوي ثم بريطانيا. أما على مستوى القارة الأفريقية فقد جاءت زيمبابوي في مقدمة الدول الأفريقية ثم نيجيريا وموزمبيق. كما أشارت النتائج إلى أن أخبار الجرائم والحوادث والكوارث والحروب الأهلية والجرائم السياسية جاءت في مقدمة الموضوعات والقضايا في التغطية الإعلامية في حين قلت أو ندرت الأخبار الإيجابية وأخبار التنمية.

١١- دراسة إبراهيم نصر الدين (٢٠٠٠) بعنوان "التعاون العربي الأفريقي - المدركات - السلوك - الامكانيات"^(٢):

واستهدفت الدراسة تحليل وتقييم الوضع الراهن للتعاون العربي الأفريقي بالتركيز على المدركات العربية عن أفريقيا، ودور تلك المدركات في الممارسات

^(١) Scureiner, Wadim N. (2000). The Image of African Countries in South African and Selected International Media. A Presented Paper to 12th African Council for Communication Education in Cairo - Egypt. 15-20, Oct.

^(٢) إبراهيم أحمد نصر الدين (٢٠٠٠) التعاون العربي الأفريقي - المدركات - السلوك - الامكانيات. مجلة آفاق أفريقية (القاهرة: الهيئة العامة للإستعلامات - الجزء الأول - العدد الثاني) ص ٢٩-٣٥.

السلوكية في الواقع العملي بمختلف أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في محاولة لتقديم تفسيرات علمية ومنطقية عن أسباب فتور العلاقات العربية الأفريقية، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وأشارت أهم النتائج إلى أن صورة العربي لدى الأفريقي صورة سلبية. فالعربي تاجر رقيق، وجشع، ولديه نزعات توسعية في أفريقيا. كما أشارت النتائج إلى أن صورة الأفريقي لدى العربي سلبية أيضاً وتتطوى على نظرة استعلائية. كذلك أكدت النتائج أن هذه الصورة السلبية من كل طرف عربي / أفريقي تجاه الآخر لا تزال راسخة في ذهن العربي والأفريقي حتى وقتنا هذا على الرغم من وجود بعض القضايا المشتركة. وأخيراً أشارت أهم النتائج إلى أن تلك الصور السلبية لدى الطرفين قد انعكست بشكل كبير على الممارسات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

١٢- دراسة نشوى الشلقاني (٢٠٠٠) بعنوان "دور قناة النيل الدولية في تشكيل صورة ذهنية عن مصر والمصريين لدى الأجانب المقيمين"^(١):

وقد استهدفت الدراسة التعرف على الدور الذي تقوم به قناة النيل الدولية في تشكيل صورة ذهنية عن مصر والمصريين لدى الأجانب المقيمين على أرض مصر. وقد اعتمدت الدراسة على عينة مكونة من ٢٠٣ مفردة شملت الجنسيات الأفريقية والآسيوية والأوروبية والأمريكية المقيمة في مصر، بالإضافة إلى تحليل مضمون عينة من البرامج المقدمة عن مصر في قناة النيل الدولية. وقد أشارت أهم النتائج إلى أن ملامح الصورة الذهنية الخاصة بمصر لدى أفراد العينة قد جمعت بين الجوانب الإيجابية والسلبية، فقد أشار ٢٦% أن لديهم صورة إيجابية عن مصر مقابل ٢٠,٧% لديهم صورة سلبية عنها. كذلك أشارت النتائج إلى وجود علاقة ارتباط إيجابي بين مدة الإقامة بمصر، والجنسية، وإجادة اللغة العربية من ناحية وطبيعة الصورة من ناحية أخرى، كما توجد علاقة ارتباط إيجابي أيضاً بين التعرض لقناة النيل الدولية وإيجابيات الصورة الذهنية لمصر والمصريين.

(١) نشوى الشلقاني (٢٠٠٠). دور قناة النيل الدولية في تشكيل صورة ذهنية عن مصر والمصريين لدى الأجانب المقيمين - دراسة مسحية. رسالة دكتوراه غير منشورة (كلية الإعلام جامعة القاهرة) ص ٢٣٧-٢٤٥.

١٣- دراسة الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢) بعنوان "الصورة الذهنية لأفريقيا والآفارقة عند العرب"^(١):

وتهدف الدراسة إلى التعرف على التصورات الذهنية التي يكونها العرب عن أفريقيا وشعوبها وقضاياها في جوانبها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية والعلمية، وقد طبقت الدراسة على عينة قوامها ٣٠٠ مفرد من الجاليات العربية المقيمة في القاهرة، وأشارت أهم النتائج إلى ضآلة معلومات المبحوثين عن أفريقيا بصفة عامة، كما أشارت إلى تصدر وسائل الاتصال الجماهيرية للمكانة الأولى من حيث الاعتماد في الحصول على معلومات عن أفريقيا يليها الاتصال الشخصي. وقد جاءت قضايا الحروب والأزمات على رأس قائمة القضايا التي تعرضها وسائل الإعلام عن أفريقيا يليها أزمة الغذاء ثم التصحر والجفاف. وأخيراً أشارت النتائج إلى أن ٤٢% من المبحوثين يرون أن اتجاهات المعلومات المتوفرة من خلال وسائل الإعلام عن أفريقيا سلبية مقابل ٢٥% تراها إيجابية، وأن ٥٣% ترى أن صورة الدول الأفريقية في واقعها الحالي سلبية مقابل ١٩% تراها إيجابية.

ويتضح لنا من خلال مراجعة الدراسات السابقة ما يلي:

- ١- إن معظم الدراسات السابقة قد ركزت على تحليل مضمون وسائل الإعلام المقروءة (صحف ومجلات وكتب) للتعرف على صورة أفريقيا والإنسان الأفريقي، ولم تهتم بالإعلام المرئي أو المسموع.
- ٢- إن معظم الدراسات السابقة قد اهتمت بالتعرف على آراء الجمهور غير العربي (أجانب) تجاه أفريقيا والإنسان الأفريقي باستثناء دراسة واحدة.
- ٣- ومن هنا تحاول هذه الدراسة الجمع بين تحليل مضمون بعض وسائل الإعلام (المقروءة والمرئية) ودراسة صورة أفريقيا لدى الجمهور المصري معاً، للتعرف على حجم المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية إلى جانب طبيعة الصورة التي يرسمها الشباب الجامعي عن أفريقيا.

(١) الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢). "الصورة الذهنية لأفريقيا والآفارقة عند العرب - دراسة مسحية لعينة من الجاليات العربية في القاهرة. رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الدول العربية - معهد البحوث والدراسات العربية) ص ١٦١-١٦٦.

تساؤلات البحث وفروضة:

تم تقسيم تساؤلات البحث إلى قسمين تناول القسم الأول منهما تساؤلاً واحداً حول تحليل مضمون جريدة الأهرام والتلفزيون المصري، أما القسم الثاني فتم تقسيمه إلى خمسة أجزاء تناول الجزء الأول منه والخاص بإهتمام المبحوثين بالحصول على معلومات عن إفريقيا سؤالان، ثم الجزء الثاني والخاص بقياس المعلومات العامة للمبحوث عن إفريقيا ثلاثة أسئلة، ثم الجزء الثالث والخاص بمصادر معلومات المبحوث عن إفريقيا ثلاثة أسئلة، ثم الجزء الرابع والخاص بأبعاد الصورة الذهنية لإفريقيا ثلاثة أسئلة وأخيراً الجزء الخامس والخاص باتجاهات المبحوث نحو إفريقيا ثلاثة أسئلة أيضاً وقد جاءت التساؤلات على النحو التالي:

أولاً: تساؤلات خاصة بتحليل المحتوى:

- ما حجم أخبار إفريقيا غير العربية في التلفزيون المصري وجريدة الأهرام؟ وما نوعية هذه الأخبار؟ وما هي الدول التي تناولتها؟

ثانياً: تساؤلات خاصة بالمبحوثين:

التساؤل الأول:

- ما مدى اهتمام المبحوث بالحصول على معلومات عن إفريقيا غير العربية؟ وما أسباب عدم الاهتمام؟

التساؤل الثاني: ما حجم المعلومات العامة للمبحوث عن إفريقيا

١/٢ كم عدد دول القارة الأفريقية بصفة عامة؟ وما هي أكبر دولة من حيث عدد السكان؟ وأين يقع مقر الاتحاد الأفريقي لكرة القدم؟

٢/٢ أذكر أسماء خمس دول أفريقية غير عربية؟ وخمس عواصم أفريقية غير عربية؟

٣/٢ أذكر أسماء ثلاث لغات أفريقية؟ وثلاثة أبطال رياضيين؟ واسم أديب أفريقي غير عربي؟

التساؤل الثالث: ما مصادر معلومات المبحوث عن أفريقيا؟

- ١/٣ ما مصادر معلومات المبحوث؟
- ٢/٣ هل سبق للمبحوث التعامل مع الأفارقة بشكل مباشر؟ وهل سبق له زيارة دولة أفريقية غير عربية؟
- ٣/٣ ما مدى اهتمام وسائل الإعلام المصرية بتقديم معلومات عن أفريقيا غير العربية؟ وما مدى كفاية المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام المصرية؟

التساؤل الرابع: ما أبعاد الصورة الذهنية لأفريقيا؟

- ١/٤ ما نوعية المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية من وجهة نظر المبحوث؟ وما أكثر الموضوعات والقضايا التي تعرضها تلك الوسائل؟
- ٢/٤ ما طبيعة الصورة الخاصة بأفريقيا غير العربية لدى المبحوث من كافة الجوانب السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والرياضية والنظرة المستقبلية؟ وما هي صورة الرجل والمرأة الأفريقية لدى المبحوث؟
- ٣/٤ ما طبيعة الصورة التي تعكسها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا من وجهة نظر المبحوث؟

التساؤل الخامس: ما اتجاهات المبحوث نحو أفريقيا؟

- ١/٥ ما مدى قبول المبحوث توصيف مصر بإنتمائها لدول القارة الأفريقية؟
- ٢/٥ ما مدى تقبل المبحوث العمل في إحدى الدول الأفريقية غير العربية؟ وما مدى تقبله لزيارة إحدى دول أفريقيا غير العربية.
- ٣/٥ ما تقييم المبحوث للعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات؟ وتقييمه لها على مستوى الأفراد؟

فروض البحث:

- ١- توجد علاقة ارتباط بين نوع المبحوث (ذكر / أنثى) ونوع الجامعة (حكومية / خاصة) وبين كل من:
 - الاهتمام بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية.
 - هوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية.
 - نوعية المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية.
 - الصورة التي تعكسها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية.
 - الاعتزاز بانتماء مصر لدول القارة الأفريقية.
 - تقييم العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات.
 - تقييم العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الأفراد.
- ٢- توجد فروق دالة احصائياً بين كل من نوع المبحوث ونوع الجامعة وبين مستوى معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية.
- ٣- توجد فروق دالة احصائياً بين نوع التعليم (نظري / عملي) ومستوى معلومات المبحوثين عن أفريقيا.
- ٤- يوجد تأثير دال احصائياً بين درجة اهتمام المبحوثين بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية وحجم معلوماتهم عنها.

تعريف المفاهيم:

الصورة الذهنية: ويقصد بها في هذه الدراسة الانطباعات الذاتية التي يرسمها الجمهور عن أفراد أو جماعات أو نظام أو مؤسسة أو شعب أو أى شئ آخر.

الصورة الإعلامية: ويقصد بها هنا الصورة التي تبثها وسائل الإعلام عبر مضامينها المختلفة.

الصورة النمطية: وهى توصيفاً لكل من الصورة الذهنية والصورة الإعلامية.

أفريقيا: يقصد بها في هذه الدراسة الدول الأفريقية غير العربية.

وسائل الإعلام المصرية: وتقتصر في هذه الدراسة على الصحف والتلفزيون المصري، وقد اعتمدت الباحثة على جريدة الأهرام اليومية، والقناة الأولى بالتلفزيون المصري.

الشباب الجامعي: ويقصد به الشباب من الذكور والإناث المقيدين في إحدى الجامعات المصرية ومن كافة التخصصات العلمية والنظرية.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على استخدام منهج المسح لعينة من طلاب الجامعات المصرية وهي جامعة حلوان، وجامعة عين شمس، وأكاديمية أخبار اليوم، وجامعة السادس من أكتوبر. وتم استخدام منهج المسح بشقيه الوصفي Descriptive Survey للإجابة على تساؤلات البحث، والتحليلي Analytical Survey لإختبار الفروض.

وفي إطار منهج المسح تم استخدام أسلوب تحليل المحتوى لنشرة الأخبار الرئيسية بالقناة الأولى بالتلفزيون المصري، وجريدة الأهرام اليومية.

مجتمع البحث:

يشمل مجتمع البحث طلاب الجامعات المصرية من تخصصات مختلفة ومن مستويات دراسية متعددة من الذكور والإناث وذلك خلال العام الجامعي ٢٠٠٢/٢٠٠٣.

كما يشتمل مجتمع البحث أيضاً على تحليل مضمون نشرة الأخبار الرئيسية (التاسعة مساءً) بالقناة الأولى بالتلفزيون المصري وجريدة الأهرام اليومية.

عينة البحث:

تتكون عينة الدراسة من ٣٠٠ مبحوثاً من الطلاب المقيدين بأربع جامعات مصرية خلال العام الجامعي ٢٠٠٢/٢٠٠٣ وذلك بواقع ١٥٠ مبحوثاً من الجامعات المصرية الحكومية وهما جامعة حلوان وجامعة عين شمس (٧٥ مبحوثاً لكل منهما) بإعتبارهما يمثلان الجامعات الحكومية، و ١٥٠ مبحوثاً من الجامعات الخاصة وهما جامعة السادس من أكتوبر وأكاديمية أخبار اليوم (٧٥ مبحوثاً لكل منهما) بإعتبارهما

تمثلان الجامعات الخاصة في مصر. وتم استخدام أسلوب العينة المتاحة Available Sample في إطار نوع العينات غير الاحتمالية Nonprobability Samples.

كما تضمنت عينة البحث أيضاً تحليل مضمون نشرة الأخبار الرئيسية بالقناة الأولى بالتلفزيون المصري (التاسعة مساءً) وتحليل مضمون جريدة الأهرام اليومية (الصفحة الأولى - صفحتا أخبار عالمية - صفحات الرياضة) وذلك خلال الفترة من ١-٣٠ يناير ٢٠٠٣.

أسلوب جمع البيانات:

في إطار منهج المسح تم تصميم إستمارة استقصاء Questionnaire تتضمن متغيرات الدراسة القابلة للقياس وتتكون من ستة أجزاء. تضمن الجزء الأول منها سؤالان عن مدى الاهتمام بالحرص على الحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية، وأسباب عدم الاهتمام. ويهتم الجزء الثاني بقياس المعلومات العامة للمبحوث وتضمن ثمانية أسئلة مفتوحة (عدد دول القارة الأفريقية - أكبر دولة أفريقية من حيث التعداد السكاني - أين يقع مقر الاتحاد الأفريقي لكرة القدم - اسم أدريب أفريقي غير عربي - أسماء خمس دول أفريقية غير عربية - أسماء خمس عواصم أفريقية غير عربية - أسماء ثلاث لغات أفريقية - أسماء ثلاثة أبطال رياضيين من أفريقيا غير العربية). ويهتم الجزء الثالث بمصادر معلومات المبحوث عن أفريقيا وتضمن ستة أسئلة (مصادر معلومات المبحوث عن أفريقيا غير العربية - هوية تلك المصادر - مدى تقبل المبحوث التعامل مع الأفارقة بشكل مباشر - هل سبق له زيارة دولة أفريقية غير عربية - مدى اهتمام وسائل الإعلام المصرية بتقديم معلومات عن أفريقيا غير العربية - مدى كفاية هذه المعلومات). أما الجزء الرابع فقد ركز على أبعاد الصورة الخاصة بأفريقيا غير العربية لدى المبحوثين وتضمن أربعة أسئلة (نوعية المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية - أكثر القضايا التي تعرضها - طبيعة صورة أفريقيا غير العربية من كافة الجوانب السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية والمستقبلية - مدى إيجابية أو سلبية الصورة التي تعكسها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية). بينما اهتم الجزء الخامس باتجاهات المبحوثين نحو أفريقيا وتضمن خمسة أسئلة (مدى قبول المبحوث توصيف

مصر بانتمائها لدول القارة الأفريقية - تقبل المبحوث العمل في إحدى دول أفريقيا غير العربية - تقبله لزيارة إحدى دولها - تقييمه للعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات ومستوى الأفراد). وأخيراً الجزء السادس والخاص بالبيانات الشخصية للمبحوث. وتشمل النوع، والعمر، ونوع الجامعة (حكومية / خاصة) ونوع الدراسة (نظرية / عملية).

كذلك تم تصميم استمارة تحليل مضمون لجريدة الأهرام والنشرة الرئيسية بالقناة الأولى بالتليفزيون تضمنت زمن الخبر أو مساحته، نوع الخبر، الدولة الأفريقية التي يتعرض لها - ونوع القضية التي يتناولها.

قياس الثبات والصدق:

لقياس صدق الاستمارتين تم استخدام أسلوب الصدق الظاهري Face Validity من خلال عرض بيانات الاستمارتين على مجموعة من المحكمين (*) والذين أشاروا إلى بعض التعديلات التي ادخلتها الباحثة على نموذج الاستمارتين.

ولقياس ثبات البيانات استخدمت الباحثة أسلوب إعادة الاختبار T.Retest على عينة عشوائية من ثلاثين مفردة تمثل ١٠% من إجمالي حجم العينة الأصلية، وقد بلغت قيمة معامل الثبات ٩١% وهي قيمة عالية تشير إلى دقة المقياس وثباته.

أسلوب تحليل البيانات:

بعد مراجعة بيانات جمع الاستمارات يدوياً تم ترميز البيانات وإدخالها إلى الحاسب الإلكتروني، وتم استخدام برنامج SPSS لمعالجة البيانات إحصائياً لاستخراج التكرارات والنسب المئوية ومعامل ارتباط بيرسون لقياس معاملات الارتباط الجزئي فيما يتعلق بفروض الدراسة. والانحراف المعياري، وقيمة ت، والمتوسطات الحسابية وتحليل التباين ANOVA أحادي الاتجاه.

(*) تم عرض الاستمارتين على السادة المحكمين التالية أسماؤهم:

١- أ.د. منى سعيد الحديدي عميد الأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام والأستاذ بكلية الإعلام - جامعة القاهرة

٢- أ.د. ماجي الحلواني الأستاذ بكلية الإعلام - جامعة القاهرة

٣- أ.د. حسن عمادة مكاوي وكيل الأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام والأستاذ بكلية الإعلام - جامعة القاهرة

نتائج الدراسة

جدول رقم (١)

توصيف عينة المبحوثين

النوع				نوع التعليم				نوع الجامعة			
ذكور	إناث	إجمالي	النسبة	نظري	عملي	إجمالي	النسبة	حكومية	خاصة	إجمالي	النسبة
ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
١٢٤	٤١,٣	١٧٦	٥٨,٧	٢٣٨	٧٩,٣	٦٢	٢٠,٧	١٥٠	٥٠	١٥٠	١٠٠

جدول رقم (٢)

معدلات أخبار أفريقيا غير العربية فى جريدة الأهرام ونشرة الأخبار الرئيسية
بالقناة الأولى بالتلفزيون المصرى

معدلات الأخبار	أخبار أفريقيا غير العربية	اجمالى الأخبار الكلية	النسبة المنوية	الزمن أو المساحة لأخبار أفريقيا	الزمن أو المساحة الكلية	النسبة المنوية
جريدة الأهرام	٣٦	١٦٦٨	٢,٢	٧٥٠ سم عمود	٥٧٦٠٠ سم	١,٣
التلفزيون المصرى	١٠	٥٣٣	١,٩	٣٠ ث	١١٥٨ ق	٠,٥

جدول رقم (٣)

مدى اهتمام المبحوثين بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية

التكرارات والنسبة المئوية	ك	%
مدى الاهتمام		
لا أهتم مطلقاً	١٦٣	٥٤,٣
أهتم إلى حد ما	١٣٠	٤٣,٤
أهتم جداً	٧	٢,٣
الاجمالى	٣٠٠	١٠٠

جدول رقم (٤)

أسباب عدم الاهتمام بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية^(*)

أسباب عدم الاهتمام	التكرارات والنسبة المئوية	
	ك	%
عدم وجود اهتمام إعلامي بالقارة الأفريقية	٨٩	٢٩,٧
مصادر المعلومات عن أفريقيا غير متاحة بالقدر الكافي	٧٠	٢٣,٣
عدم وجود دور فاعل لأفريقيا على الصعيد الدولي	٦٠	٢٠
اهتمامي الأكبر يتركز على الأوضاع الداخلية لمصر	٣٦	١٢
ليس لدى رغبة في الحصول على معلومات عن القارة الأفريقية	٣٤	١١,٣
ليس لدى وقت	١٤	٤,٧

جدول رقم (٥)

قياس بعض المعلومات العامة للمبحوثين عن أفريقيا

الأسئلة		التكرارات والنسبة المئوية	
اجابة صحيحة كاملة	%	أربع اجابات صحيحة	%
ثلاث اجابات صحيحة	%	اجبتان صحيحتان	%
اجابة واحدة صحيحة	%	اجابة خاطئة	%
كم عدد دول لقارة الافريقية.	٤٠	١٣,٣	٨٦,٧
ما لكر دولة افريقية من حيث عدد السكان	٥٨	١٩,٣	٨٠,٧
اين يقع مقر الاتحاد الافريقي لكرة القدم	١١٢	٢٧,٣	٦٢,٧
لكر اسم لبيب افريقي غير عربي	٣	١	٩٩
لكر اسماء خمس دول افريقية غير عربية.	١٦٢	٥٤	٢٢,٧
لكر عواصم خمس دول افريقية غير عربية.	٢٠	٦,٧	٦٥
لكر اسماء ثلاث لغات افريقية غير عربية	٠	٠	٩٣,٧
لكر اسماء ثلاثة أبطال رياضيين من افريقيا غير العربية	٥٣	١٧,٧	٦٠

(*) ملحوظة: أجب عن هذا السؤال ١٦٣ مبحوثاً فقط، والمبحوث له حرية اختيار أكثر من إجابة.

جدول رقم (٦)

مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية

%	ك	التكرارات والنسبة المئوية
		مصادر المعلومات
٧٣,٧	٢٢١	التلفزيون
٥٣,٧	١٦١	الجرائد
٢٩	٨٧	الانترنت
٧,٢٣	٧١	المجلات
٢٠	٦٠	الكتب
١٨,٣	٥٥	مصادر الاتصال الشخصي
١٤,٧	٤٤	الراديو
١٢	٣٦	السينما
٧	٢١	الموسوعات
٥,٣	١٦	المعارض
٥	١٥	الفديو
٣,٧	١١	منشورات السفارات

• ملحوظة: المبحوث يختار أكثر من إجابة.

جدول رقم (٧)

هوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية

%	ك	التكرارات والنسبة المئوية
		هوية المصادر
٧٣,٣	٢٢٠	مصادر مصرية
١٦,٧	٥٠	مصادر عربية
٨,٣	٢٥	مصادر غربية
١,٧	٥	مصادر أفريقية
١٠٠	٣٠٠	الإجمالي

جدول رقم (٨)

زيارة المبحوثين لدول أفريقية غير عربية وتعاملهم مع الأفارقة

التعامل مع الأفارقة		زيارة دولة أفريقية غير عربية		التكرارات والنسبة المئوية	الإجابات
%	ك	%	ك		
١٩,٧	٥٩	١	٣	نعم	
٨٠,٣	٢٤١	٩٩	٢٩٧	لا	
١٠٠	٣٠٠	١٠٠	٣٠٠	الاجمالي	

جدول رقم (٩)

مدى إهتمام وسائل الإعلام المصرية بتقديم معلومات

عن أفريقيا غير العربية

مدى الاهتمام		التكرارات والنسبة المئوية	
%	ك		
٦١,٧	١٨٥	تهتم إلى حد ما	
٣٦,٦	١١٠	لا تهتم مطلقاً	
١,٧	٥	تهتم دائماً	
١٠٠	٣٠٠	الاجمالي	

جدول رقم (١٠)

مدى كفاية المعلومات المتاحة عن أفريقيا في وسائل الإعلام المصرية

مدى كفاية المعلومات		التكرارات والنسبة المئوية	
%	ك		
٨٠	٢٤٠	غير كافية	
١٧,٧	٥٣	كافية إلى حد ما	
٢,٣	٧	كافية تماماً	
١٠٠	٣٠٠	الاجمالي	

جدول رقم (١١)

نوعية المعلومات التي تتيحها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا

نوعية المعلومات	التكرارات والنسبة المئوية	ك	%
معلومات رياضية	٢٠٠	٦٦,٧	
معلومات سياسية	١٥٧	٥٢,٣	
معلومات صحية	١١٩	٣٩,٧	
معلومات بيئية	١٠٦	٥٣,٣	
معلومات عسكرية	٧٠	٢٣,٣	
معلومات اجتماعية	٢٩	٩,٧	
معلومات ثقافية	١٢	٤	
معلومات اقتصادية	-	-	

• المبحوث يختار أكثر من إجابة.

جدول رقم (١٢)

الموضوعات التي تعرضها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا

المعلومات التي تعرضها وسائل الإعلام	التكرارات والنسبة المئوية	ك	%
الفقر وأزمة الغذاء	٢٢٢	٧٤	
البطولات الرياضية	١٥٩	٥٣	
الحروب والصراعات العسكرية	١٥٨	٥٢,٧	
الأوبئة والألذز	١١٩	٣٩,٧	
الكوارث الطبيعية	١١٤	٣٨	
الانقلابات العسكرية	١٠٦	٣٥,٣	
الجفاف والتصحر	٩٠	٣٠	
المشكلات الحدودية	٨١	٢٧	
العنف والإرهاب	٦٥	٢١,٧	
الطوائف والغرائب	٦٣	٢١	
الصراعات القبائلية	٥٦	١٨,٧	
قضايا اللاجئين	٥٠	١٦,٧	
حقوق الإنسان	٤٠	١٣,٣	
الثروات الطبيعية	٣٣	١١	
النمو الاقتصادي	١٧	٥,٧	
قضايا المديونية	١٣	٤,٣	
التعددية السياسية والديمقراطية	١١	٣,٧	
الإجمالي	٣٠٠	١٠٠	

• المبحوث يختار أكثر من إجابة.

جدول رقم (١٣)

الموضوعات التي تعرضها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا

%	ك	التكرارات والنسبة المئوية
		صورة أفريقيا لدى المبحوثين
		الناحية السياسية:
٨٠	٢٤٠	الدول الأفريقية مفككة وضعيفة دولياً
٦٧	٢٠١	سياسات الدول الأفريقية متخبطة
٣٥,٣	١٠٦	تتسم الدول الأفريقية بالديكتاتورية وحكم الفرد
٦,٧	٢٠	تتسم الدول الأفريقية بالديمقراطية والتعددية السياسية
٣,٣	١٠	الدول الأفريقية تمثل قوة سياسية صاعدة
١,٧	٥	سياسات الدول الأفريقية مستقرة
		الناحية الأمنية:
٧٧,٧	٢٣٣	يسود الدول الأفريقية الاضطرابات والفلاقل
٤٣	١٢٩	معظم الدول الأفريقية موطن للجرائم والعصابات
٩,٣	٢٨	معظم الدول الأفريقية آمنة للعيش بها
٢,٣	٧	يسود الدول الأفريقية الأمن والاستقرار
		الناحية الاقتصادية:
٧٧	٢٣١	معظم أفراد الدول الأفريقية فقراء
٦٣,٧	١٩١	معظم الدول الأفريقية غارقة في الديون
٦,٧	٢٠	معظم الدول الأفريقية متقدمة اقتصادياً
٤	١٢	معظم أفراد الدول الأفريقية أغنياء
		الناحية الاجتماعية:
٣٠,٣	٩١	تتسم الدول الأفريقية بالترابط الأسرى
١٩,٣	٥٨	تتسم الدول الأفريقية بالتفكك الأسرى
		الناحية الدينية:
٢٧,٣	٨٢	معظم الدول الأفريقية غير متدينة
٢٢	٦٦	معظم الدول الأفريقية متدينة
		من الناحية الرياضية:
٥٤	١٦٢	معظم الدول الأفريقية متفوقة رياضياً
١٩,٧	٥٩	معظم الدول الأفريقية تتمتع بمستوى ضئيل رياضياً

تابع الجدول رقم (١٣)

الموضوعات التي تعرضها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا

%	ك	التكرارات والنسبة المئوية
		صورة أفريقيا لدى المبحوثين
		المنظرة المستقبلية للمقارة الأفريقية:
٥٠,٣	١٥١	مستقبل الدول الأفريقية غير محدد المعالم
٤١,٧	١٢٥	مستقبل الدول الأفريقية غامض ومظلم
٥,٧	١٧	مستقبل الدول الأفريقية باهر ومشرق
		صورة المرأة الأفريقية:
٣٨,٧	١١٦	المرأة الأفريقية جاهلة ومتخلفة
٣٨	١١٤	المرأة الأفريقية تابعة وخاضعة
٣٢,٧	٩٨	المرأة الأفريقية لا تشارك في الحياة العملية
١٩,٣	٥٨	المرأة الأفريقية لها دور فعال في المجتمع
١٥,٧	٤٧	المرأة الأفريقية متعلمة ومتحضرة
١٣	٣٩	المرأة الأفريقية مستقلة بذاتها
		صورة الرجل الأفريقي:
٤٢	١٢٦	الرجل الأفريقي همجي وعصبي المزاج
٣٨,٧	١١٦	الرجل الأفريقي يتحمل المسؤولية
٣٣,٧	١٠١	الرجل الأفريقي قليل النكاح وعنيد
٣٣,٣	١٠٠	الرجل الأفريقي جاهل ومتخلف وبدائي
٢٧	٨١	الرجل الأفريقي كسول وروتيني
١٧,٧	٥٣	الرجل الأفريقي متعلم ومتحضر
١٦,٧	٥٠	الرجل الأفريقي مبدع ونشيط
١٦,٣	٤٩	الرجل الأفريقي يعتمد على الآخرين
١٤,٧	٤٤	الرجل الأفريقي ذكي ومتفهم
١٠,٣	٣١	الرجل الأفريقي هادي ومنظم

• المبحوث يختار أكثر من إجابة.

جدول رقم (١٤)

الصورة التي تعكسها وسائل الإعلام عن إفريقيا غير العربية

%	ك	التكرارات والنسبة المئوية	الصورة التي تعكسها وسائل الإعلام
٨٠,٧	٢٤٢		لا يستطيع تحديد الصورة
١٢,٣	٣٧		صورة موضوعية ومطابقة للواقع
٧	٢١		صورة متحيزة ومشوهة للواقع
١٠٠	٣٠٠		الاجمالي

جدول رقم (١٥)

مدى اعتزاز المبحوثين بانتماهم للقارة الأفريقية ومدى رغبتهم في الزيارة أو العمل في إحدى دول أفريقيا غير العربية

الترغيب في العمل في دولة أفريقية		الترغيب في زيارة دولة أفريقية		الاعتزاز بالانتماء لدول أفريقيا		التكرارات والنسبة المئوية	رغبات المبحوثين
ك	%	ك	%	ك	%		
٣٢	١٠,٧	٦٨	٢٠,٤	٤٣	١٢,٩		نعم
٢٦٨	٨٩,٣	٣٢	٩٦	٥٧	١٧١		لا
٣٠٠	١٠٠	٣٠٠	١٠٠	٣٠٠	١٠٠		الاجمالي

جدول رقم (١٦)

تقييم المبحوثين للعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات والأفراد

تقييم العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات		ك	%	تقييم العلاقات العربية على مستوى الأفراد		ك	%
		١٩٥	٦٥	علاقات ضعيفة	٢٢٥	٧٥	
		٧٧	٢٥,٧	علاقات جيدة	٧٠	٢٣,٣	
		٢٨	٩,٣	علاقات ممتازة	٥	١,٧	
		٣٠٠	١٠٠	الإجمالي	٣٠٠	١٠٠	

جدول رقم (١٧)

العلاقة بين نوع المبحوث ودرجة الاهتمام بالحصول على معلومات عن أفريقيا

النوع	درجة الاهتمام		اهتم جداً		إلى حد ما		لا أهتم مطلقاً		النسبة	الإجمالي
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%		
ذكور	٦	٤,٨	٥٦	٤٥,٢	٦٢	٥٠	١٢٤	٤١,٣		
إناث	١	٠,٦	٧٤	٤٢	١٠١	٥٧,٤	١٧٦	٥٨,٧		
الإجمالي	٧	٢,٣	١٣٠	٤٣,٣	١٦٣	٥٤,٤	٣٠٠	١٠٠		

المعنوية = ٠,٠٣

التوافق = ٠,١٤٦

كا^٢ = ٦,٥٧٩

جدول رقم (١٨)

العلاقة بين نوع المبحوث وهوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا

النوع	الهوية		مصرية		عربية		أفريقية		غربية		النسبة	الإجمالي
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%		
ذكور	٨٩	٧١,٨	١٩	١٥,٣	٤	٣,٢	١٢	٩,٧	١٢٤	٤١,٣		
إناث	١٣١	٧٤,٤	٣١	١٧,٦	١	٠,٦	١٣	٧,٤	١٧٦	٥٨,٧		
الإجمالي	٢٢٠	٧٣,٣	٥٠	١٦,٧	٥	١,٧	٢٥	٨,٣	٣٠٠	١٠٠		

المعنوية = ٠,٢٧

التوافق = ٠,١١٢

كا^٢ = ٣,٨٤٠

جدول رقم (١٩)

العلاقة بين نوع المبحوث وهوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا

نوعية المعلومات	النوع		ذكور		إناث		النسبة	كا ^٢	معامل التوافق	مستوى المعنوية
	ك	%	ك	%	ك	%				
سياسية	٧٠	٥٦,٥	٨٧	٤٩,٤	١٥٧	٥٢,٣	١,٤٣٧	٠,٠٦٩	٠,٢٣	
عسكرية	٤٦	٣٧,١	٢٤	١٣,٦	٧١	٢٣,٣	٢٢,٣٨٢	٠,٢٦٣	٠,٠٠٠	
رياضية	٩٦	٧٧,٤	١٠٤	٥٩,١	٢٠٠	٦٦,٧	١٠,٩٩٧	٠,١٨٨	٠,٥٥١	
ثقافية	٢	١,٦	١٠	٥,٧	١٢	٤	٣,١٣٦	٠,١٠٢	٠,٠٠٧	
اجتماعية	٨	٦,٥	٢١	١١,٩	٢٩	٩,٧	٢,٥٠٢	٠,٠٩١	٠,١١٤	
بيئية	٤٤	٣٥,٥	٦٢	٣٥,٢	١٠٦	٣٥,٣	٠,٠٠٢	٠,٠٠٣	٠,٩٦	
صحية	٣٩	٣١,٥	٨٠	٤٥,٥	١١٩	٣٩,٧	٥,٩٦٠	٠,١٤٠	٠,٠٠١	
اقتصادية	-	-	-	-	-	-	-	-	-	

جدول رقم (٢٠)

العلاقة بين نوع المبحوث والصورة التي تعكسها وسائل الإعلام عن أفريقيا

النسبة	الإجمالي	لا أستطيع التحديد		متحيزة ومشوهة		موضوعية ومطابقة للواقع		الصورة نوع المبحوث
		%	ك	%	ك	%	ك	
٤١,٣	١٢٤	٧٦,٦	٩٥	٥,٦	٧	١٧,٧	٢٢	ذكور
٥٨,٧	١٧٦	٨٣,٥	١٤٧	٨	١٤	٨,٥	١٥	إناث
١٠٠	٣٠٠	٨٠,٧	٢٤٢	٧	٢١	١٢,٣	٣٧	الإجمالي

مستوى المعنوية = ٠,٠٠٥

معامل التوافق = ٠,١٤٠

كا^٢ = ٥,٩٩٨

جدول رقم (٢١)

العلاقة بين نوع المبحوث واعتزازه بالانتماء للقارة الأفريقية

النسبة	الإجمالي	لا		نعم		الصورة نوع المبحوث
		%	ك	%	ك	
٤١,٣	١٢٤	٤٦	٥٧	٥٤	٦٧	ذكور
٥٨,٧	١٧٦	٦٤,٨	١١٤	٣٥,٢	٦٢	إناث
١٠٠	٣٠٠	٥٧	١٧١	٤٣	١٢٩	الإجمالي

مستوى المعنوية = ٠,٠٠١

معامل التوافق = ٠,١٨٤

كا^٢ = ١٠,٤٩٦

جدول رقم (٢٢)

العلاقة بين نوع المبحوث وتصنيف العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات

النسبة	الإجمالي	لا أستطيع التحديد		متخلفة		متطورة		العلاقات نوع المبحوث
		%	ك	%	ك	%	ك	
٤١,٣	١٢٤	٥٣,٢	٦٦	٣٢,٣	٤٠	١٤,٥	١٨	ذكور
٥٨,٧	١٧٦	٧٣,٣	١٢٩	٢١	٣٧	٥,٧	١٠	إناث
١٠٠	٣٠٠	٦٦	١٩٥	٢٥,٧	٧٧	٩,٣	٢٨	الإجمالي

مستوى المعنوية = ٠,٠٠١

معامل التوافق = ٠,٢١٢

كا^٢ = ١٤,١٦٩

جدول رقم (٢٣)

العلاقة بين نوع المبحوث وتوصيف العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الأفراد

نوع المبحوث	ممتازة		جيدة		ضعيفة		الإجمالي	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%		
ذكور	٢	١,٦	٣٠	٢٤,٢	٩٢	٧٤,٢	١٢٤	٤١,٣
إناث	٣	١,٧	٤٠	٢٢,٧	١٣٣	٧٥,٦	١٧٦	٥٨,٧
الإجمالي	٥	١,٧	٧٠	٢٣,٣	٢٢٥	٧٥	٣٠٠	١٠٠

مستوى المعنوية = ٠,٩٥٦

معامل التوافق = ٠,١٧

كا^٢ = ٠,٠٩٨

جدول رقم (٢٤)

العلاقة بين نوع الجامعة والإهتمام بالحصول على معلومات عن أفريقيا

نوع الجامعة	اهتم جداً		إلى حد ما		لا أهتم		الإجمالي	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%		
حكومية	٣	٢	٥٥	٣٦,٧	٩٢	٦١,٣	١٥٠	٥٠
خاصة	٤	٢,٧	٧٥	٥٠	٧١	٤٧,٣	١٥٠	٥٠
الإجمالي	٧	٢,٣	١٣٠	٤٣,٣	١٦٣	٥٤,٣	٣٠٠	١٠٠

مستوى المعنوية = ٠,٠٠٥

معامل التوافق = ٠,١٣٩

كا^٢ = ٥,٩٢٥

جدول رقم (٢٥)

العلاقة بين نوع الجامعة وهوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا

نوع الجامعة	مصرية		عربية		أفريقية		غربية		الإجمالي	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%		
حكومية	١١٨	٧٨,٧	١٥	١٠	٣	٢	١٤	٩,٣	١٥٠	٥٠
خاصة	١٠٢	٦٨	٣٥	٢٣,٣	٢	١,٣	١١	٧,٣	١٥٠	٥٠
الإجمالي	٢٢٠	٧٣,٣	٥٠	١٦,٧	٥	١,٧	٢٥	٨,٣	٣٠٠	١٠٠

مستوى المعنوية = ٠,٠٢

معامل التوافق = ٠,١٧٧

كا^٢ = ٩,٧٢٤

جدول رقم (٢٦)

العلاقة بين نوع الجامعة ونوعية المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام المصرية

نوع الجامعة	حكومية		خاصة		الإجمالي	النسبة	كا ^٢	معامل التوافق	مستوى المعنوية
	ك	%	ك	%					
سياسية	٧٧	٥١,٣	٨٠	٥٣,٣	١٥٧	٥٢,٣	٠,١٢٠	٠,٠٢	٠,٧٢٩
عسكرية	٢٦	١٧,٣	٤٤	٢٩,٣	٧٠	٢٣,٣	٦,٠٣٧	٠,١٤٠	٠,٠١٤
رياضية	٨٩	٥٩,٣	١١١	٧٤	٢٠٠	٦٦,٧	٧,٢٦٠	٠,١٥٤	٠,٠٠٧
ثقافية	٩	٠,٦	٣	٠,٢	١٢	٠,٤	٣,١٢٥	٠,١٠٢	٠,٠٧
اجتماعية	١٢	٨	١٧	١١,٣	٢٩	٩,٧	٠,٩٥٤	٠,٠٥٦	٠,٣٢٩
بيئية	٥٢	٣٤,٧	٥٤	٣٦	١٠٦	٣٥,٣	٠,٠٥٨	٠,٠١٤	٠,٨٠
صحية	٦٧	٤٤,٧	٥٢	٣٤,٧	١١٩	٣٩,٧	٣,١٣٤	٠,١٠٢	٠,٠٧
اقتصادية	-	-	-	-	-	-	-	-	-

جدول رقم (٢٧)

العلاقة بين نوع الجامعة والصورة التي تعكسها وسائل الإعلام عن أفريقيا

نوع الجامعة	موضوعية ومطابقة للواقع		متحيزة ومشوهة		لا يستطيع التحديد		الإجمالي	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%		
حكومية	١٦	١٠,٧	١١	٧,٣	١٢٣	٨٢	١٥٠	٥٠
خاصة	٢١	١٤	١٠	٦,٧	١١٩	٧٩,٣	١٥٠	٥٠
الإجمالي	٣٧	١٢,٣	٢١	٧	٢٤٢	٨٠,٧	٣٠٠	١٠٠

مستوى المعنوية = ٠,٦٧٤

معامل التوافق = ٠,٠٥١

كا^٢ = ٠,٧٨٩

جدول رقم (٢٨)

العلاقة بين نوع الجامعة واعتزاز المبحوث بانتمائه للقارة الأفريقية

نوع الجامعة	الاعتزاز		نعم		لا		الإجمالي	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%		
حكومية	٦٣	٤٢	٨٧	٥٨	١٥٠	١٠٠	١٥٠	٥٠
خاصة	٦٦	٤٤	٨٤	٥٦	١٥٠	١٠٠	١٥٠	٥٠
الإجمالي	١٢٩	٤٣	١٧١	٥٧	٣٠٠	١٠٠	٣٠٠	١٠٠

مستوى المعنوية = ٠,٧٢٦

معامل التوافق = ٠,٠٢٠

كا^٢ = ٠,١٢٢

جدول رقم (٢٩)

العلاقة بين نوع الجامعة والعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات

النسبة	الإجمالي	لا يستطيع التحديد		متخلفة		متطورة		العلاقات نوع الجامعة
		%	ك	%	ك	%	ك	
٥٠	١٥٠	٦٩,٣	١٠٤	٢٠	٣٠	١٠,٧	١٦	حكومية
٥٠	١٥٠	٦٠,٧	٩١	٣١,٣	٤٧	٨	١٢	خاصة
١٠٠	٣٠٠	٦٥	١٩٥	٢٥,٧	٧٧	٩,٣	٢٨	الإجمالي

مستوى المعنوية = ٠,٠٧

معامل التوافق = ٠,١٣٠

كا^٢ = ٥,١٩١

جدول رقم (٣٠)

العلاقة بين نوع الجامعة والعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الأفراد

النسبة	الإجمالي	لا يستطيع التحديد		متخلفة		متطورة		العلاقات نوع الجامعة
		%	ك	%	ك	%	ك	
٥٠	١٥٠	٧٨	١١٧	٢٠	٣٠	٢	٣	حكومية
٥٠	١٥٠	٧٢	١٠٨	٢٦,٧	٤٠	١,٣	٢	خاصة
١٠٠	٣٠٠	٧٥	٢٢٥	٢٣,٣	٧٠	١,٧	٥	الإجمالي

مستوى المعنوية = ٠,٣٧

معامل التوافق = ٠,٠٨١

كا^٢ = ١,٩٨٩

جدول رقم (٣١)

الفروق بين نوع المبحوث ومستوى معلوماته عن أفريقيا

مستوى المعنوية	قيمة ت	الانحراف المعياري	المتوسط*	العدد	مستوى المعلومات نوع المبحوث
٠,٠٠٠	٦,٦٥٥ {	٥,٢٤	٧,٨٧	١٢٤	ذكور
		٣,١٨	٤,٥٥	١٧٦	إناث
				٣٠٠	الإجمالي

* ملحوظة: تم حساب درجة المعلومات العامة للمبحوثين من ٢٠ درجة من إجمالي عدد ثمانية أسئلة.

جدول رقم (٣٢)

الفروق بين نوع الجامعة ومستوى معلومات المبحوثين عن أفريقيا

مستوى المعنوية	قيمة ت	الانحراف المعياري	المتوسط من ٢٠ درجة	العدد	مستوى المعلومات نوع الجامعة
٠,٠٧	{ -١,٨٢	٤,٤٠	٥,٤٤	١٥٠	حكومية
		٤,٦٥	٦,٤	١٥٠	خاصة
				٣٠٠	الاجمالي

جدول رقم (٣٣)

الفروق بين نوع التعليم (نظري / علمي) ومستوى معلومات المبحوثين عن أفريقيا

مستوى المعنوية	قيمة ت	الانحراف المعياري	المتوسط من ٢٠ درجة	العدد	مستوى المعلومات نوع التعليم
٠,٠٠٠	{ ٤,٥٦	٤,٣٢	٦,٥١	٢٣٨	نظري
		٤,٧١	٣,٦٤	٦٢	عملي
				٣٠٠	الاجمالي

جدول رقم (٣٤)

تأثير درجة اهتمام المبحوثين بالحصول على معلومات عن أفريقيا وحجم معلوماتهم

مستوى المعنوية	الانحراف المعياري	المتوسط من ٢٠ درجة	العدد	مستوى المعلومات درجة الاهتمام
{ ٠,٠٠٠	٢,٤٩	١٣,٢٨	٧	اهتم جداً
	٤,٤٩	٧,٤٣	١٣٠	إلى حد ما
	٣,٩٢	٤,٤	١٦٣	لا أهتم مطلقاً
	٤,٥٥	٥,٩٢	٣٠٠	الاجمالي

مناقشة النتائج

الإجابة على تساؤلات الدراسة:

يتضح لنا من الجدول رقم (١) والخاص بتوصيف عينة الدراسة أن نسبة الإناث في العينة قد بلغت ٥٨,٧% مقابل ٤١,٣% للذكور، وفيما يتعلق بنوع التعليم فقد بلغت نسبة طلاب وطالبات الكليات النظرية ٧٩,٣% مقابل ٢٠,٧% لطلاب الكليات العملية، أما بالنسبة لنوع الجامعة فقد قسمتها الباحثة إلى نصفين متساويين ما بين الجامعات الحكومية والخاصة بنسبة ٥٠% لكل منهما. وأما بالنسبة لعمر المبحوث فقد بلغ المتوسط الحسابي له ١٩ سنة و ٣ شهور.

أولاً: التساؤلات الخاصة بتحليل المحتوى:

١- ما حجم أخبار أفريقيا غير العربية في جريدة الأهرام اليومية والقناة الأولى بالتلفزيون المصري؟ وما نوعية هذه الأخبار؟ وما هي الدول التي تناولتها؟

تشير بيانات الجدول رقم (٢) إلى أن نسبة المساحة المخصصة لأخبار أفريقيا غير العربية قد بلغت ١,٣% في جريدة الأهرام اليومية مقابل ٠,٥% فقط للمساحة الزمنية لنشرة أخبار التاسعة بالقناة الأولى بالتلفزيون المصري، في حين بلغت النسبة العددية لأخبار أفريقيا في جريدة الأهرام ٢,٢% مقابل ١,٩% للتلفزيون. ويتضح لنا من خلال هذه النتائج تفوق جريدة الأهرام على التلفزيون المصري في تقديم أخبار عن أفريقيا غير العربية وإن كان ذلك بفروق ليست كبيرة، وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه نتيجة دراسة شاهيناز طلعت ومنى الحديدى (١٩٨٧)^(١). وفيما يتعلق بنوعية تلك الأخبار والموضوعات فقد جاءت الأخبار والموضوعات السياسية في مقدمة أخبار وموضوعات جريدة الأهرام (١٦ خبر وموضوع) بنسبة ٤٤,٥%، يليها العسكرية (١٢ خبر) بنسبة ٣٣,٣%، ثم الرياضية (٧) بنسبة ١٩,٤%، ثم الأمنية (١) بنسبة ٢,٨%، أما بالنسبة للتلفزيون فقد جاءت الأخبار والموضوعات السياسية في المقدمة أيضاً (٥ أخبار) بنسبة ٥٠%، يليها الاقتصادية (٢) بنسبة ٢٠%، فالعسكرية

(١) الخضر بن عبر الباقي (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ص ٧٥-٧٦.

(٢) بنسبة ٢٠%، فالرياضية (١) بنسبة ١٠%. وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه نتائج دراسة كل من شاهيناز طلعت ومنى الحديدي (١٩٨٧)^(١) ودراسة Festus Eribo (١٩٩٣)^(٢) من حيث تصدر الأخبار السياسية الخاصة بأفريقيا لوسائل الإعلام المختلفة.

وفيما يتعلق بالدول التي تناولتها هذه الأخبار والموضوعات جاءت كوت ديفوار في مقدمة أخبار كل من جريدة الأهرام والتلفزيون بنسبة ٣٣,٣%، ٤٠% على التوالي، ثم احتلت أثيوبيا المكانة الثانية بالنسبة لجريدة الأهرام بنسبة ٢٢,٢%، ثم نيجيريا ١٦,٧%، ثم جنوب أفريقيا ١٣,٩% ثم كل من السنغال وساحل العاج ٥,٦%، ثم الاتحاد الأفريقي لكرة القدم ٢,٨%. أما بالنسبة للتلفزيون فقد احتلت جنوب أفريقيا المكانة الثانية بنسبة ٣٠%، ثم نيجيريا ٢٠%، ثم الاتحاد الأفريقي لكرة القدم ١٠%، وتختلف هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة Wadim Scureiner (٢٠٠٠)^(٣).

يتضح لنا من النتائج السابقة قلة الأخبار والموضوعات التي تقدمها وسائل الإعلام المصرية عن دول أفريقيا غير العربية الأمر الذي انعكس على صورة القارة الأفريقية بصفة عامة والإنسان الأفريقي بصفة خاصة لدى الشباب الجامعي كما سيتضح لنا من النتائج التحليلية القادمة، مما يتطلب من القائمين بالاتصال في وسائل الإعلام المختلفة ضرورة الإهتمام بإعطاء القارة الأفريقية المزيد من الرعاية والحرص على تقديم أخبارها وقضاياها بما يتناسب مع أهميتها وكثرة عدد دولها وأهميتها الخاصة لمصر.

ثانياً: التساؤلات الخاصة بالمبحوثين:

التساؤل الأول: مدى الإهتمام بالحصول على معلومات عن أفريقيا؟ وأسباب عدم الإهتمام؟

تشير بيانات الجدول رقم (٣) إلى أن نسبة ٥٤,٣% من شباب الجامعات المصرية لا يهتمون بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية مقابل ٢,٣% فقط يهتمون بالحصول على معلومات عنها بصورة جادة. وربما يعود ذلك من وجهة

(١) الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ٧٥-٧٦.

(٢) Eribo, Festus. (1993). Op.cit., p. 5.

(٣) Scureiner, Wadim. (2000).

نظر الباحثة إلى قلة المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية حيث تشير النظريات الحديثة لعلوم الاتصال إلى أن وسائل الإعلام لا تستطيع أن تقدم جميع المعلومات والقضايا والأخبار التي تقع في العالم، والتالي يختار القائمون على هذه الوسائل بعض الأخبار والموضوعات يتم التركيز عليها والإهتمام بها، هذه الموضوعات تثير إهتمامات الأفراد تدريجياً وتجعلهم يفكرون فيها وبالتالي تمثل هذه الموضوعات أهمية كبيرة لدى الجماهير أكثر من الموضوعات التي لا تهتم بها وسائل الإعلام وبالتالي يقل إهتمام الجمهور ومعرفة بها.^(١)

وتشير بيانات الجدول رقم (٤) إلى أن أهم أسباب عدم إهتمام الشباب الجامعي بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية هو عدم وجود إهتمام إعلامي بالقارة الأفريقية بنسبة ٢٩,٧%، يليها أن مصادر المعلومات المتاحة أمام الشباب عن أفريقيا غير متاحة بالقدر الكافي بنسبة ٢٣,٣%، ولعل هذان السببان يساعدانا على تفسير النتيجة السابقة، ثم يأتي بعد ذلك احساس الشباب بعدم وجود دور فاعل لأفريقيا غير العربية على الصعيد الدولي ٢٠%، الأمر الذي يتطلب من القائمين على وسائل الإعلام المصرية والعربية ضرورة إعادة النظر في حجم المعلومات التي توفرها هذه الوسائل عن أفريقيا غير العربية.

التساؤل الثاني: قياس المعلومات العامة للمبحوثين عن أفريقيا:

وقد تضمن هذا التساؤل ثمانية أسئلة فرعية. وتشير بيانات الجدول رقم (٥) إلى أن المبحوثين الذين استطاعوا الإجابة الصحيحة عن السؤال الأول والخاص بعدد دول القارة الأفريقية قد بلغ ١٣,٣% فقط مقابل ٨٦,٧% إجابات خاطئة. وفيما يتعلق بالسؤال الثاني عن أكبر دولة أفريقية من حيث التعداد السكاني كانت الإجابات الصحيحة ١٩,٣% فقط مقابل ٨٠,٧% إجابات خاطئة. وحول مقر الاتحاد الإفريقي لكرة القدم أجاب ٣٧,٣% من الشباب الجامعي إجابات صحيحة مقابل ٦٢,٧% إجابات خاطئة، وفيما يتعلق بالسؤال الرابع والخاص بذكر أسم أديب أفريقي غير عربي لم يتمكن سوى ١% فقط من الإجابة الصحيحة مقابل ٩٩% إجابات خاطئة. أما السؤال الخامس والخاص بذكر أسماء خمس دول أفريقية أجابت نسبة ٥٤% إجابات صحيحة

(١) حسن عماد مكاوي ولىلى حسين السيد (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ٢٨٨.

مقابل ٢٢,٧% إجابات خاطئة والنسبة المتبقية أجابت ما بين أربع إجابات صحيحة وثلاثة، واثنين، وواحدة. وفيما يتعلق بذكر أسماء عواصم خمس دول أفريقية انخفضت نسبة الإجابات الصحيحة إلى ٦,٧% مقابل ٦٥% إجابات خاطئة، وحينما طاب من الشباب ذكر أسماء ثلاث لغات أفريقية لم يتمكن أى مبحوث من الإجابة الصحيحة. وأخيراً عندما طلب منهم ذكر أسماء ثلاثة أبطال رياضيين توصل ١٧,٧% منهم إلى الإجابة الصحيحة مقابل ٦٠% إجابات خاطئة.

ويتضح لنا مما سبق ضعف المعلومات العامة للشباب الجامعي عن أفريقيا غير العربية بصورة كبيرة حيث لاحظت الباحثة أن الكثيرين منهم على سبيل المثال لا يعرفون الفرق بين دول قارة آسيا وقارة أفريقيا فكانوا يذكرون العديد من الدول الآسيوية على أنها دول أفريقية مثل باكستان والصين واليابان، وتتفق هذه النتيجة والخاصة بضعف معلومات الشباب عن أفريقيا مع ما توصلت إليه نتيجة دراسة الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢)^(١) وتُرجع الباحثة هذه النتيجة من وجهة نظرها إلى سببين أساسيين وهما قلة إهتمام الشباب بالقراءة بصفة عامة وضعف المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا بصفة خاصة.

التساؤل الثالث: مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا:

وتضمن هذا التساؤل ستة أسئلة فرعية جاءت إجاباتها على النحو التالي: تشير بيانات الجدول رقم (٦) والخاص بمصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا أن التلفزيون يعتبر المصدر الرئيسي للشباب الجامعي في الحصول على المعلومات بنسبة ٧٣,٣%، يليه الجرائد بنسبة ٥٣,٧%، ثم الإنترنت ٢٩%، في حين جاءت كل من المنشورات التي تصدرها السفارات والفيديو في مؤخرة المصادر التي يعتمد عليها الشباب في الحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية وتتفق هذه النتيجة مع نتائج العديد من الدراسات السابقة مثل دراسة Carolyn Johnson (١٩٨٥)^(٢)، ودراسة

(١) الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢)، مرجع سابق، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) Johnson, Carolyn & Gross, Lynne. (1985). Mass Media by women in decision making Positions. *Journalism Quarterly*, Vol. 62, No. 4, pp. 850-854.

Hugh وزملائه (١٩٨٦)^(١)، ودراسة Oscar Gandy وزملائه (١٩٨٧)^(٢)، ودراسة McDonald, D. (١٩٩٣)^(٣)، ودراسة حسن عماد مكاوي (١٩٩١)^(٤)، ودراسة شاهيناز بسيوني (١٩٩٣)^(٥)، ودراسة خالد صلاح الدين (١٩٩٧)^(٦)، ودراسة ليلى حسين (٢٠٠١)^(٧).

وفيما يتعلق بهوية مصادر المعلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية تشير نتائج الجدول رقم (٧) إلى أن نسبة ٧٣,٣% من الشباب الجامعي يعتمدون على مصادر مصرية في الحصول على معلوماتهم، تليها المصادر العربية ثم الغربية وأخيراً المصادر الأفريقية.

وحول مدى قبول المبحوثين التعامل مع الأفارقة تشير بيانات الجدول رقم (٨) إلى أن ١٩,٧% من الشباب يقبلون التعامل مع الأفارقة بشكل مباشر مقابل ٨٠,٣% يرفضون ذلك وفيما إذا كان المبحث قد سبق له زيارة إحدى دول أفريقيا غير العربية، أشارت نسبة ١% فقط أنها توافرت لها فرصة الزيارة مقابل ٩٩% لم تتوافر لهم هذه الفرصة. وربما تعود هذه النتائج إلى قلة معلومات الشباب عن دول أفريقيا غير العربية، وعدم معرفتهم تفاصيل حياة شعوب الدول الأفريقية.

وفيما يتعلق بمدى إهتمام وسائل الإعلام المصرية بتقديم معلومات عن أفريقيا غير العربية من وجهة نظر المبحوثين، تشير بيانات الجدول رقم (٩) إلى أن ٦١,٧%

(١) Hugh, M. Culbertson, G. & Stemp III, H. (1986). How Media use and Reliance Affect Knowledge Level. *Communication Research*, Vol. 13, No. 4, pp. 579-602.

(٢) Gandy, Oscar. & Matabane, Paula W. & Omachonue, John. (1987) Media Use, Reliance and Active Participation: Exploring Student Awareness of South African Conflict, *Communication Research*. Vol. 14, No. 6, Dec. pp. 644-663.

(٣) McDonald, D. (1993). Investing Assumptions of Media Dependency Research. *Communication Research*, Vol. 10, No. 4, pp. 509-525.

(٤) حسن عماد مكاوي (١٩٩١). علاقة طلاب الجامعة في سلطنة عمان بوسائل الاتصال الجماهيري، دراسة مسحية مقارنة. *مجلة بحوث الاتصال*، العدد الخامس، يوليو ص ص ١٢٤-١٤٤.

(٥) شاهيناز بسيوني (١٩٩٣). العلاقة بين التعرض لوسائل الاتصال وطبيعة الاتجاه نحو مشكلة الإرهاب: دراسة إحصائية عاملية، *بحوث الاتصال*، العدد العاشر - ديسمبر، ص ٥٣.

(٦) خالد صلاح الدين (١٩٩٧). دور التلفزيون والصحافة في توجيه وترويب اهتمامات الجمهور نحو القضايا العامة في مصر: دراسة تحليلية - ميدانية، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الإعلام - جامعة القاهرة.

(٧) ليلى حسين السيد (٢٠٠١). اعتماد المرأة المصرية على وسائل الإعلام في تلبية احتياجاتها. *مجلة البحوث والدراسات العربية* (معهد البحوث والدراسات العربية - العدد ٢٦، ديسمبر) ص ص ٢٦٧-٣٢٥.

من الشباب الجامعي يرون أن وسائل الإعلام المصرية تهتم إلى حد ما بتقديم معلومات وأخبار عن أفريقيا مقابل ٣٦,٦% يرون أنها لا تهتم مطلقاً. وأخيراً فيما يتعلق بمدى كفاية المعلومات المتاحة عن أفريقيا في وسائل الإعلام المصرية من وجهة نظر المبحوثين تشير بيانات الجدول رقم (١٠) إلى أن نسبة ٨٠% من الشباب ترى أن المعلومات غير كافية مطلقاً، مقابل ٢,٣% ترى أنها كافية تماماً. وبتفصيل هذه النتيجة مع ما توصلت إليه نتيجة دراسة الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢)^(١).

التساؤل الرابع: أبعاد الصورة الذهنية لأفريقيا:

وقد تضمن هذا التساؤل خمسة أسئلة فرعية جاءت إجاباتها على النحو التالي: فيما يتعلق بنوعية المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا من وجهة نظر المبحوث، تشير بيانات الجدول رقم (١١) إلى أن ٦٦,٧% منهم أشاروا إلى أن المعلومات الرياضية هي أكثر أنواع المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام عن أفريقيا، يليها المعلومات السياسية ٥٢,٣%، في حين لم يذكر أي مبحوث المعلومات الاقتصادية كإحدى نواعيات المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية وهو أمر ملفت للنظر حيث يعتقد الشباب أن وسائل الإعلام المصرية تهتم فقط بتقديم الأخبار الرياضية في حين لا يهتمون بالمعلومات الاقتصادية على الرغم من أن الدول الأفريقية تمر الآن بمرحلة النمو الاقتصادي للعديد من دولها.

وفيما يتعلق بأكثر الموضوعات التي تعرضها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا من وجهة نظر الشباب الجامعي تشير بيانات الجدول رقم (١٢) إلى أن أزمة الفقر والغذاء جاءت في مقدمة الموضوعات التي تقدمها وسائل الإعلام عن أفريقيا بنسبة ٧٤%، تليها البطولات الرياضية ٥٣%، ثم الحروب والصراعات العسكرية ٥٢,٧%، في حين أشارت النتائج إلى أن قضايا المديونية، والتعددية السياسية جاءت في مؤخرة الموضوعات التي تعرضها وسائل الإعلام من وجهة نظر الشباب الجامعي. وبتفصيل هذه النتيجة والخاصة بتصدر أزمة الفقر والغذاء للموضوعات التي تعرضها وسائل الإعلام مع العديد من نتائج الدراسات السابقة مثل دراسة Milfred

(١) الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ١١٣.

(١٩٨٢)^(١)، ودراسة أشرف عبد المغيث (١٩٩٣)^(٢)، ودراسة محمد عاشور (١٩٩٩)^(٣)، ودراسة عبد العزيز شاهين (١٩٩٩)^(٤).

وفيما يتعلق بطبيعة الصورة التي يكونها الشباب الجامعي عن أفريقيا غير العربية من كافة الجوانب تشير بيانات الجدول رقم (١٣) إلى أنه فيما يتعلق بالصورة من الناحية السياسية ترى نسبة ٨٠% من الشباب أن الدول الأفريقية مفككة وضعيفة دولياً، وترى نسبة ٦٧% إن سياسات الدول الأفريقية متخبطة وذلك مقابل ١٧% يرون أن سياسات الدول الأفريقية مستقرة. وفيما يتعلق بالصورة التي يكونها الشباب من الناحية الأمنية ترى نسبة ٧٧,٧% إن الدول الأفريقية يسودها الإضطرابات والقتال، وإنها موطن للعصابات والجرائم بنسبة ٤٣% مقابل ٢,٣% فقط يرون أن الدول الأفريقية يسودها الأمن والاستقرار. وفيما يتعلق بطبيعة الصورة من الناحية الاقتصادية ترى نسبة ٧٧% من الشباب الجامعي إن معظم أفراد الدول الأفريقية فقراء، وترى نسبة ٦٣,٧% إن معظم الدول الأفريقية غارقة في الديون مقابل ٤% فقط يرون أن معظم أفراد الدول الأفريقية أغنياء. أما من الناحية الإجتماعية فتري نسبة ٣٠,٣% إن الدول الأفريقية تنسم بالتراطيب الأسرى مقابل ١٩,٣% يرون أنها تنسم بالتفكك الأسرى. وفيما يتعلق بطبيعة الصورة التي يكونها الشباب الجامعي عن أفريقيا غير العربية من الناحية الدينية يرى نسبة ٢٧,٣% من المبحوثين إن معظم الدول الأفريقية غير متدينة مقابل ٢٢% ترى إنها دول متدينة. أما من الناحية الرياضية فتري نسبة ٥٤% إن معظم الدول الأفريقية متفوقة رياضياً مقابل نسبة ١٩,٧% ترى إن الدول الأفريقية تتمتع بمستوى ضئيل رياضياً. وفيما يتعلق بالنظرة المستقبلية التي يكونها الشباب الجامعي عن أفريقيا غير العربية ترى نسبة ٥٠,٣% إن الصورة المستقبلية للدول الأفريقية غير محددة المعالم، وترى نسبة ٤١,٧% إن

(١) Fierce, Milfred. (1982). Op.cit., p. 669.

(٢) أشرف عبد المغيث (١٩٩٣). مرجع سابق. ص ص ٢٠٠-٢٢٠.

(٣) محمد عاشور (١٩٩٩). مرجع سابق. ص ص ١٥٦-١٧٣.

(٤) عبد العزيز شاهين (١٩٩٩). صورة الإنسان الأفريقي في المقررات الدراسية المصرية - رؤية أنثروبولوجية. ندوة أفريقيا في المقررات الدراسية (معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة - ١٥-١٦ مايو) ص ص ٣٥-٤٣.

مستقبل الدول الأفريقية غامض ومظلم مقابل نسبة ٥,٧% فقط ترى إن مستقبلها باهر ومشرق. وفيما يتعلق بالصورة التي يكونها الشباب الجامعي عن المرأة الأفريقية ترى نسبة ٣٨,٧% إن المرأة الأفريقية جاهلة ومتخلفة، ونسبة ٣٨% ترى إنها تابعة وخاضعة، بينما ترى نسبة ٣٢,٧% إنها لا تشارك في الحياة العملية، وأما بالنسبة لصورة الرجل الأفريقي فترى نسبة ٤٢% إن الرجل الأفريقي رجلاً همجياً وعصبى المزاج، وترى نسبة ٣٣,٧% أنه قليل الذكاء وعنيد وجاهل ومتخلف وبدائي.

ومن خلال استعراض البيانات الواردة في الجدول رقم (١٣) يتضح لنا أن الصورة التي يكونها الشباب الجامعي عن أفريقيا غير العربية من جميع النواحي هي صورة قاتمة ومتحيزة ومشوهة ويعود ذلك للأسباب التي ذكرتها الباحثة من قبل. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج العديد من الدراسات السابقة مثل دراسة Milfred (١٩٨٢)^(١)، ودراسة أشرف عبد المغيث (١٩٩٣)^(٢)، ودراسة Eribo, Festus (١٩٩٣)^(٣)، ودراسة Sigleman & Tuch (١٩٩٧)^(٤)، ودراسة محمد عاشور (١٩٩٩)^(٥)، ودراسة إبراهيم نصر الدين (٢٠٠٠)^(٦)، ودراسة الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢)^(٧).

وأخيراً فيما يتعلق بطبيعة الصورة التي تعكسها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية من وجهة نظر المبحوثين تشير بيانات الجدول رقم (١٤) إلى أن نسبة ٨٠,٧% من الشباب الجامعي لا تستطيع تحديد معالم هذه الصورة مقابل نسبة ١٢,٣% ترى إنها صورة موضوعية ومطابقة للواقع، ونسبة ٧% يرون إنها صورة متحيزة ومشوهة للواقع. وربما ترجع عدم قدرة الشباب على تحديد طبيعة الصورة التي تعكسها وسائل الإعلام إلى ضعف المعلومات التي تقدمها هذه الوسائل وعدم معرفتهم الدقيقة بحقيقة القارة الأفريقية وتفاصيلها وثرواتها وأهميتها الاستراتيجية.

(١) Pierce, Milfred. (1982). Op.cit., p. 51.

(٢) أشرف عبد المغيث (١٩٩٣). مرجع سابق. ص ٢٠٠-٢٢٠.

(٣) Eribo, Festus. (1993). Op.cit., p. 51.

(٤) Sigelman, & Tuch, (1997) Op.cit., p. 67.

(٥) محمد عاشور (١٩٩٩). مرجع سابق. ص ١٥٦-١٧٣.

(٦) إبراهيم أحمد نصر الدين (٢٠٠٠). مرجع سابق. ص ٢٩-٣٥.

(٧) الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ١٢٢-١٢٨.

التساؤل الخامس: اتجاهات المبحوثين نحو أفريقيا:

وقد تضمن هذا التساؤل خمسة أسئلة فرعية. ففيما يتعلق بالسؤال الخاص بمدى قبول المبحوثين توصيف مصر بإنتماءها لدول القارة الأفريقية تشير بيانات الجدول رقم (١٥) إلى أن نسبة ٥٧% من الشباب الجامعي لا يقبلون ذلك مقابل ٤٣% يعترضون بإنتماء مصر للقارة الأفريقية. وفيما يتعلق برغبتهم في زيارة إحدى الدول الأفريقية فتشير بيانات نفس الجدول إلى أن ٦٨% من الشباب لديهم الرغبة في زيارة دول القارة الأفريقية مقابل ٣٢% يرفضون ذلك، وفيما يتعلق بمدى قبول المبحوث العمل في إحدى دول أفريقيا غير العربية تشير بيانات الجدول رقم (١٥) إلى أن ٨٩,٣% يرفضون العمل في أفريقيا مقابل ١٠,٧% فقط يقبلون ذلك. وترجع الباحثة هذه النتائج إلى قلة وضعف معلومات الشباب عن دول أفريقيا غير العربية الأمر الذي يجعلهم غير ملمين بها وبثرواتها وإمكاناتها الكبيرة، مما يلقي بجزء كبير من المسؤولية على وسائل الإعلام بضرورة إزالة هذا الغموض وتوضيح الصورة الحقيقية لأفريقيا. وحول مدى تقييم المبحوث للعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات تشير بيانات الجدول رقم (١٦) إلى أن ٦٥% منهم لا يستطيعون تحديد طبيعة هذه العلاقات، في حين أشار ٢٥,٧% إلى أنها علاقات متخلقة ومضطربة. وأما عن تقييم الشباب الجامعي لنفس العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الأفراد فتشير بيانات نفس الجداول إلى أن ٧٥% من الشباب يرون إنها علاقات ضعيفة مقابل ١,٧% يرون إنها علاقات ممتازة وقوية. وتتفق هذه النتائج إلى حد ما مع ما توصلت إليه نتائج دراستي إبراهيم نصر الدين (٢٠٠٠)^(١)، ودراسة الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢)^(٢).

اختبار فروض الدراسة:

الفرض الأول: توجد علاقة ارتباط بين نوع المبحوث (ذكر / أنثى) ونوع الجامعة (حكومية / خاصة) وبين كل من:

- الاهتمام بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية.
- هوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية.

(١) إبراهيم أحمد نصر الدين (٢٠٠٠). مرجع سابق. ص ٢٩-٣٥.

(٢) الخضر بن عبد الباقي (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ١٣٦-١٣٧.

- نوعية المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية.
- الصورة التي تعكسها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية.
- الاعتزاز بانتماء مصر لدول القارة الأفريقية.
- تقييم العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات.
- تقييم العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الأفراد.

تشير بيانات الجدول رقم (١٧) إلى وجود علاقة دالة إحصائياً بين نوع المبحوث ودرجة إهتمامه بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية لصالح الذكور حيث بلغت قيمة كا^٢ ٦,٥٧٩ ومعامل التوافق ٠,١٤٦ عند مستوى معنوية ٠,٠٣.

كذلك تبين من بيانات الجدول رقم (١٨) عدم وجود علاقة بين نوع المبحوث وهوية مصادر معلوماته عن أفريقيا غير العربية.

وتشير بيانات الجدول رقم (١٩) والخاص بالعلاقة بين نوع المبحوث ونوعية الموضوعات التي تقدمها وسائل الإعلام عن أفريقيا من وجهة نظر المبحوث إلى وجود علاقة دالة إحصائياً لصالح الذكور فيما يتعلق بنوعية المعلومات العسكرية عن أفريقيا حيث بلغت قيمة معامل التوافق ٠,٢٦٣ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٠، في حين تبين وجود علاقة دالة إحصائياً لصالح الإناث فيما يتعلق بكل من المعلومات الثقافية حيث بلغت قيمة معامل التوافق ٠,١٠٢ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٧، والمعلومات الصحية حيث بلغت قيمة معامل التوافق ٠,١٤ عند مستوى معنوية ٠,٠٠١.

وتشير بيانات الجدول رقم (٢٠) إلى وجود علاقة دالة إحصائياً بين نوع المبحوث والصورة التي تعكسها وسائل الإعلام عن أفريقيا غير العربية من وجهة نظره وذلك لصالح الذكور حيث بلغت قيمة كا^٢ ٥,٩٩٨ ومعامل التوافق ٠,١٤ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٥.

وتشير بيانات الجدول رقم (٢١) إلى وجود علاقة دالة إحصائياً بين نوع المبحوث ومدى إعترازه بانتماء مصر لدول القارة الأفريقية وذلك لصالح الذكور حيث بلغت قيمة كا^٢ ١٠,٤٩٦ ومعامل التوافق ٠,١٨٤ عند مستوى معنوية ٠,٠٠١.

وتشير بيانات الجدول رقم (٢٢) إلى وجود علاقة بين نوع المبحوث وتوصيفه للعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات لصالح الذكور حيث بلغت قيمة كا^٢ ١٤,١٩٦ ومعامل التوافق ٠,٢١٢ عند مستوى معنوية ٠,٠٠١، في حين يشير جدول رقم (٢٣) إلى عدم وجود علاقة دالة إحصائياً بين نوع المبحوث وتوصيفه للعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الأفراد.

وحول العلاقة بين نوع الجامعة (حكومية / خاصة) ومدى إهتمام المبحوثين بالحصول على معلومات عن أفريقيا تبين من الجدول رقم (٢٤) وجود علاقة دالة إحصائياً لصالح الجامعات الخاصة أكثر من الجامعات الحكومية حيث بلغت قيمة كا^٢ ٥,٩٢٥ ومعامل التوافق ٠,١٣٩ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٥.

كذلك تبين من الجدول رقم (٢٥) والخاص بالعلاقة بين نوع الجامعة وهوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا إلى وجود علاقة دالة إحصائياً لصالح الجامعات الحكومية حيث يستخدم طلاب الجامعات الحكومية مصادر المعلومات المصرية والأفريقية والغربية أكثر من طلاب الجامعات الخاصة حيث بلغت قيمة كا^٢ ٩,٧٢٤ ومعامل التوافق ٠,١٧٧ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٢.

وتبين من الجدول رقم (٢٦) وجود علاقة بين طلاب الجامعات الخاصة والإهتمام بالمعلومات الرياضية عن أفريقيا غير العربية بالمقارنة مع طلاب الجامعات الحكومية حيث بلغ معامل التوافق ٠,١٥٤ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٧، في حين لا توجد علاقة دالة إحصائياً بين نوع الجامعة وكافة نوعيات المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية.

كذلك أشارت النتائج إلى عدم وجود علاقة بين نوع الجامعة وبين كل من الصورة التي تعكسها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا، واعتزاز المبحوث بانتماء مصر لدول القارة الأفريقية، وتوصيف المبحوث للعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات، وعلى مستوى الأفراد كما تبين من الجداول أرقام (٢٧)، (٢٨)، (٢٩)، (٣٠).

الفرض الثاني: توجد فروق دالة إحصائية بين كل من نوع المبحوث ونوع الجامعة وبين مستوى معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية:

وتشير بيانات الجدول رقم (٣١) إلى قبول الجزء الأول من الفرض الثاني حيث توجد فروق دالة إحصائية بين نوع المبحوث ومستوى معلوماته عن أفريقيا لصالح الذكور حيث بلغ متوسط درجات المبحوثين الذكور ٧,٨٧ درجة مقابل ٤,٥٥ درجة للإناث وبلغت قيمة ت ٦,٦٥٥ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٠ فى حين يشير الجدول رقم (٣٢) إلى عدم قبول الجزء الثاني من نفس الفرض فيما يتعلق بوجود فروق دالة إحصائية بين نوع الجامعة ومستوى معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية.

الفرض الثالث: توجد فروق دالة إحصائية بين نوع التعليم (نظري / عملي) ومستوى معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية:

تشير بيانات الجدول رقم (٣٣) إلى قبول الفرض الثالث حيث توجد فروق دالة إحصائية بين نوع التعليم لصالح ذوى التخصصات النظرية حيث بلغ متوسط درجات معلوماتهم عن أفريقيا ٦,٥١ درجة مقابل ٣,٦٤ درجة لذوى التخصصات العملية، وبلغت قيمة ت ٤,٥٦ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٠.

الفرض الرابع: يوجد تأثير دال إحصائية بين درجة إهتمام المبحوثين بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية وحجم معلوماتهم عنها:

تشير بيانات الجدول رقم (٣٤) إلى قبول الفرض الرابع حيث يوجد تأثير دال إحصائية بين درجة إهتمام المبحوث بالحصول على معلومات عن أفريقيا وحجم معلوماته عنها حيث بلغ متوسط درجات المبحوثين المهتمين بشدة الحصول على معلومات عن أفريقيا ١٣,٢٨ درجة مقابل ٧,٤٣ درجة للمهتمين إلى حد ما، و ٤,٤٠ درجة للمبحوثين غير المهتمين بالحصول على معلومات عن أفريقيا وذلك عند مستوى معنوية ٠,٠٠٠.